بيار روفايل
دموع لا تجف
دار الجيل
بيروت

دمُوع لا تجفّ

انها قصة الحب الخالد الذي يرتفع بالانسان الى السماء ، والتضحية الكبرى التي تدفع بالمحبين الى العطاء بسخاء ما بعده من سخاء ، والألم الذي يذيب القلوب بناره ويُنير الارواح بنوره .

دمُوع لا تجفّ

اروع ما كتب القاص المعروف بيار روفايل .

بين سطورها يرسم لوحات رائعة من الحقيقة ويسكب اطيافاً فاتنة من الخيال .

وبين الحقيقة والخيال ينساب قلم بيار روفايل في هذه القصة ليقدم الى قرائه اجمل روائعه القصصية الخالدة .

دموع لا تجف

بيار روفايل

دموع لا تجف

دار الجيل

بيروت

جَميع الحقوق محفوظة لِدار الجيل

الطبعة الخامسة
١٩٩٥

المقدمة

عندما خلق الله الالم أشفق على الانسان فخلق له الدموع . ليطفىء بها جمرة الألم

الدموع التي تطفىء لهيب الالم ، وتخمد سعير العذاب ، هي هي الدموع التي تبعث الأمل في النفوس الهائمة ، الولهى ، وتضرم نار الشوق والحب والحنين في القلوب والارواح

هنيئاً للعيون التي تسكب دموعاً لا تجف ، فهي تنعم أبداً بنار من الحب الخالد الذي لا يعرف الاخماد

والويل كل الويل للعين التي لا تكتحل بالدموع ، وللشفاه التي لا تكتوي بالابتسام ، وللقلب الذي لا يخفق بالحب ولا يشقى بالهيام

وقصة «دموع لا تجف» ما هي إلا قصة المحبين المعذبين المتألمين الذين يحترقون بالحب ويرتوون بالدموع

بيار روفايل

الفَصل الأوّل

الربيع الفواح العبير ، العاطر الانفاس ، يغمر جبال لبنان وسفوحه ، ووديانه ، وسهوله ، بروعة الجمال وبدفقة الحسن والبهاء

والربيع في لبنان غيره في جميع بقاع الأرض ،

فهو في لبنان على اخضرار يموج في تمايل أغصان الأشجار ، وعلى احمرار واصفرار يسجو في تواضع الأزهار ، وعلى بياض ينسجه ما بقي من ثلج فصل الشتاء على القمم والربى والتلال

وفي الربيع تنطلق العصافير مغردة منشدة مصفقة في قرى لبنان المنثورة في حنايا الجبال . وكأن تلك الطيور الصغيرة تنشد اغانيها الشجية لتستقبل فصل الربيع بأروع وأشجى الاناشيد والتراتيل

ومع مطلع كل صباح ينطلق أبناء تلك القرى المنثورة في سفوح وجبال ووديان لبنان ومن منازلهم الى أعمالهم : الرجال الى الحقول والبساتين . وبعض النساء الى الينابيع لنقل المياه ، أو إلى البساتين والحقول للمساعدة في الأعمال

وفي صباح يوم عاطر الانفاس بهي الرؤى ، صافي الأديم من أيام الربيع انطلقت الصبايا في قرية خاشعة متواضعة خضراء من قرى قضاء الشوف في لبنان حاملات الجرار لاستقاء المياه الرقراقة من «عين الحلوة»

وتلك العين ، عين الحلوة ، في القرية اللبنانية غزيرة المياه ، تتدفق لتروي بساتين القرية ، وحقولها وحدائقها ، على كرم وسخاء

ومنها ، من عين الحلوة ، يستقي جميع ابناء القرية ، ويرتوون بالمياه العذبة الصافية صفاء أديم تلك القرية الخضراء

وقد عرف أبناء تلك القرية قدر عين الحلوة ومقامها الرفيع فأقاموا لها نصباً من الحجر المرمري المصقول ، ورفعوا فوق ميزابها بلاطة من الرخام الناصع البياض حفروا عليها إسم «عين الحلوة»

وأحاطوا تلك العين بسور من القضبان الحديدية ، يحول دون تسلل المواشي الى حرم عينهم العصماء

وعلى بعد أمتار قليلة من السور الحديدي بحيرة صغيرة تتجمع فيها مياه العين ، لتتوزّع منها على حقول وبساتين وجنائن وحدائق القرية الدائمة الاخضرار

وفي صباح ذلك اليوم البهيج بدأت الصبايا بالورود الى عين الحلوة ، والجرار على أكتافهن

وتجمعن حول ميزاب العين ، وقد أكتمل عقدهن ، يتبادلن الأحاديث ويتسامرن ، وتروي كل منهن لرفيقتها ما في قلبها من اسرار بعيدة المدى عميقة القرار

وشعت الفرحة في عيونهن ، وبدت على وجوههن السمراء علائم البهجة والأرتياح فاذا بتلك الوجوه الجميلة الوضاءَة السناء تحاكي ذلك الصباح نوراً وضياء

واذا بعجوز شمطاء تطل عليهن ، حاملة ابريقاً من الفخار ، جاءَت لتستقي به الماء ، وهي تعجز عن حمل الجرة على كتفها التي ناءَت تحت عبء السنين الطوال ، فصاحت الصبايا الفاتنات : ام عساف . . . لقد أقبلت أم عساف

وام عساف شهيرة في القرية ، فهي ناشرة الاخبار ، وفاضحة الاسرار . وفي جعبتها كل قصص القرية ورواياتها وحوادثها .

وهي على كبر سنها ، وقد تخطت الثمانين ، صديقة صبايا وشبان القرية وكلهم في مقام ابنها عساف . الذي هجر القرية منذ سنين الى المهجر القاصي البعيد وراء المستقبل الزاهر الزاهي الرغيد ، مثل معظم شبان لبنان الذين يهاجرون وراء الرغيف ، والرغيف في لبنانهم يأكله الغريب

ويوم ودّع «المحروس» عساف امه منذ سنوات طوال قال لها ، وهو يشاهد الدمع منسكباً على خديها : لا تبكي يا امي ولا تذرفي الدموع . فانا سأعود اليك بعد سنوات قليلة حاملاً لك المال الوفير ، ومع المال السعادة والهناء

فمسحت ام عساف دموعها وهمست : ليتك تظل قربي يا ابني ، ولا كان المال الوفير . سعادتي هي في ان أراك قربي يا عساف

غير ان عساف لم يكن ليحقق أمنية امه . وهو الراغب في السعي الى المال . وقد خيل اليه ان المال في المهجر وفير كثير . ما له إلا ان يغرف منه ويعود الى القرية على زهوٍ وافتخار

وسافر عساف ، وأقامت امه ترقب عودته ، الا ان تلك العودة طالت فمضت السنون الطوال ، وعساف لم يعد ، وامه البائسة ما زالت مقيمة منه على انتظار

وكانت الأم العجوز ترى في كل شاب من شبان القـرية الشوفية الخضراء ابنها الممعن في النوى والبعاد . وفي كل صبية من صبايا القرية كانت ام عساف ترى عروساً للمحروس عساف فتهمس في اذن كل صبية تزورهـا : «غـداً يوم يعـود عسـاف ستكونين عروسه يا ابنتي . . .»

وتضحك الصبية الحسناء ، فتربت ام عساف على كتفها هامسة : «لا تضحكي . . . ستصبحين كنتي شئت ام ابيت يا حلوة الحلوات»

وهكذا اصبحت ام عساف حماة كل فتاة من فتيات القرية الرابضة في جبال الشوف في لبنان على فتنة باسمة ، وروعة ندية نضرة خضراء

« . . . كانت نجلاء الحلوة . . حلوة ترتع في جمال رحيب »

وشبان وصبايا القرية كانوا يرون في ام عساف الصديقة المخلصة الوفية ، وكانوا يترددون الى منزلها فتستقبلهم بالترحيب الشديد ، وتستمع الى مشاكلهم فتساعدهم على حلها

وتروي لهم اخبار القرية ، ولا تبخل عليهم بسرد ذكرياتها البعيدة على مسامعهم

وفي صباح ذلك اليوم الوضاح السناء ، عندما اطلت ام عساف على «عين الحلوة» وثبت الصبايا اليها يرحبن بها . ويتسابقن لمساعدتها على ملء ابريقها ، ويدعونها للجلوس قربهن على المقعد الحجري قرب ميزاب العين

ودفعت ام عساف بالأبريق الى احدى الصبايا هامسة في مسمعها : «انت ستكونين كنتي يا مقصوفة الأذن . ولن تملأ هذا الأبريق لأم عساف فتاة سواك»

وجلست أم عساف على المقعد الحجري ، وراحت تحدق بالمياه الرقراقة العذبة المتدفقة من ميزاب عين الحلوة

وغرقت ام عساف في لجج الذكريات الآفلة البعيدة المدى العميقة القرار ، وأخذت الدموع تترقرق في عينيها ، وقد عصفت بها تلك الذكريات المؤلمة الرهيبة ، فأثار دمعها دهشة الصبايا الباسمات الهانئات واستغرابهن فتساءلن : ما بها ام عساف ؟ ماذا دهاها ؟ . . ولماذا يترقرق الدمع في مقلتيها ! . .

وخيل إليهن ان الشوق الى ابنها عساف الممعن في النوى والبعاد أهاج حنينها ودفع بالدموع الى عينيها ، فأحطن بها

يسألنها : ما بك يا أم عساف ؟ . انك لتبدين شديدة الأسى ، بعيدة الألم ، عميقة العذاب

فهمست ، وهي تمسح الدمع المترقرق في مقلتيها بكفيها : لقد عادت بي الذكريات الى تلك السنين الآفلة البعيدة البعيدة البعيدة ، فتذكرت يوم كنت في عمركن ، ويوم كان هذا المكان العامر اليوم بالحياة ، حقلاً قفراً أجدب لا ماء فيه ولا نضار ولا خضار ، يومذاك لم يكن ثمة . هنا عين اسمها عين الحلوة ، ولم تكن هناك في القرية حدائق وجنائن وبساتين . يومذاك كانت قريتنا عطشى وكنا في القرية نتوق الى نقطة ماء نبلل بها شفاهنا

فلمعت الدهشة في العيون الناعسات وتساءَلن : ألم تكن قريتنا تنعم بروعة الجنائن الخضراء ؟

وهمست أم عساف : لا . . .

فعدن الى التساؤل : وهل كانت القرية تفتقر الى المياه ؟

قالت أم عساف : أجل يا حبيباتي . لم يكن ابناء القرية يومذاك ، منذ سنوات بعيدة قد توصلوا الى العثور على المياه في هذا المكان المشرف على القرية

قالت احدى الصبايا الجميلات : وكيف توصل اجدادنا ابناء القرية الى العثور على المياه واقامة عين الحلوة هنا في هذه الارض الباسمة الخضراء ؟

فأجابت أم عساف : قصة عين الحلوة قصة طويلة مؤلمة دامية ، قصة تنطوي على كل ما في الأرض من تضحية وبذل وعطاء

فأقتربت احدى الفاتنات من أم عساف متسائلة : وما هي قصة عين الحلوة هذه يا ستي أم عساف ؟

قالت العجوز ، وهي تمسح الدمع المترقرق في عينيها : قصة عين الحلوة يا ابنتي هي قصة الحب والوفاء والاخلاص ، قصة الالم والشوق والتضحية والدموع

قالت صبية جميلة : هل لك ان تقصي علينا هذه القصة يا ستي أم عساف

فعادت أم عساف تمسح الدموع التي بدأت تتأهب للأنحدار على وجنتيها لتقول : منذ أمد بعيد ، منذ سنين طوال لم يكن عندنا في هذه القرية ماء تروينا وتروي أرضنا العطشى ولم يكن في الضيعة جنائن خصبة ولا بساتين خضراء وارفة الظلال ، ولا كان لدينا مواسم كرز واجاص وخوخ ودراقن وتفاح

فهمست احدى الفتيات : وكيف كان أبناء القرية يكسبون رزقهم ؟ . . وأي مواسم كانت مواسمهم ؟

قالت أم عساف : كان موسمنا الوحيد ، موسم الحرير . كانت أرض الضيعة مغروسة كلها بأشجار التوت . وهي اشجار لا تحتاج الى المياه ، وكان موسم الحرير ، موسم القز ، يكفي أبناء القرية ويزيد ، إلا انهم كانوا بحاجة قصوى الى المياه

ـ ألم يكن ثمة نبع أو جدول أو عين

ـ لا . لا يا ابنتي لم يكن لدينا نقطة ماء

ـ ومن أين كان أبناء القرية يستقون ؟

ـ في فصلي الشتاء والربيع كنا نستقي من البئار . كان ثمة في القرية بئار عدة . في كل حي من أحياء القرية كانت هناك بئر ، وخلال فصلي الصيف والخريف ، كنا نحن صبايا القرية نحمل جرارنا ونسير زهاء ساعة لنملأ الجرار من «عين الشير» في القرية المجاورة

فازدادت الصبايا دهشة واستغراباً ، لقد كانت صبايا القرية منذ عشرات السنين يسرن زهاء ساعة ليملأن جرارهن من «عين الشير» في القرية المجاورة . يا لهن من تعسات بائسات . . . جداتهن شقين وتعذبن وعانين مرارة التعب والأرهاق ، اما هن ، صبايا القرية اليوم ، فينعمن بالراحة والهناء . ما لهن إلا ان يسرن دقائق قليلة ليصلن الى عين الحلوة ويملأن جرارهن . هذا فضلاً عن ان مياه الري تغمر جميع انحاء القرية وتحوّل أرضها الطيبة المعطاء الى جنائن نضرة ، وبساتين مثمرة ، وجنائن غناء

وعدن الى أم عساف يسألنها ان تقص عليهن قصة عين الحلوة ، ويلححن في السؤال . إلا ان أم عساف لم تجبهن الى سؤالهن .

قالت : قصة عين الحلوة قصة طويلة يا حبيباتي . لن استطيع ان أروي لكن تفاصيلها في دقائق قليلة

ـ ولكن ألا تستطيعين ان تخبرينا الآن كيف أصبح للقرية عين مثل هذه العين العذبة المياه اسمها عين الحلوة

فنظرت العجوز الشمطاء الى الأفق البعيد من خلال الدموع المترقرقة في عينيها وهمست : أصبح للقرية عين اسمها عين الحلوة ، بفضل الحلوة . . . بفضل نجلاء الحلوة التي ضحت وتعذبت وتألمت و . . .

وخنقتها العبرات ، وبدأت الدموع تتدحرج على خديها المجعدين اللذين حفرت السنون فيهما أخاديدها ، وهي اخاديد كالسطور تنطوي على أساطير وخفايا وأسرار

وأدركت الصبايا ان هناك مأساة وراء قصة عين الحلوة ، فازددن رغبة في الوقوف على تلك القصة .

وأقتربت احداهن من أم عساف هامسة : يبدو ان قصة هذه العين مؤلمة دامية يا أم عساف

فأومأت أم عساف برأسها مشيرة بالايجاب ، وهي تمسح الدمع المنهمر على خديها

وهمست : كلما استعدت في مخيلتي ذكريات تلك الايام الآفلة البعيدة أهاجني الحنين ، وهزني الشوق وأثار فيَّ الألم ليدفع بالدموع الى مقلتي . لذلك فأنا احاول دائماً الابتعاد عن تلك الذكريات الرهيبة

وعدن الى الالتفاف حول أم عساف هاتفات : نريد أن نقف منك يا أم عساف على قصة عين الحلوة

ـ الآن ؟ . . . لا . . سأروي لكن هذه القصة يوماً . . .
ولكن ليس الآن وهمّت أم عساف بالوقوف حاملة إبريقها لتعود به الى منزلها القروي ، إلا أن احدى تلك الصبايا اقتربت منها هامسة في أذنها : ألست «كنتك» عروس المحروس عساف ؟ . . .

فتمتمت أم عساف بلهجتها القروية : «تسلملي كنتي»

ـ وهل ترضى أم عساف بأن تكون كنتها على غير علم بقصة عين الحلوة ؟ . .

ـ يا ابنتي . . . انا سأروي لكن قصة عين الحلوة

ـ متى ؟ . . واين ؟ . .

ـ غداً . . . غداً في منزلي

ـ لا . . . نريد ان نقف الآن على هذه القصة

ـ ولكنها قصة طويلة ، قد يحتاج سردها إلى يوم كامل ، وربما استغرق أياماً

ـ لا بأس . . . فلنبدأ الآن بالاستماع الى هذه القصة . ثم تكملين لنا سردها غداً

وأرغمتها على الجلوس

فجلست على المقعد الحجري

وراحت تحدّق بالأفق البعيد وكأنها تريد ان تقرأ في صفحة الأفق البعيد المدى ، الفسيح الأرجاء ، تفاصيل قصة عين الحلوة

وساد الصمت أرجاء المكان ،

وعلقت عيون الصبايا الجميلات بالعجوز الشمطاء يرقبن الاستماع الى القصة الدامية وطال صمت أم عساف ،

وطال معه انتظار الفتيات حتى كاد صبرهن ينفذ

وكان نسيم الصباح العليل يداعب اغصان الاشجار الوارفة الظلال ، فينبعث منها حفيف أشبه بهمسات العشاق المتيمين ،

ونغمات المياه الصافية المتدفقة من ميزاب العين على قوة واندفاع ، تقع في الأذان كأنات الناي ،

واشعة الشمس التي بدأت تبزغ من وراء الجبال تسكب ذوبها على شعر الصبايا كحفنات من الذهب اللامع فتزيده فتنة وجمالاً

وأخيراً . . .؟

وبعد صمت طويل بدأت أم عساف تروي «لكناتها» الجميلات قصة :

عين الحلوة

- ٢ -

قالت أم عساف :

في ذلك الزمن ، ومنذ زهاء ستين سنة كانت «ستكم» أم عساف في مثل عمركن الندي الريان . وكنت مثل جميع صبايا القرية ، أحمل جرتي صباح كل يوم وأشخص الى عين الشير في القرية المجاورة مع رفيقاتي الصبايا»

وتنهدت أم عساف ، وهمست : إيه . . . كلهن رحلن الى العالم الآخر . كلهن سبقنني الى الحياة الأبدية ، وبقيت انا وحدي من الصبايا على هذه الأرض ، انتظر الرحيل ، انتظر اللحاق بالرفيقات الى عالم الأرواح

وصمتت أم عساف . . .

وعاد الصمت يلف أرجاء المكان ، فقطعت إحدى الصبايا حبل الصمت قائلة : وماذا بعد يا أم عساف ؟

قالت أم عساف : «كنا سرب من الصبايا في مطلع الشباب نرى الدنيا كلها أفراحاً ، ومسرات ، وهناء ، وبهجة وسعادة وارفة الظلال

وكان شبان القرية يشخصون ايضاً صباح كل يوم الى الحقول أو الى الكروم ، أو الى الأحراج ، للعمل في حراثة الأرض ، أو في تقليم الدوالي أو في قطع الاشجار للمشاحر وصنع الفحم

وكنا ، نحن الصبايا ، نلتقي ، ونحن في طريقنا الى عين الشير ، هنا في هذا المكان ، بالشبان وهم في طريقهم الى الحقول والكروم والأحراج ، وكان لكل صبية منا معجب أو صديق أو حبيب من اولئك الشبان :

نصري كان صديق نجلاء ، ومنصور كان صديق زهرة ، وسليمان كان صديق سلمى ، وعبود كان صديق سعدى

ـ وأنت يا أم عساف ؟ . . من هو سعيد الحظ الذي كان صديقك

فهمست أم عساف : يا لها من أيام جميلة الرؤى ، ساطعة السناء مخفلة الجناح . كانت «ستكم» أم عساف يومذاك فتاة حسناء في مطلع الشباب يحوم حولها بعض شبان القرية الطامعين في الزواج منها

ـ وانت ؟ . . ألم تختاري حبيباً من بين اولئك الشبان

ـ انا ؟ . . انا لم اختر شاباً

ـ معقول ؟ . .

ـ بل هناك شاب اختارني

ـ من هو . . .

ـ هو فريد . . فريد الذي أصبح فيما بعد أبا عساف

ـ اذن كانت نهاية حبكما سعيدة يا أم عساف ؟ . .

ـ اجل كانت النهاية سعيدة ، أو بالاحرى خيل الينا ، إلي والى فريد ، ان نهاية حبنا سعيدة ، فتزوجنا ورزقنا المحروس عساف ، ولكن سعادتنا يا حبيباتي لم تدم طويلة ، ذلك لأن السعادة على هذه الارض كالضباب ، أو بالاحرى هي كالسراب . نشاهدها من بعيد فيخيل إلينا انها حقيقة ساطعة فنشخص اليها مقتربين منها ، ولكننا لا نستطيع ان ندركها ، وكلما اقتربنا منها ابتعدت عنا . وكلما ابتعدت عنا لحقنا بها ، ونظل لاحقين بها نسعى اليها . ونعدو وراءها حتى يدركنا التعب ، ويقعد بنا العناء عن المسير ، ثم . . . ثم تنتهي طريق العمر ويسدل الستار عن مسرحية الحياة ويدركنا الظلام ويضمنا القبر .

فهمست احدى الصبايا باستفهام : اخبرينا كيف تم زفافك من ابي عساف .

قالت العجوز الحزين : قصة عين الحلوة ليست قصتي ولا هي قصة ابي عساف . انها قصة نجلاء ونصري قصة نجلاء الحلوة ونصري البائس المسكين . انا وفريد تزوجنا بعد حب عاصف شديد دام زهاء سنتين وانتهى حبنا كما اشرت بالزواج اما نصري ونجلاء . . .

ـ ماذا حل بحبهما ؟

قالت أم عساف : تبدأ القصة عندما اكتشف ابناء القرية ان ثمة ثروة مائية كبيرة هنا في هذا المكان ، في هبذه الارض ،

وهذه الارض كانت ملكاً لوالد نجلاء اسعد شهـدان . وكان ابو نجلاء ، مثل جميع ابناء القرية يحب أرضه ويتفانى في المحافظة عليها ، فشخص ابناء القرية اليه طالبين ان يسمح للمهندسين بأن يحددوا مكان وجود المياه في أرضه . . .

وتـردد اسعـد شهـدان قبـل ان يوافـق على طلـب ابنـاء القرية . . ذلك لأنه كان يخشى ان يستولي ابناء القرية على تلك المياه ، وان يستبيحوا الطريق في أرضه للوصول الى المياه

وصمتت أم عساف برهة وراحت تحدق بالأفق البعيد ، وكأنها تستعبد تلك الذكريات الآفلة الهانئة السعيدة

وبعد صمت قصير تنهدت أم عساف هامسة : قصة عين الحلوة بدأت بالخلاف الشديد بـين ابنـاء القـرية وبـين اسعـد شهدان والد نجلاء ، ولم نكن ، نحن الصبايا والشبان لنحفل بذلك الخلاف . كنا منصرفين الى اللهو والمجون ، كانت حياتنا غمرة من السعادة والفرح والهناء ، كما كان يخيل الينا . . . وانا ما زلت اذكر بعض ما كنا نقوم به وما كنا نقدم عليه من أعمال صبيانية . . .

انني ما زلت اذكر ذلك اليوم . . ذلك اليوم السعيد يوم التقينا هنا . هنا على هذه الأرض قبل ان تكون ثمة عين اسمها عين الحلوة

ـ ماذا جرى ذلك اليوم يا أم عساف ؟

ـ كان يوماً صافياً من ايام الربيع الفواح العبير . . .

في ذلك اليوم ، او بالاحــرى في ذلك الصبــاح البهيج كانت نجلاء ، التي كنا نسميها «نجلاء الحلوة» ، وكانت فعلاً «حلوة» ، ترتع في جمال رائع فسيح عميق رحيب ، كانت نجلاء الحلوة ذلك الصبـاح في طريقهـا الى عـين الشـير ، في القـرية المجـاورة حاملـة جرتهـا . وكان نصري المير ابـن ابـي نصري ينتظرها هنا . هنا حيث تشاهـدن الآن ميزاب العـين ، وكان نصري يحمل مْعوله وهو في طريقه الى الحقل ، ووثب نصري الى نجلاء هامساً : صباح الخير يا نجلاء

وهمست نجلاء : نصري !.. لماذا تبكر في المسير الى الحقل اليوم ؟

لقد طرحت نجلاء على نصري هذا السؤال وكأنها تجهـل انه أبكر في المسير الى الحقل ليلتقي بها ويتحدث إليها ؟..

ورد نصري متسائلاً : وانت ايضاً تبكرين في المسـير الى العين ...

قال هذا وكأنه يجهل انها ما أبكرت الا لتلتقي به وتتحدث إليه

وردت نجلاء بقولها : المشـوار بعيد الى عـين الشـير يا نصري فرأيت ان ابكر كي استطيع العـودة قبـل اشتـداد حرارة الشمس

فتسـاءَل نصري المير : لماذا تشخصـين الى عـين الشـير وحدك اليوم ؟

قالت : لست وحدي . رفيقاتي الصبايا في اثري سيصلن بعد قليل . . وانت ؟ لماذا تشخص الى الحقل وحدك يا نصري ؟

قال : وانا ايضاً لست وحدي . . . ورفاقي الشبان مقبلون وسيصلون بعد قليل

فتمتمت نجلاء : ولماذا تجاوزتهم وسبقتهم ؟

قال وهو يقترب منها : نجلاء ! . . أتجهلين ، أم انك تتجاهلين لماذا يبكر نصري في الوصول الى هنا قبل الجميع ؟

ـ لماذا يا نصري ؟

قال : لأراك وأتحدث اليك بعيداً عن العيون والآذان

فأحمرت وجنتاها ، وصبغ الخجل جبينها بلونه الوردي ، ولمعت عيناها بوميض السعادة والارتياح

وصمتت . . . لم تستطع ان تنطق بحرف ، وقد قطعت عليها نضبات قلبها المتسارعة الكلام ، فأقترب نصري منها ليمسك بيدها هامساً : نجلاء ! . . هذه الدقائق القليلة التي استطيع خلالها ان اجتمع بك بعيداً عن كل عين هي أجمل وأفضل ساعات حياتي . السعادة التي تغمر قلبي وأنا أقف قربك هنا كل صباح لا تضاهيها سعادة في الحياة . أنت أملي وحبي وحياتي وسعادتي يا نجلاء

فاغرورقت عيناها بالدموع وكلمات نصري ابن ابي نصري تنزل منها في الأذنين كأناشيد الطيور وحفيف اوراق الورود والياسمين وهي تتهادى بين أيدي النسيم العليل .

وهمست متسائلة : صحيح يا نصري ؟

فشدت يده يدها المرتجفة ليجيب بتساؤل وعتاب : وهل لديك أي شك بما يقول نصري يا نجلاء ؟ . . لماذا تسأليني اذا كنت صادقاً في ما أعلن من اسرار ؟ لك ان تسألي قلبك وهو يجيبك بالخبر اليقين

وتشابكت الأصابع العشر على جوى وهوى وحنين ،

وساد الصمت بينهما

والتقت العيون الأربع في نظرة صافية كصفاء ذلك الصباح الجميل . هادئة كهدوء تلك الوهاد والجبال والتلال والسهول .

وهمس نصري بعد صمت قصير : أحبك يا نجلا احبك حباً لم يعرفه قلب على هذه الارض .

فتمتمت شفتاها بأرتجاف : نصري ! . . ما يختلج في قلبك من هوى وشوق وحب وحنين يختلج في قلبي ، وما يعصف في فؤادك من جوى يعصف في قلبي . وكل ما أطلب من الله سبحانه وتعالى هو ان أعيش العمر كله قربك لا ابتعد عنك ولا تبتعد عني

قال ، واصابعه لا تزال تشد أصابعها : ما تطلبينه من الله تعالى اطلبه انا يا نجلاء . لقد قيل ان السماء تستجيب مطالب المحبين ، وهي تستجب ما نطلب منها وتجمع بيننا مدى الحياة . ستكونين لي زوجة مخلصة وأكون لك زوجاً وفياً ونحيا معاً تحت سقف بيت واحد

وأغمضت نجلاء الحلوة عينيها على الحلم الجميل الرائع السناء الذي يرسمه لها حبيبها نصري . وأطبقت اجفانها خشية ان يهرب ذلك الحلم البهي

وهمست شفتاها : انا خائفة يا نصري ، خائفة من هذه السعادة الوارفة الظلال . فالسعادة حلم ، وقلما تتحقق الأحلام يا حبيبي

قال نصري محاولاً طرد تلك الهواجس والأوهام من رأس حبيبته نجلاء : حلمنا نحن سيتحقق يا نجلاء . وسعادتنا ستكون حقيقة قريبة المدى مستطاعة المنال . انا احبك يا نجلاء يا حبيبتي الحلوة ، وأنت تحبينني . وحبنا هذا قوي . قوي جداً ، لن تستطيع قوة على هذه الارض ان تخمد ناره المتقدة اللهيب ، لقد قيل ان الحب أقوى من الموت . أجل حبنا يا نجلاء سيكون أقوى من كل شيء . حتى الموت لن يستطيع ان يقوى على هذا الحب العظيم المشتعل في قلبي وفي قلبك

فهمست نجلاء ، وهي لا تزال مغمضة العينين : اجل . اجل يا نصري حبنا سيكون أقوى من الموت . . . أقوى من الموت

واذا بوقع خطى يتكسر في آذانهما ، فشخص نصري بنظره مخترقاً اغصان الاشجار المزدانة بالاوراق اليانعة الاخضرار ليتمتم : انه منصور ابن ابي منصور

فانفرجت شفتا نجلاء على ابتسامة زاهية بيضاء لتهمس : منصور ؟ . . من المؤكد ان زهرة في اثره

فهي تعلم ، كما يعلم جميع الشبان والصبايا ان منصوراً هو حبيب زهرة وان زهرة تكون حيث يكون منصور

قال نصري ، والابتسامة تغمر شفتيه : تعـالي نختبـىء عنهما وراء هذه الاشجار لنرى ماذا سيكون منهما

كان نصري مثل معظم شبان القرية يتقن تدبير «المقالب» ورسم فصول الهزل والمزاح

وأمسك مجدداً بيد نجلاء هامساً : تعالي تعالي . . .

وتسلل الحبيبان بين الاشجار ليختفيا وراء شجرة عجوز وارفة الاغصان

وشاهـدا منصـوراً يقتـرب منهما . ويلقـي بمعولـه قرب صخرة حانية متواضعة ، مطلقاً صوته الشجـي مغـرداً بيتـاً من العتابا

وصمتت أم عساف برهة

فتساءَلت احدى الصبايا : أكان منصور ينظم الزجل ؟

وسألت فتاة اخرى : أكان صاحب صوت شجي ؟

فهمست أم عساف : معظم شبان القرية كانـوا يتقنـون نظـم الزجل اللبناني ويجيدون سبك القوافي وعقـد درر العتابـا والميجانا والقصائد والمعن ، هذا النوع من الشعر الـذي خصَّ الله اللبنانيين به ومنحهـم هذه الموهبـة الفـريدة . فاللبنـانيون وحدهم بين شعوب الارض يرتجلون الشعر ارتجالاً ، وهو شعر خاص بهـم ينطوي على الكثير من المحسنـات البيانية ويزخـر بالعاطفة الصادقة والشوق والهوى والشعور والحنين .

اما الأصوات الشجية فكانت تملأ حنايا هذه القرية وتعطر اجواءَها

ومعظم صبايا وشبان القرية كان ذا صوت شجي حنون ، وفي الطليعة كان منصور ونصري وكانت نجلاء وزهرة . . .

وتنهدت أم عساف ،

وتمتمت : وكانت ستكم أم عساف ايضاً . . . ذات صوت شجي . . وهذه الأرض الطيبة وهذه الاشجار والصخور ، ومياه هذه العين الرقراقة العذبة تشهد بما أقول وقد انتشت وسكرت باغانينا واهازيجنا وأزجالنا في حفلاتنا ومهرجاناتنا التي كنا نحييها في هذه الربوع

وتوقفت أم عساف عن الكلام ، وهي تستعيد ذكريات تلك الايام الآفلة الجميلة

وطال صمتها وهي تحذق بالأفق البعيد والدموع تترقرق في مقلتيها ، فأنبرت احدى «كناتها» متسائلة : وبعد ذلك ماذا حدث يا ستي أم عساف ؟

فمسحت أم عساف الدموع المتأهبة للانحدار من مقلتيها الى وجنتيها المجعدتين وتابعت سرد عين الحلوة

قالت : انطلق منصور مردداً بصوته الشجي بيتاً من العتابا :

«هوانا عطر الدنيي هوانا
وصوت المجد غنانا وهوانا
بلبنان الحلو نسم هوانا
خلاّ الجو يسكر والتراب»

وفيما منصور منصرف الى انشاد العتابا كان نصري يتسلل من وراء الاشجار فيلتقطمعول منصور ويعود به الى نجلاء وهو يضحك

وانهى منصور انشاده .

واكتشف ضياع معوله فدهش

وهمس باستغراب : هنا وضعت المعول . . . فكيف اختفى ؟

واذا بوقع خطى زهرة يتعالى . فأسرع منصور الى الاختباء وراء الصخرة

فهو يريد ان يفاجىء زهرة مازحاً

وأطلت زهرة حاملة الجرة

وما ان وصلت الى هنا . الى تلك الصخرة ، حيث هي العين اليوم ، حتى كان منصور يثب اليها هاتفاً بها : زهرة ! . . .

وأجفلت زهرة وسقطت الجرة من يدها فتحطمت

وغمر الحزن والأسى جبين زهرة ، وهي ترمق بنظرها شظايا الجرة المحطمة عند قدميها

وهمست : أهكذا تفعل بي يا منصور ؟ . لقد اخفتني فسقطت الجرة من يدي وتحطمت

وأسف منصور لما حدث . . .

وتمتم : يا لهذا الصباح المشؤوم . انت يا زهرة حطمت جرتك وانا أضعت معولي

فهمست زهرة ، وهي ترمق حبيبها منصوراً بنظرة عتاب : اضعت معولك ؟ . . . هذا جزاء ما فعلت بي . فقد تسببت في تحطيم جرتي . ماذا عساني أقول لأمي عندما أعود الى البيت وتسألني : «اين هي الجرة يا زهرة ؟ . .»

فتقدم منصور منها يمسك بيدها هامساً : فدى عينيك الحلوتين ألف ألف جرة يا زهرة

وأفلتت يد زهرة يد منصور هامسة : كيف سأستطيع الحصول على جرة الآن ؟ . . .

وأطل نصري ونجلاء وهما يضحكان ، ودفع نصري بالمعول الى منصور هاتفاً به : هاك معولك يا منصور . لقد هرب منك فأعدته اليك

وابتسم منصور ، وقد عاد اليه معوله بالسلامة

وتمتمت زهرة : لقد أعاد نصري اليك معولك يا منصور فمن تراه يعيد إلي جرتي ؟

وكان الشبان الشاخصون الى الحقول والصبايا المتجهات الى عين الشير قد وصلوا فبدأوا بأنشاد تلك الاغنية التي اشتهرت في القرية فيما بعد :

«يا زهـرة اللي كسرت الجرة   جبنـالك جرار
بتغـاري والغـيرة مره   وبتبكـي البتغار

وهي أغنية نظمها احد الزجالين «تخليداً» لذكرى تحطيم جرة زهرة وضياع معول منصور . .

وكان الزجالـون في القـرى يدونـون الحـوادث بقصائـد وازجال فتشتهر قصائدهم وتشتهر معها تلك الحوادث والاخبار

وتقول قصيدة «يا زهرة اللي كسرت الجرة»

«منصـور الضيّع معدورو   جبنالـو معادير
تنـكش بالبستـان وطيورو   تتمايل وتطير
والعـرزال اللي بتزورو   الصبـايا بكير
حولـو هالحلـوين يدورو   ويغنـو أشعار

* * *

وسعـدى البتخـاف تفتـح تما   تا تحـاكي جبور
ولمين بدا تشـكي هماً   قلبـا شو مقهور
وهيفـا شافـا ابـن عما   عمبتلـم زهور
ونجـلا اللي عرفـت اما   شو عنـدا اسرار

* * *

وردية ضحـكت عا حنا   وهربـت مع سمعان
تا يخدهـا يا ما تمنى   ابـن بو سليان
وتجـوز زخيا ومـا تهنا   وعالجـازة ندمان
ولـو بتشوفـو شو في عنا   ببهالضيعـة اخبار»

وهكذا كنا في هذه القرية الباسمة الهانئة المطمئنة نقضي ايامنا وليالينا هانئين سعداء مطمئنين»

***

كانت الشمس قد أطلت من وراء الجبال عندما وصلت أم عساف بسرد قصة «نجلاء الحلوة» على مسامع كناتها الصبايا

وبدأ الفلاحون ينتشرون في الكروم والبساتين والحقول ،

فتوقفت أم عساف عن سرد القصة قائلة : غداً سأكمل لكم قصة نجلاء يا حبيباتي

ولم تعترض الصبايا على قرار أم عساف بالتوقف عن سرد القصة

فهن مثل أم عساف مضطرات للعودة الى منازلهن ،

الا انهن اعترضن على توقيت موعد اكمال القصة

فهتفن : لا يا أم عساف . لن نستطيع صبراً الى الغد ستكملين لنا سرد قصة عين الحلوة بعد الظهر ، بعد ان ننهي اعمالنا سنشخص اليك ونستمع منك على تفاصيل قصة نجلاء الحلوة

فتبسمت اما عساف

وهمست : «بعد الظهر ؟ . . لا . . سأكون بانتظاركن في المساء . فنجلس على «سطيحة» منزلي وتستمعن الى تفاصيل قصة عين الحلوة ، والى كل ما جرى لنجلاء الحسناء التي ضحت بكل ما تستطيع فتاة مثلها ان تضحي لاسعاد ابناء قريتنا الحبيبة»

ولم تترك أم عساف لكناتها الصبايا مجالاً للأعتراض فنهضت حاملة ابريقها ، متمتمة : الى اللقاء يا حبيباتي ، الى اللقاء في المساء ، سأكون في انتظاركن على السطيحة

وسارت أم عساف في الطريق البعيد الممتد بين عين الحلوة وبين منازل القرية المنثورة في حنايا الجبل الاخضر الريان على روعة وجمال .

« ... كانت بنات القرية، يحلمن بتفجر المياة ليرتحن من حمل الجرار »

الفصل الثاني

تابعت أم عساف سرد قصة «عين الحلوة» على مسامع كناتها بنات القرية قالت :

«الليل صافي الأديم . . .

والقرية الجاثمة في حنايا الجبال الشامخة الخضراء على روعة وجمال هادئة ساكنة لا يعكر صفو هدوئها وسكونها إلا حفيف أوراق الاشجار المتهادية بين أيدي نسيم الليل العليل

وأبناء القرية ساهرون على الشرفات أو على السطيحات الممتدة امام المنازل المتواضعة الخاشعة السمحاء . . .

وهناك على سطيحة صغيرة تظللها خيمة من أغصان الاشجار ، تمتد بخجل وحياء امام منزل قروي صغير ، جلست أم عساف بين كناتها صبايا القرية تكمل لهن قصة عين الحلوة الدامعة الدامية الحزين

وأرهفت الصبايا الجميلات «كنات أم عساف» ، الآذان للاستماع الى القصة الممتعة

واستوت أم عساف في جلستها على المقعد الطويل بين كناتها لتقول :

«أقام ابناء القرية الباسمة الخضراء على فرحة عارمة فسيحة الارجاء واسعة الاطراف . فقد تأكد لهم ان ثمة في أرض اسعد شهدان ، والد نجلاء الحلوة كمية كبيرة من المياه ، وان بأمكانهم الوصول الى تلك المياه اذا أقدموا على الحفر والتنقيب

وأبناء القرية كانوا يأملون ان يقفوا على الماء في القرية لأن ثمة جداول عديدة كانت تجري في القرى المجاورة لقريتنا . فلا بدّ إذن من ان تكون ثمة مياه تحت الارض في القرية

ولكنهم لم يتأكدوا من وجود المياه حتى لجأوا الى احد المهندسين الاختصاصيين في التنقيب عن المياه طالبين اليه البحث عن المياه في القرية

وجاء المهندس الاختصاصي . .

وبحث وفتش ونقب وأعلن لأبناء القرية الخبر السار : في قريتكم كمية كبيرة من المياه الصافية العذبة الرقراقة

وهتفوا بفرح وسرور متسائلين : اين ؟ . .

قال : هناك . . . حيث يجثم ذلك الصخر الكبير

والأرض «هناك ، حيث يجثم الصخر الكبير» كانت أرض اسعد شهدان والد نجلاء الحلوة

وتساءلوا بقلق : هل يتحتم علينا ان نبذل الكثير من التعب والعناء لنصل الى تلك المياه ؟ .

فأجابهم المهندس الاختصاصي : لا . . . ما عليكم إلا ان تحفروا هناك على عمق ثلاثة أو أربعة امتار حتى تصلوا الى

المياه المخزونـة ، وتتدفـق المياه الغـزيرة في قريتـكم فتشربـون وترتوون وتروون أرضكم العطشى الى الماء

وغمرت الفرحة القلوب والارواح .

وكان أشد أبناء القرية فرحاً اسعد شهدان ، والد نجلاء الحلوة ، وجاره في الارض فارس المير والـد نصري ، ونصري كما تعلمن يا حبيباتي هو حبيب نجلاء الحلوة . . .

إلا ان الفرحة في قلب والد نجلاء لم تدم طويلاً ، ذلك لأن المهندس الاختصاصي حدّد مكان المياه المخزونة ، في اسفل الارض التي يملكها والد نجلاء ،

أي على مطل ارض جاره فارس المير والد نصري .

ومعنى ذلك ان صاحب الارض التي ستتفجر المياه منهـا وتروي القرية كلها لن يكون المستفيد من تلك المياه .

والمستفيد الاول سيكون جاره فارس المير والد نصري

ويومذاك ، منذ ستين سنة ، لم تكن الآلات والمعدات الكهربائية والمحركات قد وصلت الى القرية ،

ولم يكن باستطاعة ابي نجلاء دفع المياه من أسفل ارضه الى اعلاه ، والمياه التي ستتفجر من آخر «جلّ» في أرضه ستجري باندفاع الى ارض جاره فارس المير ، ابي نصري لتنطلق الى جميع اراضي القرية في حين تحرم ارضه من نعمة المياه

وغضب اسعد شهدان . . .

واتهم ابناء القرية بالتواطـوء مع المهنـدس الاختصـاصي عليه .

وقال : لن أسمع بحفر أرضي واتلاف اكثر من خمس شجرات توت «وشجرة التوت يومذاك ذات قيمة كبيرة جداً» . . .

ودهش ابناء القرية ، وابو نجلاء يعلن رفضه السماح بالحفر والتنقيب في أرضه عن المياه .

وهذا الرفض معناه حرمان القرية كلها من الماء ، وقطع الأمل الزاهي الجميل الذي بدأ يغمر ابناء القرية ويشيع البهجة والفرح والاطمئنان في نفوسهم البائسة .

وشخص وجهاء القرية ، وفي مقدمتهم المختار ورئيس البلدية الى اسعد شهدان مستعطفين راجين ، طالبين اليه الرجوع عن القرار المجحف الظالم بحق ابناء قريته ، والموافقة على البدء بالحفر في أرضه سعياً وراء المياه الكامنة في تلك الارض .

إلا ان ابا نجلاء رفض طلبهم وأصر على موقفه الصارم الصريح

قال : لا . . لن اسمح بأتلاف التوت في ارضي وهدم الجدران وبعثرة التراب في مشروع لا يعود عليَّ بأي نفع . لن أكون الضحية في هذه القرية

فأنبرى المختار ليقول : يا أبا نجلاء ! . . أيهون لديك ابناء هذه القرية التي نشأت وترعرعت فيها ، وهم أخوانك وأهلك واصدقاؤك ؟

فرد اسعد شهدان : وهل أهون انا لدى أبناء قريتي ؟

وكيف يرضون بأن أضحي من اجلهم من دون ان يكون لي في هذه التضحية اي افادة ؟

وتدخل رئيس البلدية يقول : ما هو ذنبنا يا ابا نجلاء اذا كانت المياه قد اختارت اسفل أرضك لتستقر فيها ؟ . . وهل يتحتم على جميع ابناء القرية ان يحرموا من نعمة المياه لأنك انت ستحرم منها ؟

قال ابو نجلاء : ليست المياه هي التي اختارت مكانها في ارضي يا سيدي الرئيس . . . الذي اختار ذلك المكان هو المهندس الاختصاصي الذي جاء الى القرية ليعلن ما تريدونه انتم ويحدد المكان الذي اردتموه لاستخراج المياه . . .

وكان في ما يقول اسعد شهدان إتهام صريح لجميع ابناء القرية ، بالتواطؤ مع المهندس المائي

فوثب المختار غاضباً هادراً : لا يا ابا نجلاء . لا اسمح لك بأن توجه لنا وللمهندس المائي مثل هذا الاتهام الخطير . نحن لم نحدد مكان المياه . وليس لأنسان ان يحدد هو مكان المياه في جوف الارض واتجاهها . وانت تعلم ذلك . فلا تحاول توجيه التهم الباطلة الينا لتتملص من القيام بمسؤولياتك تجاه هذه القرية التي نشأت وترعرعت فيها

ووثب رئيس البلدية قائلاً : اسمع يا ابا نجلاء . نحن على استعداد لشراء المكان الذي حدده المهندس ونتولى حفر الارض والوصول اليه . قل . كم تريد ثمن التوتات الخمس وأرضها

فهدر اسعد شهدان : ومن قال لكم انني أريد بيع أرضي

وهبَّ جاره فارس المير ابو نصري اليه متسائلاً : ماذا تريد إذن ؟ تريد ان تحرم ابناء القرية من مياه مخزونة في أرضك وانت لا تستفيد منها شيئاً ؟

فالتفت أبو نجلاء الى جاره ابي نصري هاتفاً : انت آخر من يحق له الكلام بشأن المياه

فعاد أبو نصري ، الى التساؤل : ولماذا ؟ ألست من أبناء هذه القرية ؟

قال ابو نجلاء متهكماً : اجل . . . انت من أبناء هذه القرية ولا تنسَ انك المستفيد الاول من هذه المياه . ومن مصلحتك ان تخرب أرضي لتزدهر أرضك

فغضب ابو نصري وكلام ابي نجلاء اللاذع ينزل منه في الأذنين ،

وهمَّ بالرد على جاره ابي نجلاء بقسوة وحزم ، إلا ان فريداً الظاهر تدخل وتولى هو الرد على ابي نجلاء خشية ان يحتدم النقاش بين أبي نجلاء وأبي نصري ويتحول الى اصطدام

قال : ليس لكما ان تتبادلا التهم الان . . . انا سأحل المشكلة بين ابي نجلاء وابناء القرية

فأرهفت الآذان للاستماع الى ما يقول ابي تامر . . .

وفريد الظاهر كان يلقّب في القرية بأبي تامر ، بالرغم من انه ليس متزوجاً وليس له ولد اسمه تامر . . .

كان فريد الظاهر قد تخطى الخمسين من العمر من دون ان يتزوج . فهو رجل عانس ،

إلاً ان ابناء القرية اطلقوا عليه لقب ابي تامر لأن والـده كان يدعى تامراً .

وكانوا يأملون ان يتزوج فريد الظاهر ويرزق بولد يطلق عليه اسم تامر تخليداً لذكرى والده الراحل . . .

وكان ابو تامر متصابياً . .

لطيف المعشر . . .

يساير ويسامر ويلاطف الصبايا

وله علاقات صداقة بين جميع فتيات القرية وفتيانها .

وكأن يوفق دائماً بين الصبايا والشبان المختلفين

فما ان يعلم ان هناك علاقة متوترة بين حبيب وحبيبة حتى يثب الى الحبيبين يوفق بينهما ويعيد إليهما السلام والوفاق .

وقد أطلق شبان وصبايا القرية عليه لقب «نصير العشاق»

فكان ابو تامر يفخر ويتباهى بهذا اللقب . . . ولم يكن أبو تامر يكتفي بالتوفيق بين العشاق في القرية بل هو كان ايضاً يوفق بين جميع ابناء القرية المتخاصمين

ويحول دون نشوب الخلاف والخصام بينهم .

ولذلك فهـو قد تدخـل يومـذاك للحـؤول دون احتـدام النقاش بين ابي نجلاء وابي نصري . .

قال ابو تامر موجهاً الكلام الى اسعد شهدان : انت يا أبا نجلاء تتهم المهندس المائي بالمكر والخداع ، والتواطؤ مع ابناء

القرية عندما حدد مكان المياه في الأسفل من أرضك . أليس كذلك ؟

فرد اسعد شهدان : وانني لأصرّ على هذا الاتهام . اذ كان بامكان المهندس ان يحدد مكان المياه في الأعلى من أرضي فأستطيع ان أروي ارضي ثم تروى ارض القرية بأسرها

قال ابو تامر : قد تكون على حق يا أبا نجلاء . لذلك فأنا الآن اتكلم بأسم ابناء القرية كلهم . وادعوك الى الاستعانة بمهندس مائي تختاره انت فيحضر الى القرية ويحدد مكان المياه ، على نفقتنا . ونحن على استعداد للنزول عندما يقول ويحدد ويقرر المهندس الذي تختاره انت

ولم يكتف ابو تامر ، بنصير العشاق ، بما ابدى من رأي ،

بل هو التفت الى أبناء القرية يسألهم : ما هو رأيكم في ما اقترح ؟ . . هل توافقون ؟

وردوا بصوت واحد : موافقون يا ابا تامر

وعاد فريد الظاهر الى اسعد شهدان ان يسأله : وانت يا ابا نجلاء . . . ما هو رأيك في اقتراحي هذا ؟ هل توافق ؟

وأجاب ابو نجلاء : أوافق .

قال ابو تامر : ولكن بشرط ان توافق على الحفر فوراً في أرضك حيث يشير المهندس الجديد الى وجود المياه ، فلا تعود الى المماطلة والتسويف والتملص من ارواء حقولنا وبساتيننا وصداقتنا

قال اسعد شهدان : أوافق واتعهد لكم بذلك

فعاد المختار الى الكلام ليقول مخاطباً اسعد شهدان : ولكن عليك ان تسرع في اختيار المهندس ودعوته الى تحديد مكان وجود المياه . امامك اسبوع واحد يا ابا نجلاء . بعد اسبوع سنبدأ بالحفر حيث يشير المهندس الذي تختاره أنت

فأبدى ابو نجلاء موافقته .

وقد أمل بأن يكون نصيبه من المهندس الذي سيختاره أفضل منه مع المهندس الذي اختاره ابناء القرية

وفي اليوم التالي شخص اسعد شهدان الى بيروت باحثاً عن مهندس مائي . . .

ولم يطل به البحث فقد وقع على مهندسين لا على مهندس واحد . . .

ما همه إذا كشف مهندسان أو حتى ثلاثة مهندسين على الارض وتقاضوا اجرتهم ، ما دام ابناء القرية هم الذين سيدفعون لا هو

واصطحب اسعد شهدان المهندسين الى القرية : لا بأس فالمهندسان أفضل من مهندس واحد .

لا بد له من ان يوفق في اقناع احدهما بتحديد مكان المياه في القسم الاعلى من أرضه .

إلا ان المهندسين خيبا أمل اسعد شهدان ،

فهما لم يخرجا في تحديدهما مكان المياه عن المكان الذي حدده زميلهما السابق .

قالا بجزم واصرار : «هنا في اسفل ارض ابي نجلاء تكمن المياه الغزيرة . ولا بد من الحفر هنا للوصول اليها . . .

وحاول ابو نجلاء اقناعهما بتحديد المكان في أعلى ارضه الا انه عجز . فالعلم هو الذي يرسم ويحدد ويجزم في هذا المجال . . .

وأخفق ابو نجلاء في مسعاه

وبات عليه ان يرضخ للأمر الواقع ويسمح لابناء القرية بالحفر في أرضه واستخراج ما يكمن فيها من مياه عذبة غزيرة . . .

غير ان اسعد شهدان تردد في اعلان موافقته على الحفر في أرضه محاولاً التملص مما وعد به

فما كان من ابناء القرية إلا انهم عقدوا اجتماعاً في دار المختار .

ودعوا ابا نجلاء الى الحضور ، فحضر . . .

وانبرى المختار يسأله : ماذا يا ابا نجلاء ؟ . . . هل اقتنعت الآن برأي المهندسين ؟

اجاب ابو نجلاء : يبدو ان المياه تكمن فعلاً في اسفل ارضي

وتساءل رئيس البلدية : اذن انت ستوافق على ان نبدأ بالحفر في أرضك للوصول الى المياه . .

فصمت اسعد شهدان ولم يجب

وعـاد المختـار الى التســاؤل : ما بالك لا تجيب يا ابــا نجلاء ؟ . .

فرد اسعد شهدان : اتركوا لي مجال التبصر والتفكير . . .

فهب ابو تامر هاتفاً : أي تبصر وأي تفكير تطلب إلينا ان نترك لك المجال اليهما . يا ابـا نجـلاء ؟. . انـت وعـدت ، ويجب ان تنزل عند وعدك . . لقد اقدمنا على تنفيذ ما طلبت منا وعليك الآن ان تنجز تنفيذ ما طلبنا منك . . .

فلاذ اسعد شهـدان بالصمـت ، وقـد عزّ عليه ان يخسر خمس اشجار توت وبعض الامتار من أرضه بدون ان تكون له اي فائدة من هذه الخسارة ،

الا ان ابناء القرية تألبو عليه ،

ولاح منهم انهم غاضبون ناقمون

وانهم قد يقدمون على ما لا يرضاه

فهمس ، بلهجته القـروية : «طيب يا عمـي . . متلما بدكم . . .»

فهلّل ابناء القرية وفرحوا

ووثبوا الى اسعد شهـدان يشكرونـه هاتفـين : لم نكن لنشك يوماً بشهامتك وبنبلك وبمرؤَتك يا ابا نجلاء . . .

وقال المختار : ان الضيعة ستذكر لك هذا الجميل يا ابا نجلاء وستقر بفضلك عليها وتعترف بجميلك

وتم الاتفـاق بينهـم على ان يبـدأوا الحفر والتنقيب بعـد يومين . . .

يومان فقط ويبدأ ابناء القرية في البحث عن المياه في أرض ابي نجلاء ،

ولن يستغرق البحث والحفر والتنقيب اكثر من اسبوع . . .

اسبوع واحد فقط وتتدفق المياه في القرية الباسمة

ويبدأ ابناء القرية في غرس التفاح والاجاص والدراقن وجميع أنواع الاشجار المثمرة

وانصرفوا فرحين مطمئنين ، مؤمنين بشهامة ونبل مواطنهم الكريم اسعد شهدان

وعاد ابو نجلاء الى منزله ، حاملاً على كتفيه أعباء ثقيلة من الهم والقلق .

لقد وعد ابناء القرية بأن يقدم اشجار التوت الخمس والامتار التي تزيد عن العشر ضحية اكراماً لعيون ابناء القرية . .

فماذا عليه ان يفعل الآن ؟ . .

ويله اذا برَّ بوعده ونفذه وألف ويل له اذا لم يبّر ولم ينفذ . . .

وجلس على سطيحة داره يفكر بقلق وهم واضطراب

وشاهدت نجلاء الحلوة اباها في جلسته القلقة فأسرعت اليه هاتفة : ما بك يا والدي الحبيب ؟ انني لأرى الهم يطل من عينيك ، ويصبغ جبينك بلون الاصفرار . أتكون ثمة مصيبة حلت بنا ؟ . .

فنظر ابو نجلاء الى ابنته نظـرة حـيرى ، زادت في قلـق نجلاء وفي خوفها على أبيها

واستـوى اسعـد شهـدان في جلستـه القلقـة ليتمتـم : اجل . . . اجل يا ابنتي يا نجلاء . هناك مصيبة نزلت علينا ولست أعلم كيف سأتقيها

فأشتد القلق بنجلاء وهـي تسمـع والدهـا يتحـدث عن وقوع المصيبة ،

وهتفـت بتسـاؤل ملحـاح : ما هي هذه المصيبـة يا والدي ؟ . . ما هي ؟ .

فهمس اسعـد شهـدان مجيبـاً على سؤال ابنتـه : المياه ستتدفق لتروي ارض هذه القرية . .

فلمعت الدهشة في عيني نجلاء الحلوة

وتساءَلـت : أيكون تدفـق المياه في القـرية مصيبـة يا والدي ؟ . .

قال : اجـل . . فعندمـا تتدفـق المياه من أرضنـا نحـن لتروي ابناء القرية وتبعث الاخضرار والازدهار في أرضهم بدون ان نستطيع نحن ان ننعم بنقطة من هذه المياه ، يصبح تدفق المياه مصيبة علينا . . .

فابتسمت نجلاء لتقول : وماذا يضيرنا اذا نعمت القرية بمياهنا يا والدي ؟

فلمع الغضب الشديد في عيني اسعد شهدان

وهتف : يضيرنا اننا سنخسر خمس اشجار توت وزهاء عشرة امتار من الأرض من دون ان نستطيع ارواء أرضنا

قالت نجلاء : وماذا نستطيع ان نفعل ، ما دامت هي مشيئة الله . ثم الا يكفينا ان يرتوي ابناء القرية ويروون أرضهم وهم أهلنا واخواننا ؟

فتمتم ابو نجلاء ، وكأنه لم يسمع كلام ابنته : وما يثير فيَّ مكامن الغضب الشديد هو ان أول المستفيدين من مياهي هو جاري فارس المير ، هذا الرجل الخبيث الخسيس الطماع . . .

ولم تكن نجلاء الحلوة مرتاحة للشتائم تنهال من بين شفتي والدها على والد نصري ، ونصري عندها حبيب القلب والروح

فتمتمت : ما هو ذنب ابو نصري في كل ما جرى وما يجري يا والدي ؟ . .

قال اسعد شهدان ، وهو يهم بالانصراف : هذا الخبيث فارس المير هو أصل البلاء . هو الذي أثار قضية نبش المياه واستخراجها من تحت الارض . . كان يعلم اللعين ان المياه كامنة في آخر «جل» من أرضي . وانه هو الذي سيستفيد من هذه المياه لا انا . فراح يحرض ابناء القرية على البحث عن المياه . لولاه ، لولا فارس المير لكنت بألف ألف خير

وسار اسعد شهدان وهو يتمتم كلمات قاسية خشنة بعثها الغضب الى صدره فانطلقت من بين شفتيه كالنار والحمم

- ٢ -

أبكر اسعد شهدان في الافاقة من النوم والغضب لا يزال مستبدأ به

فهو قلق على مصير «التوتات» الخمس ، والامتار العشرة من أرضه

وارتدى ثيابه على عجل ، وخرج مع المنزل قبل ان تفيق ابنته نجلاء .

وكان من عادته ان يتناول قهوة الصباح مع نجلاء ، كل يوم قبل ان يخرج من منزله ، اما ذلك اليوم فقد أسرع ابو نجلاء في الخروج من الدار ، والهم يعصف به

وشخص تواً الى حقله ، الى المكان الذي حدده المهندس المائي للحفر والتنقيب عن المياه

ووصل الى الحقل .

وراح يعرض «التوتات» الخمس التي ستقتلعها معاول ابناء القرية لتصبح طعماً للنار

وهمس في سره : هذه التوتـات الخمس هي من أفضـل اشجار التوت عندي ، فكيف اسمح بتقديمها ضحية المياه اكراماً لعيون ابناء القرية ؟..

وحوّل نظره الى الارض ، الى التراب ليهمس : وهـذه التربة هي الفضلى عندي . انها أجود تربة وأفضلهـا خصبـاً . فهل يجوز لي ان أهبهـا لأبنـاء القـرية لتـكون نبعـاً أو عينـاً أو جدولاً ؟..

ثم .. ثم كيف سيصل ابناء القرية الى هذا الينبـوع أو الجدول أو العين ؟..

هم من دون شك سيمرون في أرضي من الجهة الشمالية للوصول الى العين ..

ومعنى هذا ان خسارتي لن تقف عنـد التوتـات الخمس والامتـــار العشرة ، بل هي ستتعداهــا الى اكثـــر من ذلك بكثير ...

وضرب اسعد شهدان كفاً بكف

وهمس : «يا خراب بيتـك يا ابـا نجــلاء .. يا ضياع أرضك ...»

وفيما اسعد شهدان يندب أرضه وتوتاته أطل عليه جبـور ابن ام جبور ..

وجبور شاب في زهاء الثلاثين من العمر ، على شيء من السذاجة يقرب حدَّ البله .

الا ان امه ، ام جبور ، وكانت ترى فيه شعلة من الموهبة

والذكاء . وهو وحيدها ، ليس لها سواه في هذه الدنيا .

فقد رحل زوجها ابو جبور عن هذه الفانية ، والمحروس جبور لا يكاد يبلغ الثالثة من العمر ، فتولت تربيته بدموع العين

وكانت تشقى وتتعب في العمل ، حيناً في فرن القرية ، واحيان في بيوت الوجهاء لتوفر للمحروس جبور المأكل والملبس والراحة والسعادة والهناء . .

وعندما اصبح جبور في السادسة من العمر ارسلته الى مدرسة القرية وقد أملت ان يصبح عالماً كبيراً على يد معلم المدرسة

الا ان جبوراً لم يصبح عالماً

ولم يستطع ان يحصل من العلم إلا النذر القليل القليل بالرغم من انه قضى في المدرسة اكثر من عشر سنوات . . ولكن جبوراً استطاع ان يوفر على أمه عناء العمل والتعب والشقاء ، وقد شبَّ وأصبح فتى يانعاً ، فأنطلق الى العمل في القرية بهمة ونشاط

وكان مثل كل شاب ساذج في القرية اللبنانية . غيوراً نشيطاً شهماً يندفع الى خدمة ابناء القرية بهمة ونشاط . .

ففي الاعراس يكون جبور أول الوافدين الى بيت العريس أو الى بيت العروس يحمل الكراسي ، ويقدم الشراب والحلوى للضيوف ، وكأنه من أهل الدار . .

وفي المآتم يندفع جبور الى تقديم القهوة للمشاركين بالمأتم ،

ويدور بطبق التبغ على الضيوف ،
ويبكي مع الباكين على الفقيد الغالي العزيز . .
ويتقاضى دائماً اجرته
ويحسن ابناء القرية إليه ويجودون عليه بالمال وبالثياب وبالطعام . . .

وكما ان جبور ابن ام جبور يكون حاضراً في المآتم والاعراس فهو حاضر ابداً في حفلات الانس والطرب ، وفي المواسم ،

في موسم الحصاد يشارك في جز السنابل الذهبية الصفراء .

وفي موسم قطاف العنب يكون جبور في طليعة القاطفين . . .

وفي صباح ذلك اليوم ، يوم كان ابو نجلاء يعرض توتاته الخمس ويؤبن أرضه التي سيحفرها ابناء القرية ، في صباح ذلك اليوم ، أطل عليه جبور ، وقد علم ان ابناء القرية عازمون على التنقيب عن المياه في ذلك المكان

ومعنى ذلك ان هناك «حفلة» قد لا تجود عليه الايام بمثلها . .

وما ان شاهد جبور اسعد شهدان هناك حتى وثب اليه محيياً مبتسماً ابتسامته البلهاء هاتفاً : الله معك يا ابا نجلاء . . كيف الحال ؟ كيف الصحة ؟ كيف المحروسة نجلاء ؟ .

ورد اسعد شهدان تحية جبور بفتور : الله معك يا جبور . . .

وتقدم جبور من ابي نجلاء متسائلاً : ماذا يا ابا نجلاء ؟ . . هل عزمتم على الحفر هنا ؟. ومتى ستبدأون الحفر . . .

فتبرم اسعد شهدان بهذا الساذج .

لم يكن ينقصه الا هذا الابله لتكتمل مصيبته . .

ولم يرد على اسئلة جبور محاولاً صرفه عنه

إلا ان جبوراً لم ينصرف بل هو مضى في التقدم من اسعد شهدان

كما مضى ايضاً في طرح الاسئلة عليه : أين سيبدأ الحفر يا ابا نجلاء ؟ . . هنا ! . . ام هناك ؟

ولم يجب ابو نجلاء ، بل سار مبتعداً عن جبور

ولحق جبور به يسأله : ما بك يا ابا نجلاء ؟ . . لماذا تبتعد عني ؟

وتمتم اسعد شهدان : دعني يا جبور . اتركني في مصيبتي . . .

فلمعت الدهشة في عيني جبور ابن أم جبور

وعاد الى التساؤل : هل انت حزين يا ابا نجلاء ؟ . . ولماذا ؟ . ماذا دهاك ؟ وما هي مصيبتك ! .

ولم يجب اسعد شهدان

فتقدم جبور منه يسأله : أيكون الله عز وجل قد أنعم عليك بالمياه التي ستتفجر في أرضك وتكون حزيناً ! . .

فتمتم ابو نجلاء اجل . . اجل . . انني حزين لأن المياه ستتفجر في ارضي . .

فضحك جبور وقال : عندك أرض وسيكون عندك مياه يا ابا نجلاء . وانت حزين ؟. فماذا يجب ان نفعل نحن ، وليس عندنا لا أرض ولا مياه ؟ . .

واذا بفريد الظاهر يطل عليهما . .

وما ان شاهد جبور فريداً الظاهر حتى اكفهر ووجم

وهمس : «لقد حضر الشيطان فلتذهب الملائكة . .»

قال جبور هذا وسار مبتعداً عنهما . ذلك لأن بين فريد الظاهر وجبور ابن ام جبور عداوة قديمة متأصلة ،

فكان جبور يعتقد ان أبا تامر يزاحمه على قلوب بنات القرية ، في حين ان ابا تامر كان يأبى على جبور ان «يتطاول» في احاديثه مع بنات القرية . وفي مسايرته لهن ومزاحه معهن . .

واقترب فريد الظاهر من اسعد شهدان هاتفاً : صباح الخير يا ابا نجلاء . . .

ورد اسعد شهدان : صباح الخير يا ابا تامر

قال ابو تامر : أراك تبكر في الحضور الى الحقل اليوم . . خير أن شاء الله ؟

فرد اسعد شهدان : جئت اتفقد الحقل . . . وانت يا ابا تامر الى اين تذهب في هذه الساعة المبكرة من الصباح ؟ . .

فابتسم ابو تامر وأجاب مازحاً : ليس للكهول مثلك ان يسألوا الشبان مثلي عن وجهة سيرهم يا ابا نجلاء .

وضحك ابو نجلاء بالرغم من المصيبة النازلة به .

وتمتم :«آه . . . والله معك حق. . الله يوفقك يا ابا تامر»

قال ابو تامر : ما دمت قد «تصبحت» بك فالله سيوفقني حتماً . وجهك وجه خير يا ابا نجلاء . . وها نحن نرى الخير يتدفق على القرية مع تدفق المياه من أرضك يا صديقي

وصمت اسعد شهدان على مضض . . .

وعاد ابو تامر الى الكلام ليقول : كنت أتمنى ان أطيل رفقتي معك الآن ، الا انني مضطر للمضي ، فانا على موعد وسأمر بك في طريق عودتي . . .

وسار فريد الظاهر مبتعداً عن اسعد شهدان

وعاد أبو نجلاء الى عرض شجرات التوت الخمس والألم يعصف به والقلق يعبث في فؤاده . . .

وفيما ابو نجلاء يعرض التوتات لاح له فارس المير مقبلاً نحوه . . .

وكان ابو نصري قد جاء ليتفقد حقله القريب من حقل ابي نجلاء . . .

وحاول اسعد شهدان الابتعاد ، إلا ان فارساً المير ادركه وناداه : يا ابا نجلاء ! . . يا أبا نجلاء ! .

فالتفت اسعد شهدان الى جاره فارس المير متمتماً : اهلاً بأبي نصري

وتقدم فارس المير من جاره قائلاً : ان ابناء القرية مجمعون على تقديرك واحترامك وشكرك للتضحية التي ستقدم عليها . ان موافقتك على الحفر في أرضك توصلاً لاكتشاف المياه تعتبر تضحية نقدرها وجميلاً سنحمله لك في اعناقنا مدى الحياة .

فأرتد اسعد شهدان نحو فارس المير ليقول : هذا اذا عثرتم على المياه في أرضي . .

فانتفض فارس المير ،

وتمتم متسائلاً : ماذا تقول يا ابا نجلاء ! . . اما زلت تشك في وجود المياه هنا في أرضك ؟

فرد ابو نجلاء : اجل . . فانا اعتقد ان لا مياه في أرضي . واذا صح حكمكم وكان هناك مياه في هذه القرية فلن تكون تلك المياه في أرضي . . قد تكون في أرض غير أرضي . قد تكون في أرض سواي من أبناء هذه القرية .

فثار ابو نصري ، وغضب

وتمتم : لماذا المراوغة يا ابا نجلاء ؟ . . ثلاثة مهندسين اختصاصيين جاؤوا الى القرية فدرسوا وكشفوا وحققوا وجزموا ان هناك كمية كبيرة من المياه هنا في ارضك . وانت ما زلت تشك بوجود المياه ؟ . .

فنظر ابو نجلاء الى الأفق البعيد وقال : ما همني اذا كان ثمة مياه أم لا . .

فعاد ابو نصري الى الاقتراب منه ليسأله : ماذا تعني بما

تقول يا ابا نجلاء ؟ ألا يعنيك أمر أقاربك وأهلك واخوانك في هذه القرية ؟ . .

فالتفت اسعد شهدان الى جاره فارس المير ليقول بكل قساوة وحزم : ولكن يا ابا نصري ، المياه ستتفجر في ارضي ، والقرية كلها ستستفيد من مياه أرضي . أبناء القرية سيستفيدون من مياهي ، وانت في الطليعة يا ابا نصري . إلا انا . . . انا وحدي لن استفيد بنقطة ماء صغيرة من مياهي . .

فتساءل فارس المير : ماذا تعني بما تقول يا ابا نجلاء ؟

فاستدرك ابو نجلاء قائلاً : لا اعني شيئاً . سيكون لكل حدث حديث

قال ابو نصري : أي حدث وأي حديث تنتظر يا ابا نجلاء ؟ . ألم نتفق في دار المختار على حفر الارض هنا !

قال ابو نجلا : لم نتفق على شيء . .

قال ابو نصري بتساؤل ملحاح : ماذا تقول يا ابا نجلاء ؟ لقد اتفقنا على ان يحضر الشبان والصبايا غداً الى هنا ليبدأوا بالحفر ، وابناء القرية كلهم اصبحوا على علم بذلك . . .

قال اسعد شهدان : ولكنني لم أقل كلمتي ، ولم أعلن موافقتي على ما اتفقتم عليه .

فاشتد الغضب بفارس المير ،

وهتف : اسمع يا ابا نجلاء انت قلت «نعم» والرجال عند اقوالها . ان ابناء القرية أمنوا بما قلت ، ووثقوا بوعدك

وبعهـدك . نفـذ ما وعـدت به ولا تكـن من أصحـاب النـوايا السيئة .

قال ابو نجلاء بحنق : أنا لم أكن يومـاً بـين أصحـاب النوايا السيئـة . ولـكـن . فليكن غـيري من اصحـاب النـوايا السليمة

قال ابو نصري : من هو «غيرك» الذي تدعوه الى التمتع بالنوايا السليمة ؟ . .

فرد ابو نجلاء بمكر وخبث ودهاء : انه يعرف نفسه
فعاد ابو نصري الى الصبر يتمسك بحباله
وخاطب جاره ابا نجلاء باللطف واللين

قال : يا ابا نجلاء . دع المصلحة الشخصية جانبـاً . ولنسعَ كلنا من اجل مصلحة وخير القرية

فرد اسعد شهدان بقوله : لماذا تريدون منّي ان اسعـى لمصلحة القرية ولا يقدم واحد منكم على السعي لمصلحتي انا ؟

فرد ابو نصري : وما هي مصلحتك يا ابا نجلاء ؟ . قل ما هي ، وانا اكفل لك ان جميع ابناء القرية يسعون لتحقيقها . قل . . قل ما هي مصلحتك وما هو مطلبك ؟ . .

فأدار اسعد شهدان ظهره لأبي نصري وراح يتمتم : المياه ستنبع من أرضنا وأرضنا ستظل عطشى ، ونحن لن نستفيد من مياهنا شيئاً . .

فاقترب فارس المير من جاره اسعد شهدان راتباً على كتفه

قائلاً : دعك من هذه الافكار السيئة يا أبا نجلاء ، واتكل على الله عزّ وجلّ . . .

قال ابو نجلاء ايه . . سبحانه تعالى ، يرزق أناساً ويحرم آخرين .

قال فارس المير محاولاً استرضاء ابي نجلاء : صحيح ان الله حرمك من نعمة المياه التي ستنبع من أرضك يا ابا نجلاء ، ولكنه ، عز وجل ، أنعم عليك بما هو اغلى وأثمن من المياه

قال اسعد شهدان متسائلاً : وما هي هذه النعمة التي جاد الله تعالى عليَّ بها وستكون عندي أفضل من المياه ومن التوتات الخمس وامتار الارض العشرة التي سأخسرها !..

قال ابو نصري : سينعم الله سبحانه وتعالى عليك بالمحبة . ابناء القرية كلهم سيغدقون عليك محبتهم ، وسيعترفون بجميلك وسيروون لأولادهم ولأحفادهم قصة التضحية التي أقدمت عليها . ولا تنس يا ابا نجلاء اننا كلنا راحلون عن هذه الفانية وليس منا من يأخذ معه شيئاً . لا شجر توت ولا امتار أرض . . .

وخيل لفارس المير أنه وفق في مهمته ، وانه استطاع ان يقنع جاره ابا نجلاء ، الا انه فوجيء باسعد شهدان يلتفت اليه قائلاً : يا أبا نصري ، أريد ان أطرح عليك سؤالاً . وأرجو ان تجيبني عليه بكل صدق وإخلاص

قال ابونصري : هات سؤالك يا ابا نجلاء . ما هو ؟ . .

قال اسعد شهـدان : استحلفـك بشرفـك يا جاري ان تصدقني القول . لو ان المياه كانت مخزونة في آخـر «جـل» من أرضك ، وكانت أرضي واقعة تحت ارضك هل كنت تسمح لي ولابناء القـرية كلهـم بأن يقطعـوا اشجـارك ويستبيحـوا تراب ارضك ليصلوا الى المياه ؟ . .

فرد ابو نصري فوراً : بكل تأكيد اسمح لكم ، وأدعوكم الى حفر الارض واستخراج المياه . ما دام القرية هي الرابحة ، وابناء القرية هم المستفيدون ، وانا لن أخسر شيئاً . .

فهز اسعد شهدان رأسه بهزء وسخرية ليقول : أعرفكم كلكم ، وانت أول من أعرف . كل منكم يبحث عن مصلحته الشـخصية . ولا يسـأل عن مصلحـة جاره . والله لو أن المياه مخزونة في أرضك لما سمحت ليد بأن تمتـد الى أرضـك لتصـل اليها . أعرفك كل المعرفة ، وأعرف نواياك وخفايا قلبك وأسرار نفسك . أعرف مطامعك واهواءَك وانانيتك ، وما انت إلا احد ابناء هذه القرية . . .

وكان ذاك الكلام القـاسي المهـين الـذي نطـق به اسعـد شهدان كافياً لأثارة غضب ابي نصري ،

فوثب الى ابي نجلاء هاتفاً به : كيف تبيح لنفسك النطق بمثل هذا الكلام المهين ، وتوزع التهم الى جميع ابناء القرية . لقد حاولنا استرضاءَك والنزول عند كل مطالبك فلم تفلح . منذ اكثر من ثلاثة أشهر وانت تتلاعب بنا وتمتهن كرامتنا . حيناً توافق على الحفر في أرضك توصلاً الى المياه ، وحينـاً ترفض ،

تارة ترضى وطوراً تحرد وتغضب . ونحن صابرون ، ماضون في استرضائك واستعطافك والحصول على صفاء خاطرك هل يخيل اليك ان ابناء القرية ألعوبة بيدك ، أو انهم دمية تتلاعب وتلهو بها ! .. لقد سئمنا غطرستك وكبرياءَك وتلاعبك بنـا . كلمـة واحدة أقولها لك الآن باسمي وبأسم جميع ابناء القـرية : المياه ستخرج من جوف هذه الارض رضيت أم أبيت

فهدر ابو نجلاء وكلام ابي نصري يقع منه في الأذنين : ومن هو ذاك الذي يجروء على مد يده الى أرضي ؟ . .

قال ابو نصري : نحن . . . نحن ابناء القرية كلنا سنثب الى أرضك ونحفر ونصل الى المياه

فثار اسعد شهدان

وهتف متسائلاً : هل تعنـي انـكم ستحفـرون أرضي بالقوة ؟

ورد ابو نصري بغضب شديد : اجل بالقوة اذا لم ترضَ بالحسنى

فاستشاط اسعد شهدان غضباً

وهدر : ما دمتم تريدون اللجوء الى القوة ، فانا ايضـاً سألجأ الى القوة ، لن اسمح ليد بأن تمتد الى أرضي ولا لمعول بأن يغرز في تراب هذه الارض ، هل تسمع وتفهم وتعي يا فارس المير ؟ . اذهب وابلغ جميع أبنـاء القـرية قراري الأخـير هذا، وليفعلوا ما يطيب لهم ويحلو . . .

فأدرك فارس المير انه اخطأ في اثارة غضب جاره اسعد شهدان

ورأى ان يعود الى سلوك طريق اللين معه

قال : فليعطني الله نعمة الصبر . . . يا ابا نجلاء !. . أنت وعدت ابناء القرية بأن تسمح لهم بالحفر في أرضك . وكنا كلنا في دار المختار فشكرنا لك تضحيتك وباركنا شهامتك ونبلك وكرم اخلاقك ، فماذا بدا اليوم وماذا جرى ؟. . وكيف تعود عن عهد قطعته ، وترفض تنفيذ وعد سخوت به على أبناء القرية !. .

فلم يكن كلام فارس المير اللطيف المهدىء ، ليهدىء غضب اسعد شهدان ولا ليطفىء لهيب ثورته

قال : انا حر . . . الأرض أرضي ، والمياه فيها مياهي أنا ، وليس لأحد ان يصدر إلي الأوامر في كل ما يتعلق بهذه الارض وبهذه المياه . قلت لكم وأعيد القول : «لن اسمح ليد بأن تمتد الى أرضي ، فخذوا علماً بذلك منذ الآن» .

قال ابو نصري متسائلاً : ومصلحة القرية يا ابا نجلاء ؟. .

فرد ابو نجلاء : مصلحتي انا قبل مصالح الجميع . . .

قال ابو نصري : اي مصلحة لك يا ابا نجلاء في ان تظل هذه المياه غائرة تحت الارض ، فتحرم ابناء القرية منها ، وتظل القرية عطشى ؟. . هل يطاوعك ضميرك الحي بأن تحرم ابناء القرية من ارواء عطشهم وري أرضهم ؟. .

قال اسعد شهدان : وانت يا ابا نصري ، هل يطاوعك ضميرك ويسمح لك بان تخرب أرضي وتقطع اشجاري لتروي ارضك ؟..

فعاد ابو نصري الى الهدوء يعتصم به ليقول : أيخيل اليك يا ابا نجلاء اننا اليوم نفكر بأنفسنا ؟.. لا والله اننا لنفكر باولادنا وبمستقبل هؤلاء الاولاد الذين سيعيشون بعدنا في هذه القرية الباسمة الهانئة المطمئنة

فطفت ابتسامة هزء وسخرية على شفتي اسعد شهدان ليقول : هذا صحيح يا ابا نصري . لقد نطقت بالحق . انت تفكر بأبنك وعلي انا ان أفكر بأبنتي . .

فتساءل فارس المير : لم افهم ماذا تعني في ما تقول يا ابا نجلاء .

قال اسعد شهدان اعني انني لا أريد ان اترك لابنتي نجلاء أرضاً صخرية بوراً بلا شجر ولا زرع كي تترك انت للمحروس نصري ارضاً طيبة مزدهرة بالاشجار المثمرة اليانعة الخضراء

فعاد الغضب يستبد بأبي نصري .

وتقدم من اسعد شهدان قائلاً : هل وصل بك الهوس الى هذا الحد يا ابا نجلاء ؟. وهل يخيل اليك ان ابني يسعى الى القضاء على أرضك التي تريد ان تورثها الى ابنتك ؟

قال ابو نجلاء : اذا حققتم حلمكم يوماً وحصلتم على المياه ستصبح ارض ابنتي بوراً قاحلة . وستصبح ارض ابنك جنة خضراء . . .

فرد ابو نصري متسائلاً : وهل يخيل اليك ان ابني وحده هو الذي سينعم بخيرات المياه ؟ . . ان كل ابناء القرية سينعمون بهذه المياه . . .

قال ابو نجلاء بحزم : المهم هو انني لن ادعك ولن ادع ابنك ولا ابناء القرية ينعمون بمياهي . الارض لن تحفر وشجرات التوت لن تقطع والمياه لن تتفجر من ارضي . .

قال ابو نصري بغضب شديد : انك لعلى خطأ . . . الارض ستحفر والمياه ستتفجر

قال ابو نجلاء : لا

وهدر ابو نصري : بلى . .

- لا . . .

- بلى . . .

- لا . . .

- بلى . . .

وكادت المناقشة العنيفة تتحول بين ابي نصري وابي نجلاء الى اصطدام وتماسك بالأيدي . . .

وفجأة أطل فريد الظاهر وهو في طريق عودته . . .

وسمع فريد الظاهر نقاش ابي نصري وابي نجلاء

وشاهدهما يقتربان من بعضهما والشرر يتطاير من عيونهما فخشي ان يقع الاصطدام بينهما وان تنشب المعركة . . .

واذا به يثب اليهما هاتفاً بهما : ما بكما ؟ . . ولماذا تتأهبان للاصطدام ؟ ماذا جرى يا ابا نصري ؟ ما بك يا ابا نجلاء ؟ . .

ولم يجب ابو نجلاء

فعاد فريد الظاهر الى طرح السؤال على ابي نصري : ما بك يا ابا نصري ؟ . . ماذا جرى بينك وبين ابي نجلاء ؟ . . .

فرد ابو نصري بقوله : سل ابا نجلاء ماذا جرى يا ابا تامر

قال ابو تامر : ولماذا لا تجيبني انت على السؤال . قل لي ماذا جرى بينك وبين ابي نجلاء ؟

قال ابو نصري : صاحبك ابو نجلاء تراجع عن وعده لأبناء القرية . وهو لن يسمح لنا بالتنقيب عن المياه في هذا المكان ؟ .

فدهش فريد الظاهر ، وهو يسمع ما يقول فارس المير ، والتفت الى ابي نجلاء ليقول متسائلاً : أهل هذا صحيح يا ابا نجلاء ؟ .

قال ابو نجلاء بكل جرأة وحزم : اجل صحيح . انا ما وعدت بشيء ولست ملزماً بشيء ،

فاقترب فريد الظاهر من ابي نجلاء ليقول بكل حزم وعزم : اسمع يا ابا نجلاء : الارض ستحفر والمياه ستتفجر وافق بالحسنى لئلا يثور عليك ابناء هذه القرية كلهم ويرغمونك

على الموافقة بالقوة : فهدر ابو نجلاء : أتهددني وتتوعدني يا ابا تامر ؟ . . والله انك لعلى ضلال ان كنت تعتقد انك تخيفني ، وان تهديدك ووعيدك سيرغمانني على اباحة ارضي لكم تحرفونها وتعيثون فيها تدميراً وتخريباً

ووعيدك سيرغمانني على اباحة ارضي لكم تحفرونها وتعيثون فيها تدميراً وتخريباً

فالتفت ابو تامر الى ابي نصري قائلاً : ساعدني عليه يا ابا نصري . فلنعمل معاً على اقناعه

فهمس ابو نصري في اذن ابي تامر : منذ ساعتين وانا أحاول جاهداً اقناعه فلم أوفق . لقد حيرني يا ابا تامر . حيناً يعلن موافقته وحيناً يعود عنها معلناً رفضه

فتقدم فريد الظاهر من ابي نجلاء ليقول : يا ابا نجلاء ! . . انت رجل شهم كريم خلوق . واخلاقك الرفيعة تأبى عليك الاساءة الى ابناء قريتك . ان حياة القرية بين يديك يا ابا نجلاء فارتاح اسعد شهدان بعض الارتياح وهو يسمع كلمات المدح والثناء ، تنهال عليه من ابي تامر

قال : انت رجل ذكي يا ابا تامر

فابتسم ابو تامر وتساءل : هل اقتنعت بضرورة الحفر والتنقيب عن المياه يا ابا نجلاء ؟ . .

قال ابو نجلاء : القضية ليست قضية اقتناع أو عدم اقتناع . القضية تنحصر في ان حياة القرية اصبحت في يدي . وهذا ما أريد ان تعرفوه وتدركوه . .

فرد ابو تامر : يا اخي ابا نجلا نحن ادركنا ذلك منذ آمد بعيد . . .

وتدخل ابو نصري ليقول : فلنتكل على الله تعالى يا ابا نجلاء ولنبدأ العمل

وقال ابو تامر : اجل فلنتكل على الله . . . ان الشبان والصبايا قادمون الآن ، وسيحييون حفلة «دبكة» وغناء وانس وفرح هنا حيث سيبدأ الحفر غداً

فانتفض اسعد شهدان

وهتف : يريدون ان يدبكوا ويرقصوا ويغنوا هنا ؟ . . لا . . لا لن اسمح لهم بأن يدبكو في أرضي

فتقدم ابو تامر منه والابتسامة تشع على شفتيه ليقول : بل انت ستوافق وستستقبلهم وترحب بهم ايضاً

فهدر ابو نجلاء : لماذا ؟ . لماذا تريدني ان استقبلهم وأرحب بهم ؟ . لماذا ؟ . .

أجاب ابو تامر : لأن ابنتك نجلاء هي التي دعتهم . . .

وهز اسعد شهدان رأسه بحيرة وأسف ،

وتمتم : الله يسامحك يا نجلاء . . .»

« ... كانت القرية قاحلة ... لا ماء فيها ولا خضار ولا اثمار .. وأشجارها برية ... »

الفصل الثالث

كان قد مضى قسطوافر من الليل عندما وصلت أم عساف في سرد قصتها عند هذا الحد ، فصمتت وراحت تحدق بالأفق البعيد . وتمعن النظر بالنجوم اللامعة في الفضاء ، وكأنها مصابيح معلقة في السماء تفيض نورها الواهي البعيد على البشر، على كل البشر المتواجدين على هذه الارض، لا تفرق بين صالح وشرير ، ولا بين مجرم وبريء ، ولا بين ظالم ومظلوم .

فالبشر كلهم سواء لدى السماء ولدى كل ما هناك وراء الأفق البعيد البعيد

وتعالت أصوات الصبايا المتحلقات قربها

ـ : وبعدئذٍ ماذا جرى يا أم عساف ؟ .

فأدارت أم عساف وجهها المجعد الهزيل نحوهن

وتمتمت : سأكمل لكن القصة غداً

فصحن : لا . . . لا يا أم عساف . . أخبرينا ماذا جرى الآن

وحاولت أم عساف ان ترفض طلبهن وان تؤجل سرد قصة عين الحلوة الى الغد ، إلا أن الصبايا جابهنها بالتوسل والرجاء ،

واستطعن بعد جهد وعناء اقناعها ،

فاستوت في جلستها على المقعد الحجري لتقول :

تدفق شبان وصبايا القرية الى المكان الذي حدده المهندسون الثلاثة في أرض اسعد شهدان ، الى حيث تكمن المياه الغزيرة تحت أرض ابي نجلاء

وكان ابو نجلاء وابو نصري وابو تامر ما زالوا هناك ،

وكان الشبان والصبايا فرحين هازجين ، وهم يتدفقون الى ذلك المكان ، وانتشروا في ارض اسعد شهدان وهم يغنون ويدبكون ويتمازحون ويتغنون بالمياه الغزيرة التي ستندفق في ذلك المكان ،

فوقف ابو نصري وابو نجلاء يعرضون ابناءَ القرية وبناتها في فرحتهم وغنائهم ورقصهم ، والفرحة في قلبيهما ليست بأقل من فرحة تلك القلوب الطاهرة الندية السمحاء ،

أما ابو تامر فقد ابتعد عن رفيقيه اسعد شهدان وفارس المير ، ليندس بين الصبايا والشبان ويشاركهم رقصهم وغناءَهم ومزاحهم .

فهو من الشبان ، وليس له ان يظل قرب الكهلين ابي نصري وابي نجلاء ،

واقترب ابو تامر من نجلاء الحلوة .

وأخرج من جيب شرواله تفاحة كبيرة حمراء ، دفع بها الى نجلاء هامساً : تفضلي واقبلي مني هذه التفاحة يا نجلاء الحلوة .

فتمتمت نجلاء وهي تمد يدها الى التفاحة : شكرا لك يا عمي ابا تامر . ولكن لماذا تزعج نفسك بحمل التفاحة إلي ؟.

فتمتم ابو تامر : ليس ثمة اي ازعاج . ولكن . . .

قالت نجلاء : ولكن ماذا يا أبا تامر ؟.

قال : ولكن لا تخبري وردة وزهرة . . . لا أريد ان تعلم زهرة ووردة بأنني قدمت لك تفاحة

فتمتمت نجلاء : اطمئن فأنا لن اخبر أحداً . .

وفيما ابو تامر يبتعد عن نجلاء الحلوة ، كانت نجلاء تستغرق في الضحك . فهي تعلم ان جيوب شروال ابي تامر ملأى بالتفاح . وانه سيدور على جميع الصبايا ليوزع التفاح عليهن . . .

وكانت نجلاء على حق في كل ما فكرت به ،

فقد شخص فريد الظاهر ، تواً الى وردة ليقدم لها تفاحة لا تختلف في حجمها ولونها الاحمر القاني عن التفاحة التي قدمها الى نجلاء الحلوة .

وتمتم ابو تامر وهو يقدم التفاحة الى وردة : تفضلي يا وردة ، يا وردة جميلة رائحتها العطرة تعطر الأرجاء

فتناولت وردة التفاحة من يد ابي تامر هامسة : شكراً لك يا عمي ابا تامر ، شكراً لك ،

فانحنى ابو تامر على أذن وردة متمتماً : ولكن لا تخبري نجلاء وزهرة بانني قدمت لك تفاحة . .

قالت وردة : لا . . لن اخبرها . .

واتجه ابو تامر الى زهرة ليقدم لها تفاحة ويهمس في اذنها : تفضلي يا ست الحسن ، يا زهرة الزهرات في هذه القرية . . ولكن ارجوك ان لا تخبري نجلاء ووردة

فتساءَلت زهرة : لماذا يا عمي أبا تامر ؟ .

قال لأن نجلاء ووردة شديدتا الغيرة منك ، لانني لا أتحدث اليهما ، ولا أقدم لهما شيئاً

واذا بنجلاء وبوردة تقتربان من صديقتهما زهرة الواقفة قرب ابي تامر

وقدمتا التفاحتين الى زهرة .

قالت نجلاء وهي تقدم التفاحة لزهرة : تفضلي يا زهرة . إنني أقدم لك هذه التفاحة ، وهي هدية العم ابي تامر .

وتمتمت وردة : «الله يخلّي لنا العم ابا تامر . .»

ووجم ابو تامر ، وقد أيقن ان أمره فضح امام الصبايا الثلاث ، نجلاء ووردة وزهرة ، فأسرع بالابتعاد عنهن وهو يتمتم بلهجته القروية القحة : «ولوه . . . ما اطول لسانات بنات هذه القرية

ولحقت به الصبايا الثلاث .

ونادته نجلاء : يا ابا تامر ! . . . يا عمي ابا تامر ! . . .

وهتفت وردة : الى اين انت ذاهب يا عمي ابا تامر ؟ . .»

وقالت زهرة : الحفلة لم تبدأ بعد يا عمي ابا تامر . ألا تريد ان تشترك معنا في الحفلة ! . .

فتمتم ابو تامر وهو يبتعد عنهن : لدي عمل مهم . . الى اللقاء الى اللقاء غداً هنا ان شاء الله

وأسرع في المسير ، فاذا به يلتقي بالشاب نصري ابن ابي نصري . .

فقال نصري ، وهو يحاول إعادة ابي تامر الى الحلقة : الى اين يا ابا تامر ؟ . . يجب ان تشترك معنا في احياء الحفلة .

فهمس فريد الظاهـر : لا يا نصري لا . . . ليس من مصلحتكم ان أظل هنا

وكان الشاب منصور قد أقتـرب منهما فوقف الى جانـب نصري في محاولة اقناع ابي تامر بالبقاء هناك

غـير ان ابـا تامـر رفض البقـاء ، قال : يجـب ان اذهب . . .

فتساءَل منصور : لماذا ؟ لماذا يا أبا تامر ؟ . .

ورد ابو تامر بقوله : قلت لكما ان بقائي هنا لن يكون في مصلحتكـم . إن انا بقيت هنا . فلن يستطيع شاب منكم ان يتحـدث الى صبية من صبـايا القـرية ، كلهـن تحلقـن حولي وانصرفن الى التحدث الي

وابتسم ابو تامر مفتخراً

وهـمس في اذن نصري : هل شاهدتهن يا نصري كيف كن يحمـن حولي كما تحـوم النحـلات حول الـوردة الفواحـة العبير ؟ .

فضحك نصري ، وضحك منصور ،

وهما لا يجهلان من هو ابو تامر العانس المتصابي الـذي يتباهى «بشبابه» وباندفاع الفتيات الى التقرب منه والتحدث اليه

وابتعد ابو تامر عن نصري ومنصور فاذا به يلتقي ابا نجلاء وابا نصري ،

وبادرهما : الى اللقاء يا اخي اسعد ، الى اللقاء يا اخي فارس

فسأله ابو نصري : الى اين يا ابا تامر ؟.

وتساءَل ابو نجلاء : ألا تريد الاشتراك في الحفلة ، وقد كنت دائماً سيد المشتركين في الحفلات يا ابا تامر ! . .

فـرد ابـو تامـر بقولـه : لا . . . لدي بعض الأعمال ، ويجب ان انجزها الآن

والتفت ابو نجلاء الى ابي نصري قائلاً : ابـو تامـر على حق . مكاننا نحن ليس هنا . وليس لنا نحن الكهول ان نظل بين الصبايا والشبان فلنذهب مع ابـي تامـر ، ولنـدع الشبـان والصبايا في فرحتهم العامرة السمحاء

فانتفض ابو تامر ، وكلام ابي نجلاء يقع منه في الأذنين

وهتف : انا كهل ؟ انتما ؟ اجل .. اما انا فلا . . انتما كهلان يا ابا نجـلاء ويا ابـا نصري امـا انـا فما زلـت في شرخ الشباب . .

وضحك الاثنان ، ابو نجلاء وابو نصري .

وقال ابو نجلاء : تعـالَ معنـا يا ابـا تامـر ودع التباهـي بشبابك الآفل الذاوي جانباً الآن . .

فغضب ابو تامر

وهتف : انت يا ابا نجلاء تغار مني وانت يا ابا نصري تحسدني لانني ما زلت شاباً وانتما اشرفتما على العجز

فضحك الاثنان ، ابو نصري وابو نجلاء

وهتفا : تعال تعال معنا ،

وقال ابو نجلاء مازحاً : ليس لك ان تظل هنا مع الشبان ايها الكهل .

فحاول ابو تامر التملص ، والابتعاد عنهما ،

الا ان ابا نجلاء قال له : تعال معنا الى منزلي حيث نتسلى بلعب «الباصرة»

وابو تامر مغرم بلعب «الورق» لا سيما الباصرة

فتمتم : ما دام ثمة لعب باصرة فانا بأمركما . . .

وساروا مبتعدين عن الشبان والصبايا ، عائدين الى دار ابي نجلاء ، والفرحة تغمر قلوبهم ، والوفاق سائد بينهم ، بعد ان وافق ابو نجلاء على حفر الارض في حقله ، وحلت بذلك معضلة المياه في تلك القرية الباسمة الهانئة المطمئنة

وفي تلك الاثناء كان الشبان والصبايا يحييون حفلتهم العامرة في المكان الذي حدده المهندسون للبحث والتنقيب عن الحياة . . . فدبك الشبان والصبايا ، ورقصوا وغنوا . .

وكان صوت نجلاء الحلوة يعطر أجواء تلك الربى والوهاد والحقول والكروم ، وهي تغرد منشدت الاغاني القروية العامرة

بالوطنية الصادقة المتناف حيناً ، وبالشوق والهوى والحنين احياناً .

وانتشى الشبان والصبايا ،

وسكرت تلك الربى والوهاد بالصوت الشجي الحنون المنساب كانسياب النسيم العليل العابق بالشذا والعبير ،

وتشابكت الأيدي ، ايدي الصبايا والشبان في حلقة الدبكة . . . كل يد حبيب بيد حبيبة : يد نصري بيد نجلاء ، ويد منصور بيد زهرة ، ويد سليمان بيد سلمى ، ويد عبود بيد سعدى .

وامتدت الحفلة الى ما بعد الظهر

فتوقف الشبان الصبايا عن الرقص والغناء

وبدأوا يتأهبون للعودة الى المنازل ، وقد اتفقوا على احياء الحفلة الكبرى يوم البدء بالحفر توصلاً الى المياه المنشودة .

يومذاك ، يوم يبدأ الحفر ستكون حفلة عامرة زاهية زاهية

اما يوم تتفجر المياه وتنساب الى حقول وبساتين القرية فستكون حفلتهم من حفلات العمر التي يسجلها تاريخ القرية المجيد .

وساروا . . .

وفيما نجلاء تهم بالمسير مع الرفيقات كان نصري يقترب منها هامساً في اذنها : نجلاء ! . . . ابقي هنا قليلاً . لا تذهبي معهم الآن

فتساءلت نجلاء بدهشة واستغراب : لماذا يا نصري ؟ .

قال : أريد ان اتحدث اليك في بعض الأمور المهمة

فلمعت البسمة الزاهية على شفتي نجلاء الحلوة ، ونصري يعلن لها انه يريد التحدث اليها : «في أمور مهمة» ، فليس أحب لديها من البقاء قرب نصري ، سواء أكان هناك أمر هام أم لا

كل ما يهم نجلاء الحلوة هو البقاء قرب نصري والتحدث اليه ،

وكل ما يتحدث به نصري إليها ، وكل ما تتحدث به اليه ، هو من الاهمية عندها وعند نصري في أعلى مقام ،

والتفتت نجلاء الى نصري هامسة بتساؤل ما هي هذه الأمور المهمة التي تريد التحدث بها إلي يا نصري ؟

قال ، وهو ينظر الى الشبان والصبايا السائرين الى منازلهم ، وكانوا قد بدأوا يبتعدون قليلاً عنهم : مهلاً يا نجلاء ريثما يبتعدون

فنظرت نجلاء الى نصري نظرة ملؤها الحب والعطف والحنان هامسة : لقد ابتعدوا ، ولن يقع ما ستقوله في اذن غير اذن نجلاء . قل . قل يا نصري . . . ماذا تريد ان تقول .

قال : تعالي . تعالي الى هناك . هناك عند الشجرة الوارفة الظلال . تعالي نقف هناك حيث تحجبنا اغصان الشجرة الخضراء الوارفة عن كل عين ، وحيث لا يسمع احد ما سنتحدث به يا نجلاء .

وسار . . .

فسارت قربه ، وقلبها مسرع النبضات :

ترى ماذا سيقول لها حبيبها نصري ؟ ولماذا كل هذا التحفظ والتخفي والخشية من الآذان والعيون

ووصلا الى هناك . الى تحت اغصان الشجرة العجوز الدائمة الاخضرار .

فوقف نصري ليقول : منذ ايام وانا احاول ان اجتمع بك يا نجلاء من دون ان أوفق .

فدهشت نجلاء

وتمتمت : نحن نجتمع كل يوم تقريباً يا نصري

قال : هذا صحيح يا نجلاء ولكن لا نكون وحدنا ، كلما سنحت لنا الفرص في الاجتماع نكون بين الصبايا والشبان ، بين الرفاق والرفيقات . وما أريد ان أقوله لك لا يمكن قوله على مسمع احد .

فابتسمت نجلاء .

وهمست : كان عليك ان ترسم الخطة وتجد الفرصة ، لتجتمع بي على انفراد

قال : رسمت وخططت ، غير انك لم تساعديني على إيجاد الفرصة للاجتماع . كنت كلما حاولت التقرب منك تهربين ، وكلما هممت بالتحدث اليك على إنفراد تبتعدين فكأنك غريبة عني ، وكأن ليس ثمة حب قوي كبير يربط بين قلبينا يا نجلاء

فتمتمت نجلاء الحلوة : نصري !. انت تعلم أي حب

طاهر عظيم احفظ لك في قلبي ، وتعلم ايضاً اي ظروف هي ظروفي القاسية الخانقة التي أعيشها في رعاية والدي . وهل تجهل يا نصري اية قساوة هي قساوة والدي علي ؟. فهو يحصي عليَّ خطواتي ، ولا يسمح لي حتى بزيارة بعض الصديقات . فكأنه يخشى عليَّ من النسيم والنور والهواء .

فابتسم نصري ليقول : لا بأس . فليفعل والدك ما يطيب له الآن . وغداً عندما تصبحين في داري سأعرف كيف «آخذ ثأري» منه . غداً عندما تصبحين زوجة نصري إبن ابي نصري ، لن يستطيع ابو نجلاء ان يحول بيني وبين حبيبتي نجلاء . يومذاك سنعيش معاً تضمنا دار واحدة ، نقيم معاً الليل والنهار ، فلا نخشى عيناً تراقبنا ولا نخاف اذناً تسترق همساتنا واحاديثنا .

فانتشت نجلاء بكلمات حبيبها نصري الحاملة بين طياتها الأمل الوارف المخضل الجناح بالمستقبل الآتي القريب ،

وتمتمت بتساؤل ملحاح : ولكن متى ؟ . . متى سيطل علينا ذلك اليوم الهانىء الزاهر السعيد يا نصري ؟ . .

فرد نصري بقوله : لقد بات قريباً . . قريباً جداً جداً يا نجلاء سيكون عرسنا يوم تتفجر المياه في هذه القرية . يومذاك ستكون فرحة القرية فرحتين : فرحة بالمياه ، وفرحة بعرس نصري ونجلاء

فلمع الفرح بنوره الساطع الوهاج في عيني نجلاء الحلوة ، ونصري يحدد موعد العرس . . .

موعد العرس اذن سيكون تنبع المياه في القرية ،
وهو يوم بات قريباً جداً
قد يكون بعد اسبوع أو بعد اسبوعين ، أو بعد شهر على أبعد تعديل . . .
ولكن . . .
وتوقفت نجلاء بتفكيرها عند كلمة ولكن . . .
والتفتت الى حبيبها نصري متسائلة : ولكن اذا خاب الأمل ، ولم تكن ثمة مياه في هذه القرية .
فابتسم نصري
وقال : عندئذٍ ستكون فرحة ابناء القرية فرحة واحدة لا فرحتان . وهم الخاسرون لا نحن . . .
ثم استدرك نصري ، فتمتم : ولكن ثقي يا نجلاء ان هناك مياها غزيرة جداً هنا في هذه الارض . وكان علينا ان نبحث عنها ونصل اليها منذ سنوات ، إلا ان الاقدار أبت علينا ان نصل الى هذه المياه حتى الآن
فتمتمت نجلاء الحلوة : فليحقق الله سبحانه وتعالى آمالنا يا نصري
قال نصري : وليحقق عز وجل فرحتينا بالعرس وبالمياه . .
وأمسك نصري بيد حبيبته نجلاء قائلاً : تعالي نجلس هناك على هذه الصخرة يا نجلاء
فهمست نجلاء : لا يا نصري . يجب ان أعود الآن الى

البيت ، والذي يقيم على انتظار عودتي ، والويل لي ان انا تأخرت في الوصول الى البيت .

فشد نصري يد نجلاء قائلاً : تعالي . فانا لم أقل لك بعد ، ما أريد ان أقوله . تعالي يا حبيبتي تعالي .

وسارت نجلاء معه . . .

وجلسا على تلك الصخرة المتواضعة تحت ظلال الشجرة الوارفة الاغصان ، حيث هي العين اليوم ،

واخرج نصري من جيبه خاتماً ذهبياً مطعماً بالماس ، دفع به الى نجلاء قائلاً تفضلي واقبلي مني هذا الخاتم يا نجلاء

فدهشت نجلاء وتمتمت متسائلة : ما هو هذا الخاتم يا نصري ؟ ولماذا تدفع به إلي ؟.

قال : هذا الخاتم عزيز على قلبي يا نجلاء ، وهو ينطوي على ذكريات بعيدة الرؤى مخضلة الاحلام

فتساءلت نجلاء ويدها تقبض على الخاتم الثمين : ما هي قصة هذا الخاتم يا نصري ؟

قال : قبل ان تتوفى والدتي رحمها الله ، اعطتني هذا الخاتم وقالت لي : «نصري ! . . . هذا الخاتم ثمين وعزيز علي جداً يا ابني . لقد ورثته عن امي رحمها الله ، وامي كانت قد ورثته عن امها ، وسترثه عروسك يا نصري ما دام ليس لك اخت. غداً يوم تختار العروس التي ستصبح زوجتك وتخطبها، ضع هذا الخاتم في أصبعها لأنني لا اكون قربكما ولن استطيع ان اضع انا هذا الخاتم العزيز الثمين في اصبعها . ضع هذا الخاتم

في اصبع عروسك يا نصري ، وصل معها من اجل راحة نفسي

فأدمعت عينا نجلاء وهي تسمع قصة ذلك الخاتم الاثري الثمين الذي اهدتها اياه ام نصري قبل ان تتعرف اليها وقبل ان ترحل عن هذه الارض

وهمست : فليرحمها الله يا نصري ، وليسكنها فسيح جنانه .

وكان الخاتم لا يزال في يد نجلاء فعاد نصري الى استعادته من يدها وقال لها : هاتي اصبعك يا نجلاء . . .

ومدت نجلاء الحلوة يدها فوضع نصري ذلك الخاتم في يدها هامساً : لقد نفذت الآن أوامر امي .

فتمتمت نجلاء : أمك قالت لك : «ضع هذا الخاتم في يد عروسك» وانا لم اصبح عروسك بعد يا نصري

فابتسم نصري

وهمس : لقد اصبح هذا الخاتم من حقك يا نجلاء . ألم نتفق على الحب والوفاء والزواج . ألست موافقة على ذلك يا نجلاء .

فترقرقت الدموع في عيني نجلاء

وهمست : أتسألني اذا كنت موافقة على الحب والوفاء والزواج منك يا نصري ؟ ألم تسمع نبضات قلبي ، ومع كل نبضة من تلك النبضات بوح بحبك واعتراف صريح بالوفاء ؟ . ألم تنظر الى عيني يا نصري ومع كل ومضة نور من هاتين العينين

بريق حبي لك وهيامي بك ورغبتي الملحاح في قضاء العمر كله قربك يا حبيبي ؟

فانتشى نصري ولكمات حبيبته نجلاء تنزل منه في الاذنين كحبات الندى في براعم الازهار والورود والرياحين

وهمس وهو يشدها الى صدره برفق وشوق وحنين : نجلاء ! . . لقد قرأت اسطر الحب العظيم في عينيك واستمعت الى نبضات قلبك الطاهر النبيل تعلن لي اخلاصك ووفاءَك ورغبتك في الحياة قربي طيلة العمر ، انني لعلى يقين من حبك يا نجلاء . اتعلمين لماذا يا حبيبتي ؟

فتساءَلت نجلاء : لماذا يا نصري ؟

قال : لان ما اعلنته نبضات قلبك هو ما اعلنته نبضات قلبي ، وما استقر في وميض عينيك الحلوتين استقر في بريق عيني . ان قلوب المحبين تتفاهم قبل ان يتفاهم المحبون ، وعيونهم تبوح بسر الهوى قبل ان تبوح به شفاههم وقلبي وقلبك تفاهما يا نجلاء قبل ان نتفاهم نحن ، وعيوننا باحتا بكل ما لديهما من اسرار الهوى والحب والغرام . نجلاء ! . يا حبيبتي يا أملي الوحيد وحياتي ونور عيني فليأخذ الله بيدي كي استطيع ان اسعدك يا نجلاء

فهمست نجلاء ويدها تشد يد نصري : سعادتي كلها قربك يا حبيبي . . .

ورمقت نجلاء الخاتم الذي وضعه نصري في بنصرها

وتمتمت : نصري !. انت عندما وضعت خاتم المرحومة امك في إصبعي نفذت نصف وصيتها . . .

فتساءَل نصري : كيف؟ . .

قالت : لقد قالت لك امك ، رحمها الله : «ضع هذا الخاتم في اصبع عروسك ثم صلِ معها من اجل راحة نفسي» أليس كذلك !.

قال نصري : أجل هذا ما قالته امي

قالت نجلاء : وقد وضعت هذا الخاتم في اصبعي ، ولكنك لم تصلِّ معي من اجل راحة نفسها .

فصمت نصري ، وقد أدرك ان نجلاء على حق .

وعادت نجلاء الى الكلام بعد صمت قصير لتقول : فلنركع هنا ونصلِ معاً من اجل راحة نفس والدتك يا نصري .

قالت نجلاء هذا وركعت فوق الاعشاب بدون ان تنتظر موافقة نصري . .

وبدون ان ينبس نصري بحرف ركع قرب حبيبته نجلاء . وراحا يصليان معاً طالبين الى الله تعالى ان يغمر أم نصري بعطفه وبحنانه ويغفر لها خطاياها ويسكنها فسيح جنانه . .

ونهضا وقد انتهيا من تلاوة الصلاة .

والتفتت نجلاء الى حبيبها نصري هامسة : والآن يجب ان أعود فوراً الى البيت يا نصري

فأمسك نصري بيدها متمتماً : متى سنجتمع ثانية يا نجلاء ؟

قالت : اننا لنجتمع كل يوم يا نصري

قال : ولكننا لا نستطيع ان نتكلم بمثل ما تكلمنا به الآن ، وهناك حيث نجتمع يكون معنا دائماً الشبان والصبايا

فابتسمت نجلاء ، وقد ادركت ان نصري يريد ان يخلو بها ليسكب في أذنيها كلمات الهوى والحب والشوق والحنين

فتمتمت : اين ؟. ومتى تريد ان نجتمع يا نصري ؟

قال : سنجتمع هنا .. هنا كل مساء عند الغروب يا نجلاء بعد ان يعود الفلاحون والحطابون والعمال الى منازلهم وتخلو الطرقات من المارة . هنا لن يسمع احد همساتنا ووشوشاتنا وأحاديثنا ، ولن يرانا احد ولا تقع علينا عين

واذا بصوت يهدر في آذانهما : ومن قال لكما انكما ستكونان في مأمن من الآذان والعيون ؟ من قال لكما انه لن يراكما احد هنا وانه لن يسمع احاديثكما احد ؟ انا هنا رأيت كل شيء وسمعت كل شيء منكما

فذعرت نجلاء ووجم نصري وذلك الصوت يقع منهما في الآذان

والتفتا الى مصدر الصوت فاذا بهما امام جبور ابن ام جبور يثب اليهما من وراء الصخرة المتواضعة وهو يضحك ضحكته الساذجة البلهاء

وهمست نجلاء ، وقد وقعت عيناها على جبور : يا ويلي لقد فضح أمري . . .

وبكل «همة ونشاط» تقدم جبـور من نصري ونجـلاء ، واتجه وقد اصبح على مقربة منهما ، نحـو نجـلاء يسألهـا بكل بساطة وسذاجة وبلاهة : «كيفك يا حلوة ؟ . .»

وقبل ان تجيب «الحلوة» جبور على سؤاله كان نصري يتقدم منه محاولاً التودد اليه ليقول : اهلاً اهلاً بجبور ، كيف الحال يا جبور ؟ كيف الصحة ؟

وبكل وقار وشموخ رد جبـور بكلمـة واحـدة ، كلمـة واحدة فقط : «مليح . . .»

وتابع نصري التودد الى جبور والترحيب به

قال : اهلاً اهلاً . . . كم انا في اشتياق اليك يا جبور ، منذ امد بعيد لم نمتع انظارنا بطلعتك البهية . اين كنت يا جبور اين طيلة هذه المدة ؟ . .

ورد جبور ، بدون ان يخرج عن وقاره : كنـت هنـا ، وراء هذه الصخرة استمع اليكما . . .

فازداد القلـق بنجـلاء وجبـور يعلن انـه كان وراء تلك الصخرة يستمع اليهما

وتقدمت منه تسأله : وماذا سمعت يا يا جبور ؟ .

وخرج جبور عن وقاره هذه المرة . وابتسم «للحلوة التي تتقدم منه

واجابها : لقد سمعت منكما كلاماً حنوناً رائعاً ، الا انه كلام يثير الألم ويبعث الى العيون الدموع

وعاد نصري الى الاقتراب من جبور ، وهو يبتسم له قائلاً : وانت شاب شهم نبيل كريم يا جبور لن تطلع احداً على ما سمعت منا . أليس كذلك ؟

فنظر جبور نظرة بله بلهاء ليقول : سأفكر بالأمر يا نصري ابن ابي نصري . . .

فاقتربت نجلاء من نصري هامسة : إنها لمصيبة دهياء وقعنا بها يا نصري

فهمس نصري : اطمئني يا نجلاء انا سأتدبر امره

قالت : يا ويلي ، يا ويلي . . . ماذا سأفعل اذا علم والدي بالأمر ؟ . .

قال نصري : إطمئني يا نجلاء ، لن يصل بنا الأمر الى هذا الحد من الخطورة

قال نصري هذا ثم التفت الى جبور هاتفاً : يا جبور ! .

وأجاب جبور : نعم ؟. أمر ؟ . .

فقدم له لفافة قائلاً : تفضل سيكارة . .

وتناول جبور اللفافة وتساءل : سيكارة واحدة فقط ؟ . . وضحك نصري ودفع بعلبة التبغ الى جبور قائلاً : لا . . خذ «العلبة» كلها يا جبور ولمعت الفرحة في عيني جبور ، ونصري يقدم له علبة التبغ

وتمتم : الله يكثر من خيرك يا نصري ابن ابي نصري ، يا ابن الكرم والجود يا صاحب الكف المبسوط والهمة الشماء والشهامة والنبل والمروءة

كل هذه الالقاب والاوصاف سبقها جبور ابن ام جبور على نصري لقاء علبة تبغ ، فماذا عساه كان يغدق عليه لو نفحه بمبلغ من النقود ؟.

وربت نصري على كتف جبور متسائلاً : لماذا جئت الى هنا يا جبور ؟.. وهل هناك من أوفدك الينا ؟..

كان نصري يخشى ان يكون ثمة من يتجسس عليه وعلى نجلاء ، واذا صحت خشيته فالمصيبة ستكون عظيمة ، إلا ان جبوراً بدد مخاوف نصري بقوله : لا ... لم يطلب إلي أحد الحضور الى هنا ... انا جئت لاشترك معكم في الحفلة ولكنني وصلت متأخراً

وظهر الحزن على وجه جبور

وتمتم بلغته القروية : «ما أنا كل عمري معتر ... لو ما كنت معتر كنت وصلت قبل ساعة أو قبل نصف ساعة على الأقل . ودخنت كم سيكارة وشربت كم كاس وأكلت كم تفاحة ...»

وتقدمت نجلاء الحلوة من جبور متسائلة : هل تأكل تفاحاً يا جبور ؟..

ورد جبور : «مناكل ..» والتقطت نجلاء التفاحة التي

كان قد اهداها اياها ابو تامر ، وكانت قد القت بها جانباً بعد انتهاء الحفلة .

وقدمتها لجبور متسائلة : هل تعجبك هذه التفاحة يا جبور ؟ . . .

فرد جبور : «كل شي من يدك مقبول يا حلوة . . .»

وتمتمت نجلاء وهي تدفع بالتفاحة الى جبور : انها تفاحة «حلوة» يا جبور .

فضحك جبور

وتمتم : «مش أحلى من خدودك»

قال جبور هذا وبدأ بقضم التفاحة

وربتت نجلاء على كتف جبور هامسة «صحتين يا جبور صحتين . . .»

وهمس جبور : متشكر يا حلوة متشكر

وسألته : الى اين ستذهب الآن يا جبور ؟

قال : «مطرح ما الهوا بيشحنا . .»

ـ واين سيشحك الهواء ؟

ـ ما حدا بيعرف

قالت نجلاء : من المؤكد انك لن تجتمع بوالدي الآن ولن تراه

قال : «مين بيعرف . . . يمكن شوفو هلق ، ويمكن ما شوفو بعد سنة . . .»

وتقـدم نصري من جبـور والبسمـة تطفـو على شفتيه ليقول : يا اخي جبور ، لي عندك طلب

فتوقف جبـور عن قضـم التفاحـة ليقـول : ما هو هذا الطلب يا نصري ؟. . . فاتسعت الابتسامة على شفتي نصري

وقال : انت يا جبور لم تسمع شيئاً ولم ترَ شيئاً أليس كذلك ؟. .

فزعق جبور : «مش صحيح . . »

وتابع نصري كلامه قال : لم تشاهدني انا ونجلاء واقفين نتحدث هنا عند هذه الصخرة

فهدر جبور ابن أم جبور : بل انا شاهدتكما وسمعت كل ما جرى بينكما من حديث يا نصري

وتدخلت نجلاء موضحـة لجبـور كلام نصري الـذي لم يستطع جبور فهمه

قالت : عندما يقول لك نصري انك لم تسمع حديثنـا ولم تشاهدنا فهو يعني كأنك لم ترَ ولم تسمع

فظهرت الحيرة على وجه جبور

وتمتم : لم أفهم . . .

قال : نصري يعني انك ستنسى ما رأيت وما سمعت

قال جازماً : «لا . . . انا لا أنسى شيئاً . . .

فمضت نجلاء في الايضاح

قالت : نصري يعني انك كتوم خلوق شهم نبيل وأنك لن تخبر احداً بما رأيت وسمعت

فضحك جبور وضرب كفاً بكف

وهدر : نصري ابن ابي نصري لا يتكلم الاَّ بالالغاز . لم افهم منه شيئاً . أما انت فقد أوضحت لي الأمر وبدأت افهم . . اكملي ، اكملي حديثك يا حلوة وفهميني . . .

قالت نجلاء : نريد منك يا جبور ان لا تخبر احداً بانك رأيتنا هنا نتحدث هل فهمت الآن ؟ . .

فاومأ برأسه متمتماً : فهمت . . .

فتابعت نجلاء : لا سيا والدي . . اياك ان تخبر والدي يا جبور . هل فهمت الآن ؟ . .

قال «معلوم فهمت . . . »

ـ ماذا فهمت ؟ . .

ـ فهمت يا حلوة فهمت

ـ قل لي ماذا فهمت ؟ . .

ـ فهمت انك لا تريدين ان اخبر احداً بانني شاهدتك مع نصري هنا الا اباك . . لن اخبر احداً وحياتك يا نجلاء الا اباك فقط

فأغضبت بلاهة جبور نصري ،

وتقدم منه هاتفاً : لا يا جبور لا . . لا تخبر احداً لا والدها ولا غير والدها

وتقدمت نجلاء منه لتقول : يا جبور لا أريد ان يعلم والدي انني كنت أقف هنا مع نصري . هل فهمت الآن لا تخبر احداً ابداً ابداً ابداً

قال جبور : «تكرم عينك يا حلوة وحياتك لن اخبر احداً . . .»

قالت نجلاء : هذا كل ما أريد منك يا جبور ، وارجو ان تنفذ إرادتي لأكون راضية عنك

وعاد نصري الى الكلام ليقول : وسأقدم لك هدية يا جبور ان انت نزلت عند طلبنا

فتساءَل جبور : ما هي هذه الهدية يا نصري ؟

قال نصري ستكون هدية ثمينة

فضحك جبور ضحكته البلهاء

وقال : اتفقنا يا نصري ابن ابي نصري . . . ولكن متى ستقدم لي هذه الهدية ؟

قال نصري : عندما اتأكد من انك كتمت السر ولم تخبر احداً بما رأيت وسمعت

قال جبور : لا تخف يا نصري . سرك محفوظ عندي . لن يعلم به احد ، فهات الهدية الآن ولن تكون إلا راضياً

قالت نجلاء : اطمئن يا جبور فهديتك مضمونة . غداً سيقدم لك نصري هذه الهدية . اذهب الآن ولا تخبراحداً بما تعلم

فمضى جبور في ضحكته ليقول : عظيم . . . اتفقنا . الى اللقاء يا نصري ، الى اللقاء يا نجلاء الحلوة

وسار جبور مبتعداً عنهما .

إلا انه لم يسر خطوات قليلة حتى عاد ادراجه ليسأل نصري : ولكن يا نصري لم تقل لي ما هي هذه الهدية

فابتسم نصري وأجاب جبوراً : غداً ستعلم ما هي هديتك يا جبور . تعال غداً الي وتسلمها

فهز جبور رأسه موافقاً

وتمتم : »طيب بكرا منشوف . . . بخاطركم . . .«

وسار جبور مبتعداً عنهما ،

ولم يعد هذه المرة

فالتفتت نجلاء الى نصري قائلة بقلق : انني خائفة يا نصري . . . لا أعلم ما بي ، يخيل الي ان والدي سيكتشف أمرنا ، وسيعلم انني كنت اقف معك هنا ، وحدنا ، واننا تبادلنا احاديث الحب والهوى والهيام .

فأمسك نصري بيدها ليقول : اطمئني يا حبيبتي فوالدك لن يقف على سرنا ، ولن يعلم شيئاً . وانا لن اتأخر في طلب يدك . ان والدي سيطلب لي يدك من والدك قريباً جداً . ولا أخال والدك رافضاً الطلب

فهمست نجلاء : انني لاخشى ان يكون نصيب هذا الطلب الرفض يا نصري لا سيما اذا وقف والدي على ما بيننا . واذا علم اننا نخلو معاً . واننا على علاقة عاطفية بعيدة المدى عميقة القرار

فشدت يد نصري يد نجلاء ليهمس : اطمئني يا نجلاء

والدك لن يرفض طلب والدي ، فهم الآن على صداقة وثيقة العرى متينة الأركان

قالت نجلاء : اسمع يا نصري . سأطلعك على سر كنت أريد ان احتفظ به ولا اطلعك عليه

فتساءَل نصري : ما هو هذا السر الذي تريدين ان تخفيه عني يا نجلاء ؟

وردت نجلاء قائلة : ان سليمان ابن ابي سليمان طلب يدي من والدي منذ مدة ليست ببعيدة .

فوجم نصري ، ونجلاء تعلن له هذا النبأ . الا ان نجلاء تداركت الأمر

وقالت : اطمئن فانا قلت : لا . . ووالدي لم يشأ ان يرغمني على ما لا ارضاه فرد الشاب خائباً ولكن . . .

قال نصري : ولكن ماذا يا نجلاء فأردفت نجلاء ، ولكن قد يغير والدي رأيه اذا علم بسرنا يا نصري . . .

فابتسم نصري ، وقد علم ان نجلاء رفضت طلب سليمان ابن ابي سليمان ،

وقال : وأنا ايضاً احتفظ بسر في صدري

فتساءَلت نجلاء : ما هو هذا السر ؟ . .

قال : كان والدي يأمل ان يزوجني من ابنة خالتي . إلا انه تراجع عن هذه الرغبة عندما لمس معارضتي ورفضي القاطع . . .

فابتسمت نجلاء وهمست : لا والدك ولا والدي سيوفقان في ما يرغبان ، يا نصري ، انا اتخذت قراري . إما ان اتزوج من نصري ابن ابي نصري ، واما ان اظل العمر عزباء

فتمتم نصري ويده تشد يد نجلاء : وحبيبك نصري اتخذ قراره الحازم الجازم الصريح . اذا لا سمح الله ولم يستطع الزواج من نجلاء ابنة ابي نجلاء فسيظل العمر عازباً . اما الزواج من نجلاء واما «العزوبية» الدائمة . .

وتعانقا على حب جارف متقد السعير

واذا بنجلاء تنسلخ عن نصري وقد أفاقت من الغفلة العارمة لتتمتم : نصري ! . . يجب ان أعود حالاً الآن الى الدار . يخيل الي ان والدي يبحث عني ، بعد ان طال غيابي واخشى ان تقوده قدماه الى هنا . يجب ان أعود يا نصري . . . الى اللقاء يا حبيبي غداً ، الى اللقاء فهمس نصري : الى اللقاء يا نجلاء ، الى اللقاء يا حبيبتي . سأكون مساء غد هنا في انتظارك

وسارت نجلاء مبتعدة ، وهي تتلفت وراءها لتشاهد نصري واقفاً يشيعها بعينين يطل منهما الهوى والشوق والحنين

وهمس نصري ، وقد توارت نجلاء عن عينيه : احفظها يا رب ولا تفرق بيننا يا إله السماوات والارض يا أرحم الراحمين

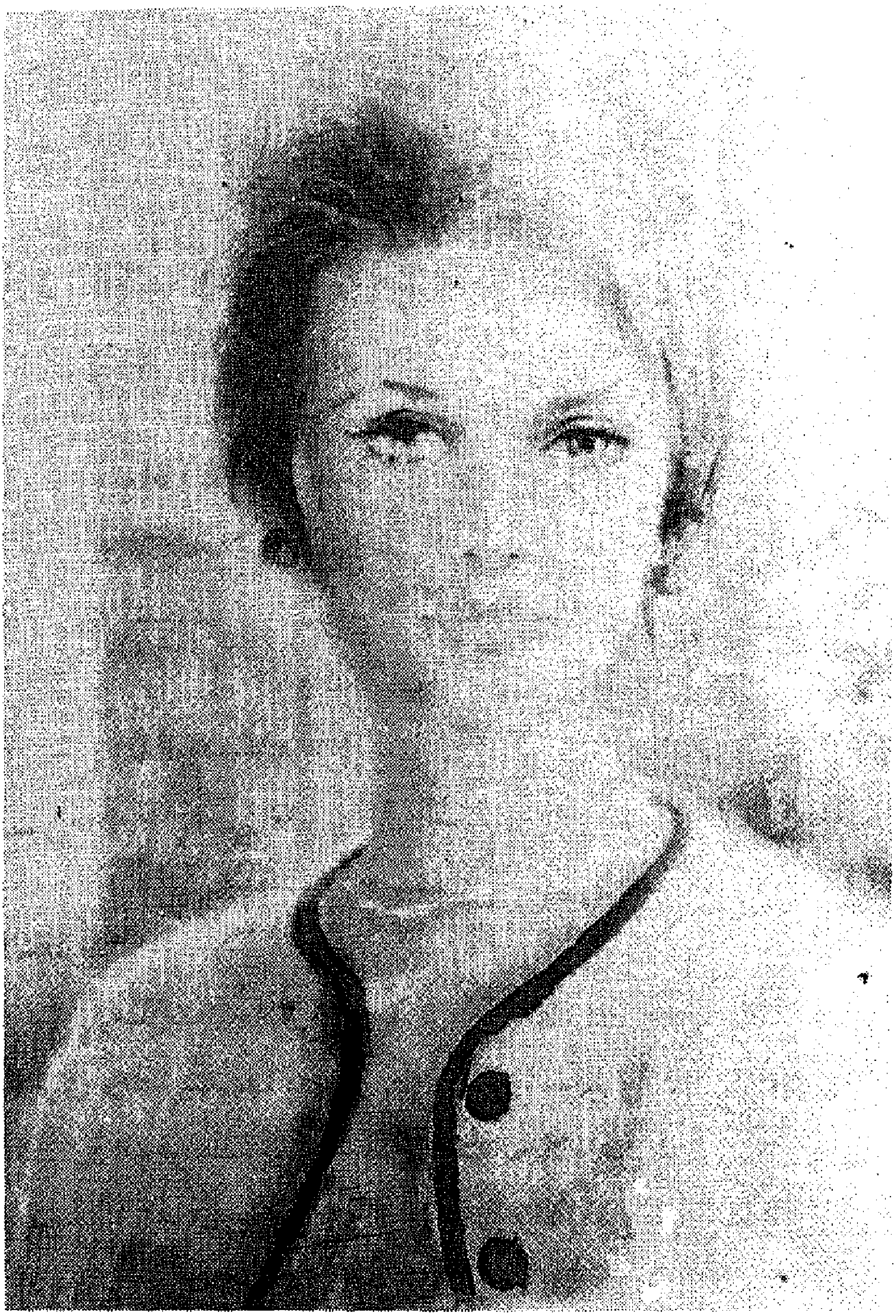

« . . . قالت نجلاء : ألم تنظر الى عيني يا نصري ، ومع كل ومضة نور منهما بريق حبي لك وهيامي بك ؟ . . »

الفَصل الرابع

خيم الصمت الرهيب على صبايا القرية وهن جالسات حول أم عساف على المقعد الحجري الممتد فوق «سطيحة» منزلها القروي الصغير ،

وكانت أم عساف قد توقفت عن سرد قصة «عين الحلوة» وراحت تحدق بالنجوم السابحة في الفضاء على تيه ودلال ـ مستعيدة تلك الذكريات الآفلة البعيدة ،

وطال صمتها ، والصبايا يقمن منها على انتظار مرير فهن يرغبن في الوقوف على ما جرى لنجلاء ولحبيبها نصري ، وعلى ما حل بالمياه الغائرة في أرض اسعد شهدان

والتفتت احدى الصبايا الى أم عساف ، بعد صمت طويل تسألها : وبعدئذٍ يا أم عساف ، ماذا جرى ؟

فاستوت أم عساف في جلستها على المقعد الحجري لتقول : كان ابو نجلاء جالساً في منزله يلعب الورق مع صديقه ابي تامر ، والهواجس والافكار تثير قلقه وتعبث بفؤاده .

فهو قلق على ابنته نجلاء ، لقد تركها في الحقل مع صديقاتها الصبايا ومع الشبان آملاً ان تعود الى المنزل بعد انتهاء الحفلة . وها قد مضى اكثر من ساعتين ونجلاء لم تعد . . .

ساعتان ؟ . .

اجل ساعتان . . .

من المؤكد ان الحفلة انتهت وكان على نجلاء ان تعود تواً الى المنزل، فما بالها تمعن في التأخير ، وهي تعلم ان والدها سيكون في قلق عليها ؟ . .

ولمس ابو تامر في صديقه ابي نجلاء الشرود والقلق والذهول فتوقف عن لعب الورق

وبادر صديقة اسعد شهدان بقوله : ما بالك يا أبا نجلاء ؟ . . . انني لأراك ساهماً واجماً ، شارد الذهن

فرد ابو نجلاء وبقوله : لقد تأخرت نجلاء في العودة ، واخشى ان تكون قد أصيبت بمركوه

فارتسمت على محيا ابي تامر علامات الجد ،

واستوى في مقعده ليقول : يا اخي اسعد ! . . هذه القيود الشديدة الثقيلة التي تكبل بها كريمتك نجلاء ترهقها وتتعبك . نجلاء ليست طفلة لتحبسها في البيت وتقفل عليها الباب . انها فتاة بلغت سن الرشد ، وهي فتاة عاقلة مهذبة رصينة ، فلماذا تريد ان تعود بها الى عهد الطفولة وتكبلها بقيود قلقك عليها وخوفك من النسيم الذي يداعب شعرها ؟ دعها يا اخي تتمتع بشبابها ، دعها تضحك ، وتلعب ، وتغني ، وترقص مع صديقاتها ورفيقاتها واقرابها . سيأتي يوم فتتزوج نجلاء وتسجن في قفص الزوجية ، أتريدها ان تخرج من قفص والدها لتدخل الى قفص زوجها ؟ .

قال اسعد شهدان : انت يا ابا تامر لم تتزوج ، ولم ترزق ولداً لذلك فأنت تجهل عاطفة الاباء نحو ابنائهم . مهما كبر الولد يظل في عيني والده وفي عيني امه طفلاً ، لا سيما الفتاة . فمهما بلغت من العمر ، حتى ولو تزوجت واصبحت اماً تظل بحاجة الى أمها وابيها . ان نجلاء هي ابنتي الوحيدة يا ابا تامر ، ليس لي في هذه الدنيا الفانية سواها ، اذا لا سمح الله واصيبت بمكروه ، مهما كان ذلك المكروه صغيراً فان صديقك اسعد شهدان لن يعيش دقيقة واحدة

فضحك ابو تامر

وهمس : أتبلغ بك الهواجس والافكار المغلقة الى هذا الحد ؟ . من قال لك ان ابنتك ستصاب بمكروه ؟ . . . وكيف تسمح لكل هذه الهواجس بأن تتلاعب بتفكيرك لأن نجلاء تأخرت في العودة من الحقل الى البيت ؟ . .

قال ابو نجلاء : نحن لا نستطيع يا ابا تامر ان نقلق او لا نقلق . القلق حاسة غريبة تسيطر على الانسان . فانت لا تستطيع ان تقول للانسان : «لا تقلق . . .» بل عليك ان تبعده عن سبب قلقه ، وان توفر له كل ما يبعد عنه القلق . حاسة القلق هي يا ابا تامر مثل حاسة الخوف والفرح والحزن والشوق والحنين ، كل هذه العناصر المجهولة تسيطرة على الانسان وتتلاعب بعواطفه وبشعوره

واذا بوقع اقدام يتكسر في آذان ابي نجلاء وابي تامر .

فأرهفا السمع

وقال ابو تامر : قد تكون نجلاء قادمة الينا

فهمس اسعد شهدان : لا . . . وقع الخطى هذا ليس وقع خطاها .

واقترب وقع الخطى حتى اصبح امام الباب المشرع ،

وتسمرت العيون الاربع في الباب

فاذا بجبور ابن ام جبور ينتصب في الباب امامها . .

واطلق جبور ابتسامته المعروفة ، ابتسامة ساذجة . لا لون لها ولا شكل ولا معنى ولا سبب

وهتف : نهاركم سعيد

وأجابا : نهارك سعيد . .

ودخل جبور

فتمتم ابو نجلاء : اهلا وسهلاً بجبور . تفضل اجلس . .

وجلس وهو يتمتم : «هه . . . جلسنا . .»

ودفع ابو تامر بورق اللعب جانباً ليقول : يجب ان اذهب الآن .

فأمسك ابو نجلاء به قائلاً : لا . . لن تذهب الآن . سنكمل اللعب

فأصر ابو تامر على الذهاب

قال : يجب ان اذهب

فهدر ابو نجلاء مازحاً : تريد ان تهرب لأنك تخاف مجابهتي في اللعب . لن تذهب قبل ان نلعب «دقاً» وأغلبك ،

فثار ابو تامر

وهدر : انت ستغلبني ؟. . مجنون . الذي يستطيع ان يغلب أبا تامر لم يخلق بعد .

- اذن فلنكمل اللعب اذا كنت تريد اثبات مقدرتك

فاستوى ابو تامر في جلسته ليقول : تفضل .. أرنا مقدرتك

وعادا الى اللعب ، وراح جبور يتابع لعبهما بفضول . . .

وانتهت المرحلة الاولى بفوز ابو تامر ،

فوقف يقول : تكفيك هذه الهزيمة الآن . الى اللقاء غداً يا ابا نجلاء

إلا ان ابا نجلاء ابى عليه الذهاب

وأمسك به قائلاً : اجلس لنكمل اللعب

وحاول ابو تامر رفض الطلب

إلا ان ابا نجلاء لم يدع له مجالاً للرفض فأرغمه على الجلوس . .

وجلس ابو تامر .

وتمتم اسعد شهدان : ستحضر نجلاء بعد قليل وتهيء لنا فنجان قهوة . . .

وتدخل جبور

قال : لا . . . نجلاء لن تحضر الآن

فبادره اسعد شهدان فوراً بقوله : لماذا لن تحضر نجلاء الآن ؟

فرد جبور : لأنها مشغولة ، مشغولة جداً

فانتفض اسعد شهدان وكلام جبور ابن ام جبور يقع منه في الأذنين؟

وتساءَل : من قال لك ذلك ؟ . . من انبأك بأنها مشغولة ومشغولة جداً ؟ قل . . من قال لك ذلك ؟

فارتسم الجد على وجه جبور

وهمس : جبور يعرف كل شيء لا يفوته حادث ولا يغيب عنه أمر . . . جبور يعرف كل شيء . أجل كل شيء ولكنه لا يبوح بما يعكف

فبدأ الغضب يعصف بأبي نجلاء

و قف يمسك بيد جبور هادراً به : ماذا تعرف ايها الغبي ؟ . . قل ماذا تعرف

فتمتم جبور بخوف : لا . . لن أقول . . لن اقول شيئاً ولن اتلفظ بكلمة واحدة

فهدر ابو نجلاء بغضب ، وهو يشد معصم جبور: قل ماذا تعرف قبل ان اقصف عمرك

وتألم جبور ويد أبي نجلاء تلوي معصمه

وراح يتمتم : لن أتكلم . . لن اقول ماذا سمعت ولا ماذا رأيت . . لا ؟ لا . لا لن أتكلم . . لن اتكلم .

فهــم اسعد شهدان بصفع جبور وهو يصرخ به : قل ماذا تعرف ؟. ماذا رأيت ؟ . . ماذا سمعت قل ، والا أخمدت انفاسك .

فخاف جبور ، وذعر ،

ولكنه عزم على ان يصون سر نصري ونجلاء

وهمس : لن اتكلم . . لن اتكلـم . . نجـلاء الحلـوة أعطتني تفاحة . ونصري جاد علي بعلبة التبـغ كلهـا ووعدنـي بهدية ثمينة لأصون السر ولا اخبر احداً بمـا رأيت وسمعـت ، فكيف تطلب مني يا ابا نجلاء ان اخبرك بما شاهدت وسمعت ؟ لن اتكلم لن اتكلم . .

وأفلت جبور من يد ابي نجلاء

وابتعـد وهــو يتمتــم : «مــا رح احــكي . . ما رح احكي . . . ما رح احكي . .»

ولحق به ابو نجلاء

وامسكه هادراً : قل ايها الأبلـه اين هي نجـلاء ؟ واين رأيتها ، وماذا سمعت ؟ . . وإلا قصفت عمرك

مضى جبـور في التمتمـة : «مــا راح احــكي . . ما راح احكي . . .»

وتدخل ابو تامر فتقدم من ابي نجلاء ليقول : يا ابا نجلاء لا تغضب ولا تثر . . مهلاً مهلاً . أنا سأتولى الأمر مع جبـور وسأرغمه على البوم بكل شيء

وأمسك ابو تامر بجبور وابتعد به عن ابي نجلاء هامساً في اذنه : أهرب يا جبور . . ابتعد . . رح لا تعد الى هنا

إلا ان جبوراً لم يستمع الى نصيحة ابي تامر

ولم يهرب

ولم يبتعد

بل ظل واقفاً ينظر الى اسعد شهدان بسذاجة وبله

وتقدم ابو نجلاء منه قائلاً تعالَ الى هنا . .

وأمسك به مجدداً ، وهو يقول : قل اين هي نجلاء . . . قل اين هي وإلاّ ضربتك

فتمتم جبور : لن أقول، ولن اتكلم ، حتى ولو ضربتني ، ولو ذبحتني ولو قتلتني لن أتكلم

قال ابو نجلاء متسائلاً : اين شاهدت نجلاء ؟

ورد جبور : لا . . لا . . لا لن اقول لك ان نجلاء كانت مع نصري هناك عند الصخر تحت الشجرة الخضراء الوارفة الظلال يتحدثان ويتبادلان كلاماً رائعاً حنوناً يثير العاطفة والشوق والحنين كلاماً «بياخد العقل بيجنّن وبيبكّي . . .»

ووجم ابو تامر ، وهو يسمع ما يقول جبور

وادرك ان ما قاله جبور سيثير غضب اسعد شهدان ويدفعه الى الاقدام على ارتكاب ما لا تحمد عقباه . فوثب الى جبور يمسك به ويدفعه الى بعيد هادراً : ما أتى بك إلينا الآن ايها المعتوه ؟. . فليخرب الله بيتك اذهب ، ابتعد من هنا ، اذهب اذهب ولا تدعنا نرى وجهك

« ... وارتمت نجلاء في زاوية القاعة وهي تجهش بالبكاء »

وغضب جبور ،

ووقف يقول بلهجته القروية : «ما بدي روح .. هون بدي ابقى» ... بأي حق تطردني من بيت ليس هو بيتك ...

فعاد ابو تامر يمسك به ويدفعه الى الخارج

إلا ان ابا نجلاء تقدم منهما

وخاطب ابا تامر قائلاً : دعه يا ابا تامر .. دعه

ثم التفت الى جبور قائلاً : تعالَ يا جبور ... تعالَ ...

واقترب جبور من اسعد شهدان على خشية وحذر هامساً : ماذا تريد ؟..

- اقترب ...

- اقترب ...

- اخبرني يا جبور ماذا رأيت ؟. وماذا سمعت ؟..

- لم ارَ ولم اسمع شيئاً

- اين هي نجلاء ؟..

- «ما بعرف»

- ماذا تعرف اذن ؟..

- لا شيء

وخشي ابو تامر ان يتورط جبور مجدداً ويدلي بما يعرف ...

ولعل ما يعرف يثير مكامن الثورة والغضب في نفس اسعد شهدان ، فأقترب منهما ليقول لاسعد شهدان : دعه يا ابا

نجلاء هذا شاب ابله لا يعلم بماذا ينطق انه يثرثر ولا يعلم بماذا يتكلم

فثار جبور وكلام ابي تامر يقع منه في الاذنين

وهتف : أأنـا اجهـل بمـاذا اتكلـم يا «شـايب يا جهلات ؟ . . »

فثار ابو تامر

وهجم على جبور هادراً : اسكت ايها الساذج المجنون ، ستوقعنا في مصيبة وتقوض دعائم هذا البيت . اصمت ولا تنطق بحرف

وجابه جبور ثورة ابي تامر بالثورة

فهتف : انت اسكت . اما انا فلا ولن اسـكت . هل يخيل اليك ان جبوراً «فونوغرافاً» تديره ساعـة تريد فيتكلـم ، و«توقفه» ساعة تريد فيصمت . . انـا لن اسـكت . سأتكلـم وسأقول كل ما أريد قوله شئت أم أبيت . .

ورفع ابو تامر يده محاولاً ضرب جبور هاتفاً : ألا تريد ان «تكفينا شرك» اليوم ؟ . .

إلا ان ابا نجلاء وقف بينهما

وحال دون ضرب جبور

وأمسك ابو نجلاء بيد جبور وابتعد به عن ابي تامر . .

ورأى اسعد شهدان ان يسـلك مع جبـور سبيل الرفـق واللين ،

فقد ينجح مع جبور اللين حيث اخفق التهديد والوعيد

فقـال له : لا تخف يا جبـور . . اخبرنـي الآن اين هي نجلاء

فأطمأن جبور بعض الاطمئنان واسعد شهـدان يخاطبـه برفق ولين

وتجرأ فسأله : «معك سيكارة ؟ . .»

قال ابو نجلاء : كرمت عيناك يا جبور

وقدم له لفافة واشعلهـا له ليعـود الى سؤالـه : اين هي نجلاء يا جبور ؟ . .

فنفث جبور دخان اللفافة في الفضاء ليسأل ابا نجلاء : هل انت قلق عليها ؟

قال ابو نجلاء : اجل يا جبور انني شديد القلق عليها

قال جبور : لا تقلق ، ولا تخف يا ابا نجلاء . إن نجلاء بألف خير ، «وما على قلبها شر» فهي الآن مع نصري ابن ابي نصري ، مرتاحة كل الارتياح

- مع نصري ؟

نجلاء مع نصري ابن ابي نصري ؟

يا لها من مجرمة . . . وهدر ابو نجلاء وهـو يضرب كفـاً بكف : يا لها من فتاة طائشة . . . والله لاقصفن عمرها ؟ . . اتريد نجلاء ان تلوث سمعتي العطرة وان تجعلني مضغة في افواه ابناء القـرية ؟ . لا والله لن اسمـع لهـا بذلك . الموت أفضـل عندي من تلوث سمعتي وامتهان كرامتي

وراح اسعد شهدان يطوف في المنزل وهو يضرب كفاً بكف ويشتم ويهدد ويتوعد

وكان في ثورة لاهبة جامحة حمراء

فحاول ابو تامر تهدئة خاطره واطفاء لهيب غضبه

قال : مهلاً يا اخي اسعد لا تثر ولا تغضب ، ستحضر نجلاء وسنقف منها على الحقيقة ، لا تأخذ بما يتشدق به هذا الابله المجنون «طول بالك» يا ابا نجلاء

وهدر ابو نجلاء : اي بال هو هذا الذي تريدني ان «اطوله» ؟ وهل بقي لدي بال بعد ان سمعت ما سمعت ؟ . . يا للفضيحة ، يا للعار . . ابنتي نجلاء تخلو بنصري ابن ابي نصري في الحقل ؟ . . قصف الله عمر البنات ، كم يحملن الى أهلهن من الكوارث والمصائب والويلات

قال ابو تامر : لا تتسرع يا اخي اسعد في الحكم على نجلاء ، قد تكون بريئة من كل ما ألصق بها هذا الابله من تهم ، وما نسج حولها من اخبار كاذبة مهينة

فاندفع اسعد شهدان نحو الباب هاتفاً : انا سأشخص الى الحقل وأمسك بعنقها فأدقه دقاً . . .

والتفت الى جبور قائلاً : تعالَ معي يا جبور وارشدني الى المكان الذي شاهدتها تقف فيه مع نصري . . .

ووثب ابو تامر الى ابي نجلاء يمسك به قائلاً : هل جننت يا ابا نجلاء ؟ ماذا ستفعل ؟ أتريد ان يعلم أبناء القرية كلها بمصيبتك ؟ هذا اذا كان ثمة مصيبة . هل تريد ان يصبح

اسمك مضغة في افواه ابناء القرية وتصبح سمعة ابنتك لطخة سوداء في صفحة اسرتك الناصعة البياض

فهدر ابو نجلاء ، وهو يحاول الأفلات من يدي ابي تامر : اتركني يا ابا تامر ، اتركني . يجب ان ادهم هذه الفتاة الطائشة ، وان أقبض عليها وأجرها بشعرها الى هنا . . .

وأفلت من يدي ابي تامر واندفع نحو الباب . . .

واذا بنجلاء تقف في الباب هامسة : نهاركم سعيد . . .

ووثب والدها اليها صارخاً بها : اين كنت ؟ . .

فوجمت نجلاء . . .

وتحول وجومها الى خوف شديد . وهي تشاهد لهيب الغضب يندلع من عيني والدها ، وتشاهد ابا تامر واقفاً في حيرة واضطراب . . .

وتحول خوفها الى ذعر وقد شاهدت جبوراً يقف بعيداً على ذل وانكسار . . .

وأدركت نجلاء ان جبوراً اطلع والدها على ما شاهد وسمع تحت الشجرة الخضراء ، وان علبة التبغ التي اهداه اياها نصري ، ولا التفاحة التي قدمتها له لجمتا لسانه عن البوح بالسر

وادركت اي مصيبة دهياء ستنقض عليها ، وأي انتقام سيصفعها به والدها

فنظرت الى ابي تامر نظرة استرحام ، وكأنها تطلب النجدة منه

وفهم ابو تامر معنى نظرة نجلاء الحلوة ،

وهمّ بتلبية الطلب والاقدام على النجدة ، الا ان اسعد شهدان لم يترك له مجالاً لتقديم المساعدة والاقدام على النجدة

فوثب الى ابنته يمسك بمعصمها هادراً : اجيبي يا مجرمة ، اين كنت ؟ . .

وحاولت نجلاء الكلام الا ان الكلمات تكسرت على شفتيها فلم تستطع النطق بكلمة .

وأعاد اسعد شهدان طرح السؤال بشدة وحزم : اجيبي ، ردي . . اين كنت ؟ ولماذا تأخرت في العودة الى البيت ؟ . .

ولم تستطع نجلاء الحلوة ان تجيب والدها على السؤال المطروح

فهي لا تعلم بماذا تجيب :

هل تنطق بالحقيقة الناصعة البياض ، فتقول له : «كنت مع نصري ابن ابي نصري» ؟

وماذا سيفعل اذا باحت له بالسر ؟ . .

من المؤكد انه سينهال عليها بالضرب . .

هل تنطق بالكذب فتقول : «كنت مع صديقتي زهرة» أو مع سلمى ، أو مع سعدى ؟ . .

ولكن أتراه يجهل اين كانت ، وجبور هناك يقف وقفة الخشية والخوف والقلق ؟ . .

من المؤكد ان جبوراً اطلعه على كل شيء . . .

واحتارت نجلاء واضطربت . .

وازداد اضطرابها ويد والدها تشد معصمها بقوة وهو يصرخ بها : يا مجرمة اين كنت ؟

وهمست : يا ابي . . .

وقاطعها : قولي اين كنت ايتها الطائشة المجرمة المتهورة . . .

وتدخل ابو تامر محاولاً انقاذ نجلاء

قال : دعها تتكلم يا اسعد ، يكفي صراخاً وتهويلاً ، لقد أرعبت «البنت» . اترك لها مجال الكلام لنعلم اين كانت ، ولماذا تأخرت في العودة

فارتد اسعد شهدان الى ابي تامر هاذراً : ليس لك ان تتدخل بيني وبين ابنتي ، ابتعد عني ، ودعني اتفاهم معها

وقبل ان يرد ابو تامر عليه ، كان ابو نجلاء يرفع يده وينهال على ابنته بالصفع وهو يهدر : سأقصف عمرك . . . كنت مع نصري ابن ابي نصري أليس كذلك ؟

وذعر جبور الواقف بعيداً ، وهو يشاهد أبا نجلاء ينهال بالصفع على ابنته

وأسرع بالهرب وهو يتمتم بخوف : «يا ربي تنجينا . . . هيدا ابو نجلاء اخوت مجنون . . . بيضرب . . ويمكن بيقتل كمان . . . سيقتل ابنته المعترة . . . يا دلك يا نجلاء الحلوة يا دلك يا تعتيرك . . . يجب ان اخبر نصري بالأمر لعله يسرع الى نجدتها . . .»

ومضى اسعد شهدان في صفع ابنته وفي لطمها وضربها وهو يهدر : يا مجرمة ، يا مجرمة . . . كنت مع ابن ابي نصري ؟ . . سأقصف عمرك وعمره يا مجرمة

ووجم ابو تامر ، وهو يشاهد ابا نجلاء في ثورته الجامحة الحمراء ، ويده تنهال بالصفع وبالضرب على نجلاء ،

فوثب اليه هاتفاً به : وهب انها كانت مع نصري ابن ابي نصري في الحقل . فأين هي الجريمة ؟ اتقتل «البنت» لانها شاهدت شاباً في الحقل وتحدثت اليه ؟ . .

وامسك ابو تامر بابي نجلاء

وابعده عن ابنته قائلاً : عد الى عقلك يا مجنون . ابنتك لم تقدم على ارتكاب جريمة لتستحق مثل هذا العقاب الرهيب

وارتد اسعد شهدان الى ابي تامر هادراً : قلت لك واعيد القول «لا تتدخل في ما لا يعنيك . .» ابتعد عني . أريد ان اخمد انفاسها واخلص منها .

وتمكن ابو تامر من الابتعاد به عن نجلاء وهو يتمتم : كن عاقلاً يا ابا نجلاء . اهدأ ، عد الى صوابك . لا ترتكب جريمة ستندم عليها ندماً شديداً ساعة لا ينفع الندم ولا يفيد التكفير ،

وفي حين كانت نجلاء تجلس في زاوية القاعة واضعة رأسها بين يديها وهي تجهش بالبكاء ، كان ابو تامر يلاطف ابا نجلاء ، ويعمل على تهدئة خاطره هامساً : «ولو يا ابا نجلاء ، أهكذا تفقد صوابك وتحاول قتل ابنتك لهفوة بسيطة ارتكبتها ؟ . . .»

وتمتم ابو نجلاء : سأقصف عمرها .. سأقصف عمرها واخلص منها ..

قال ابو تامر : لا .. الأمر ليس بهذا القدر من الكارثة أو الجريمة أو المصيبة التي تلوح لك يا ابا نجلاء . ليس هناك ما يستحق اثارة غضبك وتفجير انتقامك من فتاة بريئة لم ترتكب إثماً ولا اقدمت على جريمة

فتمتم ابو نجلاء وهو يضرب كفاً بكف ، وكأنه لا يسمع ما يقول ابو تامر : اي فضيحة ستكون فضيحتي بين ابناء القرية عندما يعلمون ان نجلاء ابنة اسعد شهدان تخلو بنصري ابن ابي نصري في الحقل ؟.. اي مصيبة ستكون مصيبتي ، وألسنة ابناء القرية تلسع سمعتي بسياط من الكلام المهين ؟ اي كارثة ستنقض علي وقد انتشر خبر علاقة ابنتي بأبن ابي نصري ،

فاستأنف ابو تامر ملاطفة ابي نجلاء والتخفيف من حدة غضبه

قال : هوّن الأمر عليك يا اخي اسعد ، فليس ثمة ما يدعو الى الاسترسال في تكبير حجم هذه الهفوة التي قد تكون نجلاء ارتكبتها ، وهي هفوة بسيطة لا تدعو الى القلق ولا الى الغضب ، وهي لا ولن تشوه سمعتك في هذه القرية التي نشأت وترعرعت بين ابنائها ، وهم اخوانك واصدقاؤك يحبونك ويحترمونك ويحفظون لك في قلوبهم الطيبة كل حب وود واحترام ...

وجلس ابو نجلاء وثورة الغضب لا تزال تعصف به

وانصرف ابو تامر الى نجلاء يوآسيها ويسكب في اذنيها كلمات التشجيع لاحتمال قساوة والدها والتغاضي عن كل ما انزل بها من الصفع واللطم . والكلمات اللاسعة الملتهبة الهوجاء

الا ان نجلاء لم تكن لتتعزى ولا لأن تكف عن البكاء

فراحت تسكب الدموع الغزيرة وقد أيقنت ان والدها لن يقف من ثورة الغضب عند هذا الحد بل هو سيستعداه الى ما هو أعظم واكبر وادهى.

وقد خشيت نجلاء ان تصل هذه الثورة المحرقة اللاهبة الجموع الى حبيبها نصري فيعمد والدها الى الانتقام منه .

وربما تعدت ثورته الانتقام من نصري الى الانتقام من جميع ابناء القرية .

فهي تعلم من هو والدها واي رجل عنيد ، شديد البأس ، يحافظ على كرامته المئناف محافظته على الروح ويصون شرفه الانبل محافظته على الحياة

وفيما ابو تامر يوآسي نجلاء محاولاً التخفيف من حدة المصاب النازل بها اذا بأبي نجلاء يثب اليهما هادراً وقد عاودته ثورة الغضب : دعها يا أبا تامر . دعها تسكب الدموع الغزيرة الحمراء لعلَّ دموعها تكفر عن جريمتها ،

فالتفت ابو تامر الى ابي نجلاء ليقول بهزء وسخرية : جريمتها ؟ ، واي جريمة ارتكبتها هذه الفتاة المسكينة ؟

قال ابو تامر ذلك ، وابتعد عن نجلاء ليقترب من والدها قائلاً بكل هدوء واتزان : يا ابا نجلاء . . . ليس لك ان تقدم

على هذا الجنون ، ولا ان تنهال على ابنتك البائسة بالضرب ، لانها تحدثت الى شاب في الحقل . كن عاقلاً يا أبا نجلاء ، فكّر ملياً قبل ان تقدم على أي تهور أو أي عمل طائش . الأمر بسيط يا ابا نجلاء ولا يستحق كل هذه الثورة اللاهبة

وهدر أسعد شهدان : الأمر بسيط ؟ . . اجل انه لبسيط عندك انت ما دام بعيداً عن ظهرك . . لو كنت في مكاني لكنت أقدمت على ما أقدمت عليه انا ، وربما اقدمت على اكثر مما أقدمت عليه . اما وان الامر لا يتعلق بك فانت تراه بسيطاً لا يستحق كل هذه الثورة العاتية اللاهبة الحمراء

قال ابو تامر : انت على خطأ يا ابا نجلاء . ليس لك ان تعاقب ابنتك على جريمة لم ترتكبها ، ولا ان تنتقم منها لخطأ ليست مسؤولة عنه

فتساءل ابو نجلاء : خطأ ليست مسؤولة عنه ؟ . . اتكون خلوتها مع ابن ابي نصري في الحقل خطأ ليست مسؤولة عنه ؟ . .

فرد ابو تامر : اجل انه خطأ ليست مسؤولة عنه . كانت في طريقها الى البيت فالتقت بالشاب هناك ووقفا يتحدثان فأين هي الجريمة ؟ وما هي هذه المصيبة الدهياء التي انزلتها نجلاء بك هل استطيع ان اعلم ما هي ؟ . .

فانتفض اسعد شهدان ، ووقف هاتفاً : اسمع يا ابا تامر ما أقول لك وأعمل بما أطلب منك

قال ابو تامر متسائلاً : وماذا تطلب مني ؟

قال : اذهب الآن فوراً وتواً الى ابي نصري . وقل له ان يبعد ابنه عن ابنتي لئلا ارتكب جريمة .

ـ جريمة ؟ . . هل وصل بك الجنون الى التفكير بارتكاب جريمة يا ابا نجلاء ؟.

ورد اسعد شهدان : اجل سأرتكب جريمة اذا استمر نصري ابن ابي نصري بالعدو وراء ابنتي والتعرض اليها ، وملاحقتها ، ومحاولته الايقاع بها

قال ابو تامر : انت على خطأ يا ابا نجلاء ان نصري لا ولم يحاول الايقاع بأبنتك فهو شاب كريم الخلق كامل التهذيب ،

فتمتم ابو نجلاء : انت ساذج ، طيب القلب يا ابا تامر . لا تعلم شيئاً مما يجري حولنا

فتساءَل ابو تامر : وماذا يجري ؟. يخيل إلي ان ليس ثمة ما يجري لا حولنا ولا امامنا ولا وراءَنا

فانتفض اسعد شهدان هاتفاً : ابو نصري يريد ان يتزوج ابنه من ابنتي ، وهو يعلم انها وريثتي الوحيدة ، ليستولي على حقلي وعلى بيتي وعلى المياه المخزونة في أرضي ، فيروي بها أرضه وينشيء الحدائق والبساتين على حساب أرضي القاحلة البائرة

فأطلق ابو تامر ابتسامة هازئة صفراء ،

وهز رأسه قائلاً : انت على خطأ . . دائماً انت على خطأ يا ابا نجلاء . ابو نصري لم يفكر بمثل هذه الأوهام التي تتراءَى لك ، لا هو ولا إبنه . ولا احد من ابناء القرية يطمع في

الاستيلاء على أرضك . يا ابا نجلاء عد الى صوابك ، ولا تدع لمثل هذه الظنون والشكوك سبيلاً الى رأسك

فعـاد ابـو نجـلاء الى هز رأسـه هازئـاً بآراء ابـي تامـر وبنصائحه

قال : انا ادرى منك بكل ما يضمر لي ابو نصري . . . لا تحاول إيهامي بأنه غير طامع في أرضي وفي مياهي

فعاد ابو تامر الى الاقتراب من اسعد شهدان ليقول : يا ابا نجلاء كن عاقلاً ولا تحاول إثارة الفتن و«المشاكل» في هذه القرية الهانئة الباسمة المطمئنة . جميع ابناء القرية متفقون الآن ، وهم يستعدون للبدء بالحفـر والتنقيب عن المياه في أرضـك بعـد ان توصلوا الى إقناعك والحصول على موافقتك

فانتفض ابو نجلاء وهدر متسائلاً : يستعدون للحفر في أرضي والتنقيب عن المياه ؟ . . اي مياه هذه التي سيصلون اليها في أرضي ؟ وهل يخيل الى ابناء هذه القرية انني سأسمـح لهـم بالحفر في أرضي للبحث عن المياه بعد كل ما جرى ؟ ولماذا اسمح لهـم ؟ ومـن اجـل من ؟ . من اجـل ابـي نصري والمحـروس ابنه ؟ . . لا ، والله ، أبلغهم يا ابا تامر . ان أرضي محرمة على معاولهم . سأحطم اليد التـي ستحـاول حفـر ذرة من تراب في أرضي

فضرب ابـو تامـر كفـاً بكف وتمتـم : ماذا تقـول يا ابـا نجلاء ؟ . . اتكون جاداً في ما تعلن الآن ؟

قال : وهل يخيل اليك انني امزح ؟ . . لا ، اطمئن ،

وليطمئن معك ابو نصري وابنه نصري وجميع ابناء القرية . فانا لا امزح ولم أنطق بسوى الحق ، ولم أعلن الا ما عزمت على تنفيذه

فهمس ابو تامر : أتريد ان تنتقم من جميع ابناء القرية لأن نصري ابن ابي نصري تحدث الى ابنتك في الحقل ؟ هل أصبت بمس من الجنون يا ابا نجلاء ؟ . .

قال ابو نجلاء : لا. انا الآن في عقلي الكامل لم أكن مجنوناً الا يوم وافقت على السماح لكم بالحفر في أرضي ، وتخريبها لتصلوا الى المياه وترووا ارضكم العطشى ، اما الآن فقد عدت الى كامل صوابي

فهمس ابو تامر في سره : «يا لهذه المصيبة الجديدة التي حلت بنا الآن . سنعود مجدداً كما يبدو الى محاولة اقناع ابي نجلاء ، هذا الرجل المتقلب الذي لا يستقر على رأي ، ولا ينفذ اي عهد ولا يفي بأي وعد . سيتعبنا ولن نستطيع ان نصل معه الى الاتفاق»

والتفت ابو تامر الى اسعد شهدان قائلاً : يا ابا نجلاء ! . لا تربط مصير ابناء هذه القرية كلهم بنزاعك وخلافك مع فارس المير . لقد وعدت ابناء القرية بأن تسمح لهم بالحفر في أرضك ، وهم الآن ، واعتماداً على وعدك ، يستعدون للبدء بالحفر ، ويأملون ان يصلوا الى المياه من دون عناء كبير ، فلا تخنث بعهدك ولا تخلف وعدك . . .

فصمت ابو نجلاء ولم يهمس بحرف ، وبدا منه انه يفكر بالأمر ، وانه سيتريث قبل ان يتخذ القرار النهائي ،

وعاد ابو تامر الى الكلام ليقول : انت الآن ثائر غاضب حاقد مضطرب الافكار قلق الخاطر ، سأتركك لتعود الى ضميرك ، وغداً يوم تهدأ ثورة غضبك ويزول اضطرابك ، سأعود اليك لأقف على قرارك النهائي ، وآمل ان تكون منصفاً يا ابا نجلاء فلا تظلِم جميع ابناء القرية بسبب حقدك على ابي نصري

قال ابو تامر هذا واتجه نحو الباب

ولم ينسَ وقد وصل قرب العتبة ان يرمق نجلاء الحلوة بنظرة سريعة

فاذا بها وهي لا تزال في جلستها المؤلمة تذرف الدموع ، تبادل ابا تامر النظرة السريعة ،

وكأنها ترجوه ان يعمل على إنقاذها من هذه الكارثة الرهيبة التي انقضت عليها

فهمس ابو تامر ، وهو يغادر منزل اسعد شهدان : فليأخذ الله بيد ابي تامر ، نصير العشاق ، لينصرك وينقذك ويحميك يا نجلاء الحلوة ايتها العصفورة البائسة يا كسيرة الجناح

الفصل الخامس

توقفت أم عساف عن سرد قصة «عين الحلوة» عند «العصفورة البائسة كسيرة الجناح نجلاء الحلوة . . .» كما وصفها ابو تامر ، قبل ان يغادر منزل والدها والتفتت العجوز الى «كنّاتها» الصبايا قائلة : الآن ، وقد تجاوز الليل الأنتصاف وبدأ الفجر يتأهب للبزوغ بنوره الوردي ، الآن وقد غاب القمر وراء الافق البعيد واخذت النجوم تخبو نجمة بعد نجمة ، متأهبة للأفول ، الآن سأتوقف عن سرد هذه القصة المؤلمة يا حبيباتي .

فهتفن : لا يا أم عساف ، لا . اكملي

- اخبرينا ماذا حدث بعدئذ ؟
- وماذا جرى لنجلاء الحلوة ؟ . .
- وعلى مَ أقدم والدها ؟
- وهل سمح لأبناء القرية بالتنقيب عن المياه في أرضه ؟
- ونصري ؟ ماذا حل به ؟ . . - وكيف كانت نهاية حب نصري ونجلاء ؟
- هل هي سعيدة أم حزينة مؤلمة دامية ؟
- اكملي يا أم عساف اكملي . .

فتثاءَبت أم عساف ، وقد بدأ النعاس يداعب اجفانها ، وكان من عادتها ان تأوي الى فراشها بعد غروب الشمس بقليل وتستفيق قبل بزوغ الفجر بقليل .

قالت العجوز : ان النعاس بدأ يثقل اجفاني ، وانني لأراه يطل من عيونكن انتن ايضاً . . . غداً مساءً سأكمل لكن قصة عين الحلوة ، قصة الدموع التي لا تجف ، سأكون بانتظاركن هنا على هذه السطيحة بعد الغياب . وسأكمل لكنَّ سرد هذه القصة ولن اتوقف عن سردها الا عند النهاية منها ، حتى ولو أطل الصباح . . . الى مساء غد يا حبيباتي ، الى مساء غد . . .

وكانت أم عساف تتكلم اليهن واعدة باكمال سرد قصة نجلاء الحلوة ونصري ابن ابي نصري في مساء غد ، والتثاؤب يقطع عليها الكلام

فأدركت الصبايا ان أم عساف لن تستطيع المضي في سرد تلك القصة الممتعة ، المجهولة النهاية .

فتبادلن النظرات السريعة

ووقفن هامسات : حسناً كما تريدين يا أم عساف . سنكون هنا عندك مساء غد ان شاء الله .

فنهضت أم عساف تودعهن : مع السلامة يا حبيباتي . . مع السلامة . . . الى مساء غد ، الى مساء غد . . .

ـ الى مساء غد يا أم عساف . . .

وخرجن من منزل أم عساف وهن يتهامسن .

قالت احداهن : ما هو رأيكن يا رفيقاتي ؟. هل نستطيع الانتظار الى مساء غد لنعلم ماذا حدث لنصري ابن ابي نصري ، ولنجلاء الحلوة ابنة ابي نجلاء ؟

قالت احدى الرفيقات : وهل ثمة باليد حيلة ؟ ما علينا إلا الانتظار

قالت : لا . . لن ننتظر حتى مساء غد
ـ وماذا علينا ان نفعل ؟ . .

ـ اسمعن . . . صباح غد أي بعد ساعات قليلة ، ستكون أم عساف عند عين الحلوة ، فقد اعتادت ان تشخص صباح كل يوم الى العين لتملأ ابريقها . . وسنكون هناك ، نحيط بها ونرجو منها إكمال القصة ، ومن المؤكد انها لن تخيب الرجاء

فأيدنها . . .

واتفقن على لقاء أم عساف عند ميزاب العين في الصباح ،

وأنصرفن الى منازلهن وكل منهن راثية لحال نجلاء الحلوة التي ظلمها والدها ، ولحبيبها نصري الغارق في يم من الألم والهوى والحب والعذاب . .

وكانت كل فتاة من فتيات القرية تتمنى ان تنجو نجلاء الحلوة من تلك الآلام المبرحة ومن ذلك العذاب الاليم .

وكل منهن يخيل اليها ان عذاب نجلاء هو عذابها وألمها هو ألمها هي ، وحبها حبها

فتتألم لألم نجلاء ، وتتعذب لعذابها وتشفى لشفائها

***

وكان الصباح . . . وما ان بدأت انوار الصباح البيضاء تدحر غياهب الليل ، وتبدأ الشمس بالتأهب للبزوغ ، حتى كانت الصبايا في طريقهن الى العين . وهن يأملن ان يحظين هناك امام ميزاب عين الحلوة بأم عساف لتروي لهن ما بقي من قصة الدموع التي لا تجف ، قصة نجلاء ونصري

ووصلن الى العين ، آملات ان يجدن أم عساف هنا

إلا انهن فوجئن بغياب العجوز الشمطاء . .

لم تكن أم عساف هناك . . .

وتبادلن النظرات . . .

انها نظرات تنطوي على سؤال . . . سؤال واحد فقط : هل ستحضر اليوم أم عساف . . أم لا ؟ . .

ولم يلقين الجواب فجلسن امام ميزاب العين حائرات ، قلقات ، مضطربات : ما بال أم عساف تتأخر اليوم في الحضور الى عين الحلوة لملء ابريقها ، وقد كان من عادتها ان تبكر في الحضور ،

وأقمن على انتظار ممضّ مرير .

وطال انتظارهن من دون ان تطل ام عساف

ومن دون ان يبين لها أثر .

وبدأ الأمل يتضاءَل في نفوس الصبايا الجميلات :
يبدو ان أم عساف لن تحضر اليوم .
يا لسوء حظهن التعيس .
سيضطرون للانتظار حتى المساء .
في المساء سيشخصن الى دار أم عساف ويجلسن حولها على السطيحة تحت خيمة الاغصان ويستمعن الى تتمة قصة عين الحلوة .
ووقفن . . .
وهممن بالعودة ادراجهن . . .
وإذا بأم عساف تطل عليهن وابريقها الفخاري بيدها اليسرى ، وعصاها بيدها اليمنى تتكىء عليها في سيرها البطيء نحو العين .
وشعّت الفرحة في عيون الصبايا .
ووثبن الى أم عساف مرحبات بها .
وتناولن الابريق منها ليملأنه . .
ثم اقتدن العجوز الشمطاء بكل حفاوة الى المقعد الحجري الصغير في ساحة العين
وأجلسنها متسائلات : لماذا تأخرت في الحضور اليوم الى العين فأقلقت خاطرنا وشغلت بالنا عليك يا أم عساف ؟ . .
فابتسمت أم عساف
وتمتمت متسائلة : أتسألنني عن سبب تأخري ، وقد كنتن السبب في إطالة سهرتي ليل امس . . انا لم أنم إلا مع

مطلع الفجر ، فكان من الطبيعي ان لا أفيق من غفوتي في ساعة مبكرة كما تعودت

فضحكن . . . وتحلقن حولها

وتولت احداهن الكلام

قالت : نريد منك يا أم عساف ان تكملي لنا قصة هذه العين ، عين الحلوة ، نريد ان نعلم ماذا حل بنجلاء الحلوة ، وماذا جرى لنصري ابن ابي نصري ،

قالت أم عساف : الآن ؟. . هنا تردن ان أروي لكن ما تبقى من قصة الدموع التي لا تجف ؟. .

فهتفن : أجل الآن وهنا . . .

فتمتمت : لا . القصة ما زالت طويلة يا حبيباتي ، وانا لم ابلغ في سردها لكن امس الى نصفها . والوقت هنا الآن لا يتسع لسردها كلها . سأكمل سردها لكن بتفاصيلها مساء في داري كما وعدتكن

فرفضن الاقتراح

وهتفن : لا . ليس لنا من الصبر ما يحملنا على الانتظار الى المساء . اكملي لنا القصة الآن يا أم عساف . .

وأبت أم عساف ان تنزل عند طلب الصبايا الملحاح

فهي تريد ان تعود فوراً الى منزلها ولديها من الأعمال الكثيرة في المنزل ما يدفعها الى العودة على جناح السرعة

إلا ان احدى الصبايا الجميلات اقتربت من أم عساف هامسة في اذنها : إكراماً لي ، وانا «كنتك» عروس المحروس

عساف ، أكملي لنا الآن سرد تفاصيل قصة عين الحلوة يا حماتي . . . فاتسعت الابتسامة الهانئة البيضاء على شفتي أم عساف

وتمتمت : كما قلت لكن يا حبيباتي ، القصة لا تزال طويلة ، والوقت لا يتسع لي الآن لسردها كلها سأروي لكن بعض تفاصيلها الآن ثم أكملها لكن في المساء . .

فوافقن على الاقتراح

وجلسن حولها في حلقة متسعة يستمعن الى قصة الدموع التي لا تجف

***

استوت أم عساف في جلستها على المقعد الحجري

وبدأت تروي لكناتها الصبايا تفاصيل قصة عين الحلوة

قالت : عندما خرج ابو تامر من منزل ابي نجلاء تاركاً نجلاء الحلوة في جلستها المؤلمة تذرف الدموع الغزيرة كان ينوي التوجه فوراً الى دار المختار ليطلعه على ما بدا من اسعد شهدان حيال التنقيب عن المياه في أرضه ،

إلا انه ، وقد خطا الخطوات الاولى في طريقه الى دار المختار تراجع عن قراره

وهمس في سره : أبو نجلاء رجل متقلب الآراء ، يقرر ثم يتراجع عن قراره ثم يبدي رأياً ليعود فينقضه

لقد أعلن لي الآن انه لن يسمح لابناء القرية بان يبحثوا عن المياه في أرضه ، وقد يعود عن هذا الرأي غداً أو بعد غد

فلماذا ازعج المختار الآن . . . سأعالج المعضلة مع ابي نجلاء وحدي . هذا المساء أو صباح غد ، فاذا استطعت اقناعه ، اكون قد وفرت على المختار عناء معالجة هذه المعضلة الجديدة . . .

وراقت له هذه الفكرة .

فهو لن يشخص اذن الى دار المختار . . .

فماذا عليه ان يفعل الآن ؟ .

والى اين يتجه ؟ . .

وفجأة لمعت في رأس ابي تامر فكرة . .

فكرة مهمة جداً كان قد غفل عنها . .

انها معضلة اشد وادهى وأعظم من مشكلة التنقيب عن المياه في أرض اسعد شهدان . . .

إنها معضلة نجلاء الحلوة ونصري ابن ابي نصري . . .

فكيف نسي ابو تامر معضلة هذين العاشقين البائسين وهو نصير العشاق الغيور على مصالح كل العاشقين المتيمين الذي يشقون ويتعذبون ويتألمون ويذرفون الدموع الغزيرة الحمراء ؟

وراح ابو تامر يفكر وهو سائر في الطريق بدون ان يحدد وجهة سيره

وهمس في سره : ماذا عليك ان تفعل الآن يا ابا تامر ؟ . .

والى اين تتجه ؟ . .

الى اين ؟ . الى اين ؟ .

وبعد تفكير طويل وتساؤل بعيد ، رأى ان يشخص الى نصري ابن ابي نصري

يجب ان يقف نصري على تفاصيل المأساة التي نزلت بحبيبته نجلاء .

سيطلع نصري على ما بدر من ابي نجلاء حيال ابنته ويطلب اليه ان يبتعد مؤقتاً ولمدة قصيرة عن نجلاء فلا يقابلها ولا يتصل بها ريثما يتوصل الى حل لمعضلتهما

وابتعاد نصري عن نجلاء مؤقتاً يحل معضلتين لا معضلة واحدة :

يهدىء اعصاب اسعد شهدان ، ويعيده الى صوابه فيرضى عن ابنته

ومعنى هذا حل معضلة نصري ونجلاء فيعودان الى صفاء حبهما والى الاطمئنان

ويصبح طريق الزواج ممهداً امامهما

ويعود ابو نجلاء عن القرار الذي اتخذه بعدم السماح لابناء القرية بالحفر في أرضه توصلاً الى المياه . . .

وارتاح ابو تامر شديد الارتياح وقد توصل الى هذا الحل وتباهى معجباً بنفسه

قال في سره : يا لك من «شاب» حاذق ذكي يا ابا تامر .

ستوفق في إعادة نجلاء الى نصري

وفي توصل ابناء قريتك العزيزة الى المياه

وسار ابو تامر متجهاً الى منزل ابي نصري آملاً ان يجد

نصري هناك فيطلعه على كل ما جرى في منزل اسعد شهدان وعلى ما نزل بحبيبته نجلاء الحلوة

إلا ان ابا تامر جهل ان «الخبر» كان قد وصل الى نصري ،

وان نصري كان قد وقف على ما نزل بحبيبته نجلاء من عذاب وضرب ووعيد وتهديد

والذي حمل الخبر المؤلم الى نصري ابن ابي نصري كان جبور ابن أم جبور . .

فقد شخص جبور الى منزل ابي نصري ، عندما خرج من منزل ابي نجلاء وهو يبكي لعذاب نجلاء الحلوة ويندبها

ويندب معها حبيبها نصري

وراح جبور يتمتم وهو يتعثر في سيره الى نصري : «يا دلك يا تعتيرك يا نجلاء الحلوة . . . يا دلك يا نجلاء على هالآخرة . . . يا حرام . . يا نجلاء يا حسرتي عليك يا نجلاء . . وانت يا نصري مصيبتك كبيرة . . . يا ويلك لن تقوم لك قيامة . . ستموت بعد نجلاء بساعة واحدة . . يا حرام . يا حرام . . يا ضياع الشباب» .

ووصل الى منزل ابي نصري ،

وكان نصري وحده في المنزل فأقتحم جبور الباب وهو يتمتم : «يا نصري اي ابن بو نصري يا دلك شو معتر . . .»

فضحك نصري وهو يشاهد جبوراً يقتحم الباب والدموع تكرج على خديه وهو يتمتم «يا دلك يا نصري شو معتر . .»

وشاهد جبور نصري يضحك

فقال له : اضحك . . اضحك يا نصري الآن على قدر ما تستطيع لأنك ستبكي بكاء مراً وتسكب الدموع الغزيرة

فتساءَل نصري : ما بك يا جبور ؟ . . ولماذا تبكي ؟ . ولماذا تبشرني بسكب الدموع الغزيرة ؟ هل هناك مصيبة نزلت بك يا جبور ؟

ومسح جبور دموعه بكفه

وقال : المصيبة لم تنزل بي يا نصري ابن ابي نصري ، بل هي نزلت بك . .

- بي انا ؟ . .

- اجل بك انت وبالحلوة

- الحلوة ؟ من ؟ نجلاء ؟ .

فأومأ جبور برأسه مشيراً بالايجاب

فوجم نصري ، ووثب الى جبور يمسك بكتفه ويهزه هاتفاً : ما بها نجلاء ؟ . . قل ما بها

قال جبور : «الحلوة أكلت قتلة من بيها ؟ . .»

وتحول الوجوم في نفس نصري الى خوف وقلق فهدر متسائلاً : من ؟ نجلاء ؟ . . نجلاء «أكلت قتلة من أبيها ؟»

- اجل . .

- لماذا ؟ .

- لأنها كانت تقف واياك تحت الشجرة الكبيرة في الحقل . وكنتما تتحدثان بكلام غريب عجيب يثير الحنين والدموع . وقد تأخرت في العودة الى المنزل فغضب والدها وثار ، وضربها

فهدر نصري متسائلاً : وكيف علم والدها انها كانت تقف واياي في الحقل ، واننا كنا نتحدث بكلام غريب عجيب ؟ . .

وظهر الغضب جلياً واضحاً في عيني نصري ابن ابي نصري

فخاف جبور ،

وخشي ان يثور نصري وينتقم منه

واعاد نصري السؤال : كيف علم والدها بكل هذه التفاصيل ؟. كيف ؟. ومن اخبره بذلك ؟.

فازداد جبور ابن ام جبور خوفاً وقلقاً

وراح يتمتم بتلعثم وخشية واضطراب : «لست انا من اخبره يا نصري . . انا ما خبرتو . . وحياتك انا ما خبرتو . . .»

ـ ومن اخبره اذن ؟

ـ «لست ادري . . لست ادري . . قللي خبرني شو شفت وشو سمعت . . ما خبرتو . . قلتلو الجماعة حلفوني ما خبر . . ما راح خبر . . اطعموني تفاحاً وسوكروني ضيفوني سجاير . . . وقالوا لي ما تخبر . . بجي بخبر . وبقول لك شو شفت وشو سمعت ؟ . . قالوا لي اوعا تخبر . . بجي بخبرك ؟. مش معقول . . .»

فهدر نصري : قصف الله عمرك يا جبور . . انت اخبرته واوقعتنا في مأزق حرج رهيب مخيف قد لا نستطيع النجاة منه . .

فتقدم جبور من نصري مؤكداً انه لم يخبر ابا نجلاء بما شاهد وسمع منهما

قال بلهجته القروية المعروفة : «وحياتك يا نصري ، وحياة الحلوة نجلاء انا ما خبرتو . . ولو . . شو انا مجدوب حتى روح خبر ؟. . لا . لا ما خبرتو . .

وتذكر جبور الهدية الثمينة التي وعده بها نصري اذا حفظ السر .

فعاد الى الاقتراب من نصري متسائلاً : متى ستعطيني الهدية الثمينة التي وعدتني بها يا نصري ؟. .

وهتف نصري بغضب شديد : هدية ؟. . اي هدية تريد ان أقدمها لك وقد فضحت سرنا واخبرت ابا نجلاء بكل ما رأيت وسمعت ايها الأبله ؟

فعاد جبور الى التأكيد بانه بريء من تهمة إفشاء السر الدفين

قال : «وحياتك انا ما خبرتو . . . ما حكيت شي . . ما قلت شي . .»

فتساءَل نصري ، والغضب ما زال يعصف به : وكيف عرف اذن ؟. .

قال جبور «هوي عرف منو لحالو . . .»

فأشعل نصري لفافة راح ينفث دخانها في الفضاء بقلق وخوف واضطراب

فاطلق جبور ابتسامة ارتياح ، وقـد خيل اليه ان نصري اقتنع ببراءَته ،

وهمس : «ولـو ا . ما بتقـدملي سيكارة ؟» ودفـع له نصري بلفافة ليسأله : ماذا فعل ابو نجلاء عندما علم بالسر .

فأخفى جبور اللفافة في جيبه

وأجاب : ماذا فعل ! . . غضب وثار وتحول الى وحش كاسر مخيف ، الله يقصف عمرو . . هجم على نجلاء الحلـوة وشتمهـا وسبهـا . . . وضربهـا وصفعهـا وكان بدو يقتلهـا بس . . .» فتساءَل نصري بقلق : «بس ماذا ؟ . . .»

ـ «بس ابو تامر ما خلاه يقتلها . . . هجم عليه وأبعـده عنها ؟ . .»

واذا بأبي تامر يطل عليهما

فهتف جبور «هه . . . هيدا ابو تامر إسأله . . .»

واتجه ابو تامر الى نصري متمتماً : «نهارك سعيد يا نصري

فهمس نصري : اهلاً وسهلاً بأبي تامر

فسأل ابو تامر : اين والدك

ـ لقد ذهب الى الحقل

ـ الحمد لله . . نحن «شباب» وحدنـا الآن نسـتطيع ان نتكلم بحرية ، وبدون أي حذر

قال ابو تامر ذلك ، واتجه الى جبور قائـلاً بحـزم : هل تسمح ايها السيد جبور بأن تخرج من هنا وتدعنا وحدنا

وبكل وقار وعظمة قال جبور : لا . .

فهدر ابو تامر : اذهب .. أسرع بالذهاب وأرحنا منك ومن «مشاكلك»

وأبى جبور ان يذهب ويريحهما من «مشاكله»

قال : «يا عمي شو بدك مني ؟ شو قصتك ناقم علي ؟.. اينما ذهبت تلحق بي وتشتمني وتطردني .. حل عن سمايي»

فأمسك ابو تامر بيد جبور هاتفاً به : قلت لك اذهب . لا ترغمني على ان اسيء اليك ... اذهب

ولمس جبور الغضب الشديد في عيني ابي تامر

إلا انه لم يبدِ أي رغبة في الذهاب

وراح يتمتم بغضب : «ما بدي روح ... هون بدي ضل ... بدي دخن بدي سوكر بدي اشرب قهوة وآكل دبس . وضل هون ...»

فما كان من ابي تامر إلا انه صرخ به بتساؤل ملحاح وبغضب شديد : هل تذهب بالحسنى أم لا ؟..

وأدرك جبور ان ابا تامر عازم على ضربه اذا مضى في عناده فهمس بذل وانكسار : لا ... اذهب بالحسنى ..

ثم التفت الى ابي تامر يسأله : «معك سيكارة ؟...»

فنفحه ابو تامر بلفافة هامساً : خذ سيكارة وتفضل بالذهاب ... مع السلامة

فتناول جبور اللفافة واخفاه في جيبه

«كان جبور من هواة جمع لفائف التبغ وكان لديه مئات

اللفائف وكل لفافة من نوع يختلف عن الآخر ، وقلما كان يدخن لفافة . . . »

وسار جبور نحو الباب بأتئاد خطى وخرج . . .

وصفق ابو تامر الباب وراءَه ،

إلا ان جبوراً عاد ليفتح الباب ، ويطل برأسه منه قائلاً لهما : «بخاطركم . . . انا رايح بس رح برجع . . . ما راح أتأخر عليكم . . . »

وذهب جبور صافقاً الباب وراءَه . .

وجلس ابو تامر على مقعد وثير ودعا نصري الى الجلوس ، فجلس قربه . .

وسأل ابو تامر نصري : هل علمت ماذا جرى يا نصري ؟.

وأجاب نصري : علمت . .

ـ هل علمت ان ابا نجلاء كاد يقتل ابنته لأنها التقت بك في الحقل ووقفت تتحدث اليك ؟ . .

ـ اجل علمت كل شيء . . كل شيء يا ابا تامر . . .

ـ وماذا ستفعل الآن يا نصري بعد ان وقعت الكارثة وأطلع اسعد شهدان على علاقتك العاطفية بابنته ؟ . .

فلم يجب نصري ابا تامر على سؤاله ، بل هو طرح سؤالاً آخر عليه .

قال : هل تساعدني يا ابا تامر ؟ . .

فأجاب ابو تامر : بماذا تريد ان اساعدك ؟ . . وكيف يا نصري ؟ .

قال نصري ، وقد استوى في جلسته : انا سأختطف نجلاء . . .

فوجم ابو تامر وهو يستمع الى ما يقول نصري . . .

وساد السكوت برهة بينهما . انصرف كل منهما خلالها الى التفكير بسرعة .

كان نصري يفكر بوسيلة يستطيع فيها الوصول الى نجلاء واختطافها

وابو تامر يفكر بما عليه ان يفعل . هل يوافق نصري على اختطاف نجلاء ويمد له يد المساعدة ، ام يرفض ؟ . . .

واخيراً ، وبعد صمت قصير تكلم ابو تامر

قال : لا يا نصري . لا ترتكب هذه الحماقة . اختطاف نجلاء سيعرض هذه القرية الهانئة الآمنة المطمئنة الى كارثة لا يعرف إلا الله وحده سبحانه وتعالى ، ماذا تكون نتائجها

قال نصري : يجب ان أنقذ نجلاء من قسوة وظلم والدها يا ابا تامر . يجب ان اتزوج منها

فتمتم ابو تامر : تستطيع ان تتزوج منها ، وتنقذها من قسوة والدها يا نصري بدون اختطاف

ـ كيف ؟ . .

ـ تطلب يدها من والدها

ـ ولكن اسعد شهدان لن يوافق . وسيرفض الطلب

ـ عندئذ يأتي دوري يا نصري ، بل يأتي دور جميع ابناء القرية الذين يحبونك ويحبون نجلاء الحلوة . عندئذ اذا رفض ابو نجلاء طلبك يتحتم عليَّ ان اساعدك يا نصري ، وسأساعدك

فتساءَل نصري : هل يخيل اليك يا ابا تامر ان ابو نجلاء سيوافق على طلبي اذا طلبت الآن يد نجلاء ؟ . .

فصمت ابو تامر ولم ينبس بحرف .

فهو يعلم يقيناً ان ابا نجلاء سيرد نصري خائباً اذا ما جاءَه طالباً يد ابنته نجلاء .

وكلمات ابي نجلاء لا تزال ترن في اذن ابي تامر : «اسمع يا ابا تامر ما أقول لك . . . قل لأبي نصري يرد ابنه عن ابنتي لئلا ارتكب جريمة . . .»

هذا ما قاله ابو نجلاء منذ قليل ، فهل يمكن لمن يقول مثل هذا الكلام ان يوافق على زواج نجلاء من نصري ؟

ان ابا نجلاء على استعداد لارتكاب جريمة اذا لم يبتعد نصري عن ابنته ، فكيف يشير اذن ابو تامر على نصري بان يطلب يد نجلاء . . .

وساد الصمت بينهما . . .

ولم يلبث ان عاد ابو تامر الى الكلام ليقول : المعضلة معقدة يا نصري . وليس لنا ان نرتجل الآن الحلول لها . . . يجب ان نفكر جيداً وان نمعن في البحث عن هذه الحلول .

قال نصري : اجل يا ابا تامر . ان المعضلة شديدة التعقيد . انا اوافقك على ذلك ، إلاّ اننا لا نستطيع ان نتريث في

اتخاذ الموقف الحاسم السريع الذي يضع حداً لهذه المعضلة

قال ابو تامر : بل يجب ان نتريث ، وان نضع خطة ننفذها بكل دقة يا نصري ، لئلا نفشل ويكون فشلنا ذريعاً فتخسر نجلاء الى الابد

فتمتم نصري : لا . لا . لا يجب ان انقذ نجلاء من هذا العذاب الأليم . ان نجلاء تتعذب الآن ، وانا السبب في كل هذا العذاب الذي يصيبها . يجب ان انقذها يا ابا تامر ، وسأنقذها

- ولكن كيف ؟ . .

- قلت لك . سأختطفها . .

- لا يا نصري . لا . . .

قال نصري بحزم وبأصرار شديدين : سأختطفها وانت ستساعدني على اختطافها يا ابا تامر

- ولكن . . . ولكن كيف تريدني ان اساعدك كيف ؟ . .

قال نصري : لست أدري . . عليك ان تتدبر انت أمر اختطافها . . .

- ولكن مشروع الاختطاف صعب التنفيذ الآن يا نصري . .

- ليس هناك مشروع صعب التنفيذ . كل المشاريع ، مهما صعبت يهون تنفيذها . .

- ولكن . .

فقطع نصري على ابي تامر سبيل الكلام

قال : ارجوك يا ابا تامر ، واتوسل اليك ان تساعدني .
ليس ثمة انسان يستطيع ان يساعدني إلا انت يا ابا تامر
فاستغرق ابو تامر في التفكير :
هو يريد مخلصاً مساعدة نصري ابن ابي نصري ولكنه يجهل كيف ؟ . . كيف يمد لنصري يد المساعدة . وكيف سيختطف له نجلاء ؟ .
وعاد نصري الى الكلام ليقول : يجب ان اختطف نجلاء خلال ساعات وليس خلال ايام أو اسابيع أو شهور
قال ابو تامر : دعني افكر بالأمر ملياً يا نصري
فأيقن نصري ابن ابي نصري ، ان ابا تامر سيساعده وانه سيستطيع بمساعدة ابي تامر اختطاف نجلاء والزواج منها ،
فألتفت الى ابي تامر قائلاً : ساعدني يا ابا تامر في الوصول الى نجلاء والله سيرد الاخطار والاشرار عن شبابك
فارتاح ابو تامر كل الارتياح بكلمة «شبابك . .»
وتمتم : لا بأس . سأساعدك والله سيرد عن شبابي» اترك لي مجال التفكير الآن وسأتصل بك غداً واخبرك بكل ما عزمت عليه ، وبكل ما قررت ورسمت ونتفق على التنفيذ
فهمس نصري : شكراً والف شكر لك يا ابا تامر ، ايها «الشاب» الشهم النبيل ، يا نصير العشاق المغرمين
ووقف ابو تامر مودعاً
قال : يجب ان أذهب الآن يا نصري لأفكر بالأمر وارسم الخطة التي سننفذ لاعادة نجلاء الحلوة اليك

ـ ومتى ستعود اليَّ يا ابا تامر ؟ .

ـ غداً ان شاء الله

ـ ليتك تعود اليوم

فابتسم ابو تامر

وهمس : انتـم معشر العشـاق لجوجـون متسرعـون ، تريدون ان تصلوا الى ما تريدون بسرعـة ، والسرعـة يا اخـي نصري من الشيطان ، وفي العجلة الندامة . خير لنا ان نرسم خطتنا بحكمة وبتأنٍ وبروية فنضمن نجاح تنفيذها في شهر من ان نعمد الى تنفيذها بسرعة ومن دون تفكير فنصطدم بالفشل

شهر ؟ . .

بعد شهر ؟ . .

أيريد ابو تامر ان تظل نجلاء بعيدة عن نصري شهراً وهي تتعذب وتتألم ، ونصري غارق في يم من الشوق والدموع ؟ .

وانتفض نصري

ووثب الى ابي تامر متسائلاً بهلع : بعد شهر ؟ . . أتريد ان تستمر مأساتنا الرهيبة المؤلمة المخيفة شهراً يا أبا تامر ؟ . .

فاتسعت الابتسامة على شفتي ابي تامر

وهمس : لا . . . اطمئـن يا نصري . مأساتـكما لن تستمر اكثر من ساعات . ما دام نصير العشاق ابو تامـر يتـولى امركما فلن يقدر لهذه المأساة ان تستمر طويلاً . . الى اللقاء . . الى اللقاء يا نصري ، الى اللقاء

وسار ابو تامر . . .

وخرج من الباب وهو يحمل هم نصري ونجلاء على منكبيه

وجلس نصري والحزن العميق يعصف به والقلق الشديد يعصف بحناياه ويثير الهواجس المخيفة في نفسه

واذا بالباب يفتح على مهل ويطل منه رأس جبور . . .

وتسلل جبور ابن ام جبور من الباب ودخل

ورفع نصري نظره الى جبور بدون ان ينبس بحرف ، فكأنه لا يراه ولا يعلم من هو الوافد عليه باتئاد خطى . .

وهمس جبور ، وهو يدخل الى المنزل : «رجعت . . . قلتلكم بدي ارجع . . ورجعت جبور ما بيكذب . لما بيقول بدي أرجع . . . بيرجع . .»

ولم يتلفظ نصري بحرف .

فهو منصرف الى التفكير بمصيره الغامض وبمصير حبيبته نجلاء المجهول القرار

وتقدم جبور من نصري متمتماً : «ها . . شو بك . . . لماذا تحمل هذه الجبال على رأسك يا نصري ابن ابي نصري ؟ . .

فهمس نصري ، وهو ينظر من النافذة الى الأفق البعيد : ارجوك يا جبور ن تدعني وحدي الآن . فأنا بحاجة قصوى الى الراحة والهدوء

إلا ان جبور لم يدع نصري وحده ،

ولم «يتركه»

بل عاد الى الاقتراب منه ليقول : اسمع يا نصري يا ابن

ابي نصري ما يقول لك جبور ابن ام جبور . . . الاقدار ترسم طريقنا على هذه الارض ، وما علينا إلا ان نسير في هذا الطريق وبدون اي اعتراض . الذي تكتبه لنا الاقدار هو الذي سيحدث . ونحن لا نستطيع ان نغير منه حرفاً واحداً . تبكي . . تصرخ . . . تولول . . . تنوء تحت اثقال الهموم . . . كل ذلك يذهب في مهب الرياح من دون اي فائدة . . «اللي بدو يصير بيصير . . .»

«كان جبور ابن ام جبور مثل جميع السذج البلهاء يتلكم احياناً بالحكم وهو لا يعلم بماذا يتكلم»

ولم ينبس نصري بحرف

فعاد جبور الى الكلام ليقول : يا نصري اسمع من اخيك جبور ولا تحزن ولا تستسلم للهم وللألم . . حزنك لا يفيدك وهمك لن يحل معضلتك

فهمس نصري : الأمر ليس باليد يا جبور . الهموم اقوى منا ، والحزن اشد بأساً من ارادة الانسان على هذه الارض

فهز جبور رأسه بسخرية ، وكأنه يهزء بما يقول نصري ، وتمتم : هات سيكارة . .

فقدم له نصري سيكارة . . .

ولم يخفِ جبور اللفافة في جيبه هذه المرة بل هو ألقى بها بين شفتيه هامساً : «ولع لي ياها . . .»

وأشعل نصري اللفافة . . .

فنفث جبور دخان اللفافة في الفضاء هامساً . السيكارة

أقـوى من الهمـوم يا نصري . . هل تشاهـد دخـان هذه السيكارة ، كيف يتصاعد على كثافة واسوداد ثم يتضاءل رويداً رويداً ويتحول الى بياض ، ثم يتوارى ويضمحـل . . هكذا هي همومنا . تبدأ كثيفة ، ونراها مخيفة سوداء ثم لا تلبث ان تتحول الى بياض لتبدأ بالاضمحلا . يا نصري ابن ابي نصري اسمع من اخيك جبور وانت الكاسب الرابح الغنوم

فابتسم نصري بالرغم من الألم العميق الذي يعذبه ومن الهم السحيق الذي يلفه

وسأل جبوراً : الا تحزن انت يا جبور ؟. الا تعرف الهم والشجن ؟.

فنفث جبور دخان لفافته في الفضاء وتمتم كلمة واحدة : لا . . .

قال نصري : هنيئاً لك يا جبـور . إننـي أحسـدك على ابتعادك عن الآلام والهموم والاحزان

فتمتم جبور : لماذا تريدني ان أحـزن ما دام الحـزن لا يفيدني شيئاً ؟ ولماذا تريدني ان أهتم ما دام الهم لا يبعد عنـي المصيبة ؟

ولماذا تريدني ان ابكي ما دامت الدموع لا تغسل جراح قلبي ولا تعالج داء روحي ؟.

فأدرك نصري ان جبوراً متحرر من الألم والحزن والهـم لانه متحرر من الادراك والذكاء

ولعل الذكاء هو في كثير من الأوقات احد المصائب التي تزل بالانسان

وصمت نصري وصمت ايضاً جبور

وساد الصمت برهة بينهما ، وكل منهما يفكر في ما يهمه :

نصري يفكر بنجلاء

وجبور يفكر بما سيأكل ويشرب

وفجأة التفت جبور الى نصري قائلاً : «معك شي تفاحة ؟ . . .»

فاجاب نصري : لا

- «شي نجاصة ؟ . .»

- لا . .

- «شي خوخة» ؟ . . - لا . . - «طيب . . عندك دبس ؟» - لا . .

- «عندك تين ؟»

- لا . .

- «ما عندك شي ؟ . . ما معك شي ؟ .»

- لا ، ابداً

- «طيب . . انا معي تفاحة . . خدها»

ومد جبور يده الى جيبه واخرج تفاحة قدمها لنصري وهو يقول : خذ يا نصري . خذ هذه التفاحة . . انا سيرزقني الله غيرها

وابتسم نصري

وهمس : لا يا جبور لا . . ابقِ تفاحتك في جيبك وتعالَ لاطعمك دبساً وتيناً واثماراً

ولمعت الفرحة في عيني جبور .

وسار وراء نصري الى قاعة الطعام ، حيث قدم له نصري بعض المآكل والحلوى والاثمار

فراح جبور يلتهم الطعام وهو يتمتم : اكثر الله خيرك يا نصري ابن ابي نصري . الله يعوض عليك ، ويرزقك ويريح قلبك ويبعد عن روحك الهموم وعن عينيك الدموع الحمراء

- ٢ -

انصرف ابو تامر الى الاهتمام بحل معضلة نصري ونجلاء ، وقد أدرك ان هذه المعضلة شديدة التعقيد ، وحلها ليس بالأمر السهل الميسور

فهناك اسعد شهدان ، الذي يرفض التقرب من ابي نصري ، ويحرّم على ابنته التحدث الى ابن ابي نصري ،

ويخيل اليه ان العلاقة الناشئة بين ابنته وابن ابي نصري تسيء الى سمعته وكرامته وشرفه ، وهو الحريص كل الحرص على كل ما له علاقة بالشرف والسمعة والكرامة

وهناك معضلة المياه التي لم تختر مكاناً من القرية تكمن فيه ، الا ارض ابي نجلاء

ولعل معضلة المياه أشد تعقيداً من مشكلة الهوى العاصف بين قلبي نصري ونجلاء لا سيما وهي تتعلق بحياة القرية ، وبمصير ابناء القرية

فاذا حرمت القرية من المياه تظل قاحلة ماحلة جرداء

وكان على ابي تامر ان يحل معضلة العاشقين المتيمين نصري ونجلاء من دون ان يسيء الى مصلحة ابناء القرية

ومن دون ان يحرمها من نعمة المياه التي يرقبون الوصول اليها بفارغ صبر

وكان ابو تامر يعلم يقيناً ان ثمة علاقة وثيقة العرى ، متينة الصلات بين علاقة نجلاء بنصري وبين التنقيب عن المياه في أرض ابي نجلاء ، وكلمات ابي نجلاء لا تزال ترن في اذنيه :

«هل يخيل لكم انني سأسمح بالتنقيب عن المياه في ارضي بعد الآن ؟ . ومن اجل من ؟ . من اجل ابي نصري والمحروس ابنه ؟ . . »

هذه الكلمات نطق بها اسعد شهدان بعد ان وقف من جبور ابن ام جبور على ما يربط نصري بأبنته نجلاء من وثيق المودة والهيام . .

اذن ؟ . .

اذن ماذا ؟

اذن يجب تأمين المياه للقرية ، قبل الاقدام على خطف نجلاء . .

ولكن ؟. ولكن ماذا ؟.

ولكن قد يطول موعد تفجير المياه فهل يجوز ان يطول عذاب نجلاء ونصري ؟.

لا . لا . . على أبي تامر ان يسعى لاسعاد الحبيبين ثم يبقى لكل حدث حديث

ومضى فريد الظاهر في تفكيره المرهق الممض محاولاً الوصول الى حلين ، لا الى حل واحد :

الوصول الى حل لمعضلة المياه

والوصول الى حل لمعضلة نجلاء ونصري

ورأى بعدتفكير طويل ، ان يبدأ بحل معضلة المياه اولاً ،

ثم . . ثم يبدأ بحل معضلة العاشقين ثانياً . . .

وعاد ابو تامر الى التفكير السحيق يستغرق فيه . . .

وبعد تفكير طويل رأى ان يشخص الى أبي نجلاء فيقف على قراره الاخير في قضية المياه

ثم ، بعد ان يقف من اسعد شهدان على مصير المياه يبدأ بالتفكير في حل معضلة نجلاء ونصري

وتساءل ابو تامر : متى اذهب الى ابي نصري ؟.

وأجاب نفسه : غداً . . غداً في الصباح الباكر سأكون عنده واقف منه على ما اتخذ من قرار اخير . .

ولكن لماذا يؤجل الى الغد ما يستطيع القيام به الآن ؟.

الآن يمكنه ان يشخص الى منزل ابي نصري فلماذا يؤجل

ذلك الى الغد ، وقد قيل «لا تؤجل للغد ما تستطيع ان تفعلـه الآن» . .

وعاد ابو تامر الى التفكير . .

وانتهى الى اتخاذ القرار الحاسم الجازم :

االيلة . . الليلة سيسهر عند ابي نجلاء ، ويلعب واياه الورق ويقف منه على كل شيء . .

وارتاح كل الارتياح لهذا القرار

وأقام يرقب ان يحين موعد السهرة

فللسهرة في القرية موعد يعرفه الجميع ، وليس لأحد من ابناء القرية ان يزور ليلاً احد ألا وقد حان موعد السهرة

والسهرة تبدأ في الساعة الثامنة وتمتد الى منتصف الليل ، وقليلاً ما تتجاوز منتصف الليل في سهرات الاعياد أو في حفلات الافراح والليالي الملاح . .

وما ان أعلنت الساعة الثامنة ، حتى كان فريد الظاهر في طريقه الى منزل ابي نجلاء

ووصل الى المنزل ، وهو يخشى ان لا يلقى عند ابي نجلاء الترحيب

وان يكون اسعد شهدان غاضباً أو ثائراً

وتساءل في سره ، وهو يطرق الباب : ترى اما زال ابـو نجلاء متربعاً على ذروة الغضب ؟ .

وفتح الباب

ولم تكن نجلاء هي التي فتحت الباب كعادتها . بل كان ابوها . . .

وانفرجت اسارير وجه ابي نجلاء ،

وطفت الابتسامة على شفتيه وهو يشاهد ابا تامر في الباب

ورحب به : اهلاً بأبي تامر . . اهلاً . . اهلاً

فارتاح فريد الظاهر ، كل الارتياح وكلمات الترحيب تقع منه في الاذنين : الحمد لله ثم الحمد لله ، يبدو أن ابا نجلاء منشرح الخاطر ولا أثر للغضب او للثورة في محياه . .

ودخل ابو تامر هامساً : لقد غادرت هذه الدار اليوم وأنت غاضب يا ابا نجلاء . وقد قلقت عليك وخشيت ان يضرّ بك الغضب فعدت لأطمئن الى سلامتك

فاتسعت الابتسامة على شفتي ابي نجلاء

وهمس : شكراً لك يا اخي فريد على عاطفتك النبيلة . لم أكن يوماً لأشك بمحبتك وبغيرتك . . تفضل . . تفضل

واقتاده الى صحن الدار

وأجلسه في الصدارة

وجلس قربه . .

وتساءَل ابو تامر : قل لي يا ابا نجلاء الا تزال غاضباً ؟

فهز أبو نجلاء رأسه بأسف

وقال : يا اخي ابا تامر انا رجل سريع الغضب ، ولكنني سريع الرضى ايضاً

قال ابو تامر : وانت طيب القلب كريم الخلق يا ابا

نجلاء . . وقد كنت على يقين من ان ثورة غضبك لن تطول . لا سيا وانك كنت على خطأ في ثورتك على نجلاء المسكينة التي لم ترتكب جريمة لتستحق مثل هذا الغضب

فاقترب اسعد شهدان في جلسته من فريد الظاهر هامساً : يا ابا تامر ، كان علي ان أقف من نجلاء موقف الثائر الناقم الغضوب لأردعها عن التهور وأمنعها من انشاء علاقة مع ابن ابي نصري

فتساءَل ابو تامر : ولماذا تريد ان تمنعها من التحدث الى هذا الشاب ؟

فانتفض اسعد شهدان ، وسؤال ابي تامر ينزل في اذنيه وتمتم : أتسألني مثل هذا السؤال يا ابا تامر ، وانت تعلم أي أذى ألحق بي ابو نصري ؟ .

قال ابو تامر متسائلاً : وما هو هذا الأذى الذي انزله بك فارس المير يا ابا نجلاء ؟ .

قال ابو نجلاء : يكفي انه حرض ابناء القرية على التنقيب عن المياه في أرضي ، وسيكون السبب في «تخريب» أرضي ليروي ارضه بمياهي

فضحك ابو تامر

وقال : يا ابا نجلاء قصة المياه الكامنة في أرضك اصبحت مهزلة في هذه القرية ، فانت توافق حيناً على حفر الارض للوصول الى المياه ، ثم ترفض . . تعد ثم تخلف وعدك . . . تتعهد ثم تنقض عهدك . . . وآخر ما علمت منك

اليوم انك رافض وقد طلبت الي ان أبلغ ابناء القرية هذا الرفض

فابتسم اسعد شهدان وقال : ما اعلنه لك اليوم يا ابا تامر كان تحت وطأة الغضب الشديد ، فلا تحملنه على محمل الجد . لقد وعدتكم بالموافقة على التنقيب عن المياه في أرضي ولن أعود عن هذا الوعد

فارتاح ابو تامر كل الارتياح ، وكأن حملاً ثقيلاً سقط عن منكبيه وهو يسمع كلام ابي نجلاء ،

وقال : لم أكن لاشك يوماً يا اخي اسعد في شهامتك ونبلك

ونهض ابو نجلاء ليحضر «الورق» ويعود الى ابي تامر قائلاً : الليلة سأغلبك يا ابا تامر

فضحك ابو تامر

وقال : متى غلبتني يا ابا نجلاء لتغلبني الآن ؟

فانتفض اسعد شهدان

وقال : لقد كنت دائماً الغالب معك ، وانت المغلوب

وجلس . ودفع بالورق الى ابي تامر قائلاً : تفضل إلعب . .

وقبل ان يبدأ ابو تامر اللعب سأل ابا نجلاء : اين نجلاء ؟ فانا لم أرها

فعاد اسعد شهدان الى الهمس : انها في غرفتها . . . فقد فرضت عليها الاقامة في غرفتها ومنعتها من مغادرة الدار . نجلاء لن تغادر هذه الدار يا ابا تامر منذ اليوم

فدهش ابو تامر
وتساءَل : حتى متى ستظل ابنتك مسجونة في هذه الدار يا ابا نجلاء
ـ حتى يفرجها الله . . .
ـ ولكن ما هو هذا الذنب العظيم الذي اقترفته ؟ وما هي هذه الجريمة النكراء التي اقترفتها ؟ .
قال اسعد شهدان : ألا يكفي ما حملت اليَّ من المصائب والكوارث ؟ .

فعاد ابو تامر الى التساؤل : ما هي هذه المصائب والكوارث التي حملتها اليك نجلاء يا اخي اسعد ؟ هل استطيع ان اعلم ما هي ؟ .

قال ابو نجلاء : لقد كانت تقف في الحقل مع شاب تتحدث اليه بكلام «يثير الشوق والحنين» كما قال جبور ابن ام جبور فماذا عسى ان يقول ابناء القرية وقد علموا ان نجلاء ابنة ابي نجلاء تخلو بشاب وتتبادل واياه كلاماً يثير الشوق والحنين والدموع» ؟. وأي فضيحة ستكون فضيحتي ؟ واي لطخة سوداء ستلوث سمعتي يا ابا تامر ؟ . . ثم لا تنسَ ان ذاك الشاب الذي كان يقف معها هو نصري ابن ابي نصري
فضحك ابو تامر

وقال : كن رحب الصدر راجح العقل يا ابا نجلاء . ولا تظلم ابنتك . انها بريئة من كل هذه التهم التي تلصقها

بها . دعها تخرج من المنزل ولا تحاول ان تقيد حريتها وتكبل يديها بسلاسل من القسوة والظلم

فهدر ابو نجلاء : لا . . نجلاء لن تخرج من هذه الدار . لا تحاول يا ابا تامر ان ترغمني على ما لا أريد القيام به

فهمس ابو تامر : مجنون . . انت مجنون يا ابا نجلاء

فتمتم اسعد شهدان : مجنون . . مجنون . . . خير لي ان أكون بين المجانين من ان اكون بين البعيدين عن الشرف والكرامة . . .

قال ابو تامر : ألن تسمح لها بأن تقدم لي القهوة الآن ؟ . . فابتسم اسعد شهدان وقال : كيف ستشرب القهوة وانت مغلوب يا ابا تامر ؟ .

قال ابو تامر : عندما أشرب القهوة من يد نجلاء سأغلبك .

قال ابو تامر هذا ونادى : نجلاء ! . . يا نجلاء ! . .

وفتح باب الغرفة

وأطلت منها نجلاء

واقتربت منها هامسة : مساء الخير يا ابا تامر

ونظر ابو تامر الى نجلاء فهاله الشحوب في عينيها ، والاصفرار في خديها ، والارتجاف في شفتيها . . .

كانت نجلاء في حال مؤلمة مؤسفة

تحاول الكلام فلا تستطيع ،

وتحاول اخفاء قلقها وألمها واضطرابها فتعجز

كل ما في وجهها كان يشير الى هول الكارثة النازلة بها . . .

كانت عيناها الشاحبتان ذابلتين كوردة عصفت بها الرياح فأذبلت اوراقها الندية وذهبت بعبيرها

وكانت شفتاها تنفرجان عن نصف ابتسامة واهية حاولت بها نجلاء اخفاء ألمها فعجزت

وكانت اجفانها لا تزال مبللة بالدموع

فبدت تلك الاجفان كأوراق الازهار تحت قطرات الندى اللامعة البيضاء

ورمقت نجلاء ابا تامر بنظرة فيها كل معاني الاسترحام

فبادلها ابو تامر تلك النظرة بنظرة تشجيع وتطمين ورجاء

وتمتم ابو تامر : كيف الحال يا حلوة الحلوات ؟

فهمست : الحمد لله يا ابا تامر

قال ابو تامر : منذ زمن بعيد لم نذق القهوة من يدك يا نجلاء

قالت : كرمت عيناك يا ابا تامر . سأهيء لكما القهوة

قالت نجلاء هذا واتجهت الى المطبخ ،

فالتفت ابو تامر الى اسعد شهدان هامساً : ماذا فعلت بهذه الفتاة يا كافر ؟ . حرام عليك يا ابا نجلاء . . . انت ستقضي على ابنتك اذا استمررت في هذه المعاملة السيئة لها

فصمت اسعد شهدان

وبدا منه انه نادم على ما بدر منه حيال نجلاء . .

وساد الصمت بينهما وهما يلعبان

وراح ابو تامر يفكر بوسيلة يستطيع بها ان يتحدث الى نجلاء بعيداً عن والدها

ومن دون ان يستمع ابو نجلاء الى كلمة حديثهما

وتساءَل فريد الظاهر : كيف ستتحدث الى نجلاء على انفراد يا ابا تامر ؟ . .

كيف ؟ . . كيف ؟ . .

وفجأة دفع ابو تامر بالورق الى اسعد شهدان وهو يقول : لم أقل لنجلاء انني اريد قهوتي مرة وبدون سكر . أخلط الورق يا أبا نجلاء ريثما اعود

قال ابو تامر هذا ووثب ليدخل الى المطبخ باتئاد خطى

واقترب من نجلاء التي كانت منصرفة الى تهيئة القهوة

وهمس في أذنها : نجلاء ! . . اطمئني . انا سأنقذك من هذا العذاب الاليم ، وانقذ نصري

فهمست : نصري ؟ . . وكيف حاله ؟ . .

قال : انه بخير يهديك سلامه

وترقرقت الدموع في عينيها النجلاوين

وهمست : «سلملي عليه يا ابا تامر . . .»

وتدحرجت الدموع على خديها

فوجم ابو تامر

وهمس : اتكلي على ابي تامر يا نجلاء . ولا تخشي

شيئاً . ابو تامر ، نصير العشاق سينصرك وينصر نصري على إعدائكما ... انتظري خبراً ساراً مني غداً او بعد غد ...

ولم ينتظر منها جواباً أو كلاماً . وقد خشي ان يثير هواجس وظنون والدها ...

فأسرع بالعودة هاتفاً : «سكر قليل يا نجلاء . سكر قليل . انا اشرب القهوة مرة ...» وعاد الى جلسته قرب ابي نجلاء ليكمل اللعب ...

ولم تلبث ان جاءتهما نجلاء بالقهوة

فراحا يرشفانها على مهل ...

ومضيا في اللعب ،

واخذ ابو تامر يلاعب ابا نجلاء من دون اهتمام

متعمداً افساح المجال امامه للتغلب عليه

كان ابو تامر يريد ان يفوز ابو نجلاء ، ليغمر قلبه بالفرح والسرور ، فيدفع بالغضب عنه ، ويريح نجلاء من ثورة غضبه وانتقامه .

وتغلب ابو نجلاء على ابي تامر

فغمرت الفرحة قلبه ، وشعت البهجة في عينيه

فراح يهزج ويضحك ويناضر بفوزه ويتباهى بمقدرته في لعب الورق

ووقف ابو تامر يقول : كنت سيء الحظ معك الليلة يا ابا نجلاء . لا بأس فقد سبق لي ان تغلبت عليك مراراً عديدة .. وغداً سأعود لألاعبك . وسآخذ بثاري منك

وحاول اسعد شهدان ان يقنع ابا تامر بمتابعة اللعب
الا ان ابا تامر ابى ان ينزل عند طلب ابي نجلاء
لقد انهى مهمته في دار ابي نجلاء
وأصبح الآن بحاجة الى الانصراف ، لينصرف الى رسم خطة اختطاف نجلاء

فقد ايقن ابو تامر ، انه لا بد من تنفيذ خطة الاختطاف ، نزولاً عند طلب نصري ابن ابي نصري ، لا سيما بعد ان شاهد نجلاء ووقف على كل ما نزل بها من ألم ووهن وشقاء وعذاب

وودع فريد الظاهر صديقه ابا نجلاء ،
وودع نجلاء
وخرج ليتجه الى داره على تفكير عميق سحيق بعيد القرار »

الفصل السادس

بزغت الشمس الدافئة من وراء الجبال والتلال ساكبة ذوبها الذهبي على تلك القرية الباسمة الخضراء ، وأم عساف لا تزال جالسة بين كنّاتها الصبايا في ساحة «عين الحلوة» تروي لهن قصة الدموع التي لا تجف .

ونظرت أم عساف الى الفضاء فاذا بالشمس تكاد تتوسط السماء . . .

وتوقفت عن الكلام

وتمتمت : لقد انقضى الوقت سريعاً . ويجب ان أعود الى منزلي يا حبيباتي ، ولديَّ فيه الكثير من الأعمال

إلاّ أن الصبايا اعترضن ،

وأبين ان يسمحن لها بالعودة الى منزلها قبل ان تكمل لهم سرد قصة عين الحلوة

فهن يردن معرفة ما حل بنجلاء الحلوة وما جرى لحبيبها نصري

قالت احدى الصبايا : أكملي لنا القصة يا أم عساف . . . فالوقت ما زال فسيحاً امامك للقيام بالاعمال المنزلية

فوقفت ام عسفاف هامسة : لا . . الأعمال كثيرة . و«ستكم» أم عساف لا تستطيع انجازها في ساعة ولا في ساعتين ولا في ثلاث ساعات . سأكون في انتظاركن مساءً في منزلي ، وسأروي لكن تفاصيل هذه القصة ، قصة عين الحلوة ، وتقفن على كل ما جرى لنجلاء الحلوة ولحبيبها نصري ، وعلى كل ما قام به ابو تامر نصير العشاق لتبديد الغمام وتحقيق آمال الحبيبين المتيمين ،

وتناولت أم عساف ابريقها

وسارت وهي تتمتم : الى المساء . . . الى المساء

وكان لا بدَّ للصبايا الجميلات من النزول عند قرار أم عساف

وليس لهن إلا الانتظار حتى المساء

وانتظرن . . .

وما ان توارت الشمس وراء الأفق البعيد

وبدأ الظلام يغمر القرية الهانئة الباسمة الخضراء بوشاحه المدلهم ، حتى كانت صبايا القرية يسرن الى منزل أم عساف على اجنحة الشوق لمعرفة اسرار قصة الدموع التي لا تجف

وكالعادة ، استقبلت أم عساف كنّاتها بالترحيب الشديد

وقدمت لهن الاثمار والحلوى والمرطبات . .

وجلست بينهن على سطيحة المنزل لنكمل قصة عين الحلوة

قالت : أقام فريد الظاهر على قلق وحيرة واضطراب ، بعد عودته الى داره من دار اشعد شهدان

وراح ابو تامر يفكر ، وهو جالس في داره القروية يدخن محاولاً رسم خطة اختطاف نجلاء من دون ان يهتدي الى وسيلة يؤمّن بها نجاح مهمته .

كان قد خيل إليه ان اختطاف نجلاء أمر سهل المنال ، إلاّ انه اكتشف اخيراً ان مشروع الاختطاف صعب التنفيذ

ولأن ابا تامر لا يعترف بالمستحيل . . .

ولأن جميع الصعاب تهون لديه عند تأمين السعادة للعشاق المحبين فقد عزم ابو تامر العزم الثابت الأكيد على تذليل جميع الصعاب التي تعترض سبيله

وانغمس فريد الظاهر في تفكيره العميق الرحيب

وهمس في سره : كنت يا ابا تامر تخشى ان ينتقم اسعد شهدان من ابناء القرية ويحول بينهم وبين التنقيب عن المياه اذا اختطفنا ابنته نجلاء ، إلا ان ابا نجلاء اكد انه لن يخلف وعده

ولن ينقض العهد الذي قطعه لأبناء القرية

وسيسمح لهم بالتنقيب عن المياه في أرضه . .

اذن . . .

اذن ليس ثمة ما يدعو الى القلق

ولا هناك ما يخيف . .

فأسعد شهدان وَعد وهو عند وعده ، ولا أخاله ينتقم لاختطاف ابنته من جميع ابناء القرية . .

ونفث ابو تامر دخان اللفافة في الفضاء ليستغرق في تفكيره السحيق .

قال في سره : . . . كنت يا ابا تامر تأمل ان تختطف نجلاء وهي في طريقها الى عين الشير لملء جرتها . . .

تختطفها ؟ . .

لا . . بل تقودها برضاها ، بملء رضاها ، تقودها الى حبيبها نصري . .

وعندما تصبح نجلاء في دار نصري ابن ابي نصري سيرتاح ابو تامر . . . وليفعل ابو نجلاء ما يطيب له و يحلو . . .

ولكن . . .

ولكن ماذا يا ابا تامر ؟ . .

وهز ابو تامر رأسه ، وقد وصل في تفكيره الى هذا الحد . .

وهمس : ولكن القرار الذي اتخذه اسعد شهدان في حجز ابنته وحبسها في الدار هدم كل ما بني ابو تامر من احلام ونسف كل ما رسم من خطط كانت ، لولا هذا القرار المفاجيء ، مضمونة النجاح .

يا ضياع التعب يا ابا تامر يا ضياع التعب . . .

ونفث فريد الظاهر دخان اللفافة في الفضاء وراح يمعن في التفكير باحثاً عن حل لهذه المعضلة الجديدة التي ظهرت فجأة ولم يكن ليحسب لها حساباً . . .

« . . . كانت نجلاء في حال مؤسفة مؤلمة . . كل ما في وجهها يشير الى هول الكارثة النازلة بها ».

وهمس فريد الظاهر : يجب ان تجد وسيلة تخرج بها نجلاء من دار والدها . .

وعندما تجد هذه الوسيلة «تهون المصيبة» يا ابا تامر ، ويصبح مشروع اختطاف نجلاء سهل التنفيذ . .

ولكن كيف ؟ . .

كيف سيمكنك الابتعاد بنجلاء عن دار ابيها ؟ .

كيف ستخرج نجلاء من الدار ، والدار موصدة الابواب دونها ؟ . .

ومن تراه يستطيع ان يخرجها من تلك الدار الموصدة الابواب ، وهناك عينا والدها تراقبها وتحصي عليها خطواتها ؟ .

من ؟ . من ؟ . من ؟ .

وفجأة لمع خاطر في رأس ابي تامر فهب واقفاً

وهتف : وجدتها . .

اذن لقد «وجدها» ابو تامر . .

وجد وسيلة يخرج بها نجلاء من دار والدها ، ويبتعد بها عن تلك الدار ؟

فما هي هذه الوسيلة التي وجدها ابو تامر ؟ .

ولمعت الابتسامة الهانئة على شفتي فريد الظاهر

وراح يتمشى في القاعة . وهو يفكر في تلك الوسيلة .

وتمتم : انها مضمونة النجاح . . . غداً ستخرج نجلاء من دار والدها في ساعة مبكرة من الصباح ، وقبل انتصاف النهار ستكون في دار نصري ابن ابي نصري

وهزَّ ابو تامر رأسه بفـرح هامسـاً : يا لك من «شـاب» حاذق ماهر ذكي يا ابا تامر ، يا نصير العشاق . . .

وكانت تلك «الوسيلة» التي اكتشفها ابي تامر تنحصر في اللجوء الى صديقة نجلاء الحميمة زهرة ابنة ابي خليل .

وزهرة فتاة ذكية تحب نجلاء وتتفانى في خدمتها

وابو تامر سيطلب الى زهرة ان تمد له يد المساعدة لانقاذ نجلاء من هذا العذاب الاليم

ومن المؤ كد ان زهرة ابنة ابي خليل ستلبي الطلب . .

وعاد ابو تامر الى رسم خطة جديدة :

صباح غد ستشخص الصبايا بجرارهـن الى عـين الشـير لاستثاء المياه .

ومن المؤ كد ان نجلاء لن تكون بينهن . . .

وكيف تكون بينهن ووالدها يسجنها في الدار ويأبى عليها ان تتخطى عتبة تلك الدار . . .

وسيكون ابو تامر نصير العشاق هناك فيعترض سبيلهـن ويطلع زهرة على تفاصيل الكارثة النازلة بصديقتها نجلاء . .

وزهرة ستتكفل بأخراج نجلاء من الدار ، وحل المعضلة

وارتاح نصير العشاق كل الارتياح ، وقد وصل بتفـكيره الى هذا الحد

ونهض هامساً : الآن تستطيع ان تنام يا ابا تامر وترتاح كي تستطيع ان تبكر صباح غد الافاقة من النوم والنهـوض من السرير

ونام ابو تامر قرير العين تلك الليلة ،
واستغرق في النوم ، وهو يحلم بنجاح خطته المرسومة وبأنقاذ نجلاء ابنة ابي نجلاء من النار المتقدة السعير التي تحرق قلبها ، وتعصف بحنايا ضلوعها .
وما ان بدأ الفجر بالبزوغ حتى كان ابو تامر يقفز من السرير ، فيهيء القهوة ليحسوها على عجل
ثم يرتدي ثيابه ليخرج من الدار
ورمق ساعته بنظرة سريعة وهو يقفل الباب
فاذا بالساعة تشير الى السادسة من الصباح
الساعة السادسة ؟ . .
لقد أبكر نصير العشاق ،
ابكر جداً في الخروج من المنزل ،
فالصبايا لن يكن في طريقهن الى عين الشير قبل السابعة من الصباح . .
ماذا عليه ان يفعل الآن ؟
واين ؟ وكيف سيقضي هذه الساعة ، من السادسة حتى السابعة ؟ . .
اين ؟ . .
وتمتم : اين ؟ . هل يحتاج الأمر الى تفكير ؟ .
لا . . . يجب ان اشخص الى دار ابي نصري لاطلع نصري على الأمر فيكون مطلعاً على كل ما اقدمت وما سأقدم عليه لئلا يفاجأ بالحدث السعيد . .

ولكن . .

الا يجوز ان تفشل الخطة المرسومة . . في اللحظة الاخيرة ؟ .

كل شيء يجوز

اذن لن يطلع ابو تامر نصري على تفاصيل الخطة

بل هو سيشخص اليه ويدعوه الى انتظار حدث سعيد فقط . .

ولن يقول له ما هو هذا الحدث . .

وسار ، سار ابو تامر باتجاه منزل ابي نصري

ووصل . . .

فوقف امام الباب يطرقه

وفتح الباب ، فاذا بأبي نصري يطل هامساً : ابو تامر ؟ . . اهلاً وسهلاً . . ما اتى بك الينا في هذه الساعة المبكرة من الصباح ؟ خير إن شاء الله ؟ .

فابتسم ابو تامر

وقال : ما هناك الا الخير يا ابا نصري . كنت ماراً بالقرب من دارك العامرة فرأيت ان أعرج عليكم واشرب قهوة الصباح معك ومع المحروس نصري

فدعاه ابو نصري الى الدخول : تفضل . . ادخل . اهلاً . . اهلاً . . اهلاً . . .

ودخل ابو تامر متسائلاً : اين المحروس نصري ؟ .

قال ابو نصري : استفقت الآن فلم أجده في سريره . يبدو انه شخص الى الحقل

فتساءَل ابو نصري : في هذه الساعة المبكرة من الصباح ؟ . .

قال ابو نصري : أولادنا ما زالوا على همة ونشاط . «رزق الله» يوم كنا في مثل اعمارهم يا ابا تامر

قال ابو تامر : «قل رزق الله يوم كنت انا في مثل أعمارهم» انت وحدك . ولا تشركنا معك في الذكريات . فانت كهل اما انا . . .

فقطع فارس المير عليه الكلام

قال : اعرف اعرف . . . انت ما زلت شاباً

قال ابو تامر باصرار : اجل انا ما زلت شاباً وسأظل شاباً بالرغم منكم كلكم ايها الكهول

فاستغرق ابو نصري في الضحك

وقال : تعال . . تعال لنشرب القهوة . فقد هيأت القهوة ، وكنت سأشربها وحدي لو لم تحضر يا ابا تامر . .

وجلس ابو تامر ليشرب القهوة قرب ابي نصري على عجل . . .

ونهض وقد انتهى من رشف كل ما في الفنجان من القهوة

وودع ابا نصري هامساً : الى اللقاء يا ابا نصري . الى اللقاء

فحاول ابو نصري دعوة ابي تامر لتناول طعام الصباح معه الا ان نصير العشاق اعتذر ،

فهو على استعجال

وعليه ان يلحق الآن بنصري الى الحقل ليبشره بوقوع حدث سعيد ،

ثم يشخص الى الطريق العام المؤدي الى عين الشير ليلتقي زهرة ابنة ابي خليل

وسار فريد الظاهر مسرعاً الى الحقل

الى حقل ابي نصري . .

ووصل ، فاذا به امام نصري يقلم بعض الاشجار المتناثرة في ذلك الحقل الواسع الرحيب المترامي الاطراف . .

ودهش نصري ، وهو يشاهد ابا تامر مقبلاً نحوه في تلك الساعة المبكرة من الصباح

ووثب اليه متسائلاً : ما أتى بك الى هنا يا ابا تامر في هذه الساعة المبكرة ؟

قال ابو تامر . علمت انك هنا فشخصت اليك

قال نصري بتساؤل ملحاح : وهل هناك ما يقلق يا ابا تامر ؟ . .

فابتسم نصير العشاق

وهتف : لا . . ليس هناك ما يقلق يا نصري ، بل هناك ما يفرح

فتقدم ابن ابي نصري من ابي تامر متسائلاً : أخبرني يا ابا تامر . ماذا جرى ؟

قال ابو تامر : جئت لابشرك بلن حدثاً سعيداً سيقع اليوم ، وسيبدد هذا الحدث كل ما في صدرك من قلق وهموم وعذاب

فعاد نصري الى التساؤ ل بالحاح : ما هو هذا الحدث المفرح يا أبا تامر ؟ .

ورد ابو تامر : لا . . . لن اطلعك عليه الآن . سأفاجئك به بعد ساعات قليلة يا نصري . انتظرني هنا سأعود اليك بعد ساعات قليلة ، وربما حملت اليك من الاخبار السارة ما يفرح قلبك الطاهر النبيل .

وعبثاً حاول نصري استدراج ابي تامر للبوح بما في صدره من اسرار ،

فقد أصر ابو تامر على كتم السر الدفين

وودع ابو تامر نصري

وأسرع بالذهاب وهو يتمتم : فليوفقني الله ، وليأخذ بيدي كي استطيع توفير السعادة والهناء لهذين العاشقين البائسين ،

وأسرع نصير العشاق الخطى للقاء الصبايا وهن في طريقهن الى عين الشير

ووصل الى حيث تلتقي الصبايا «الى حيث هي عين الحلوة اليوم»

ووقف ينتظر وصول الصبايا .

ولم يطل انتظاره . . .

دقائق قليلة وبدأت طلائع بنات القرية تصل .

وكانت الأولى سلمى . . .

وشاهدت سلمى ابا تامر يقف قرب الصخرة المتواضعة فابتسمت له

وهمست مازحة : لقد دهمتُك يا ابا تامر بالجرم المشهود . فانت هنا على موعد مع فتاة حسناء يا نصير العشاق

فابتسم ابو تامر متباهياً .

ولم يدفع التهمة عنه

بل هو ايدها بكل اعتزاز وافتخار

قال : المهم هو ان تكتمي السر يا سلمى ولا تفضيحنا

فاقتربت منه سلمى متسائلة : من هي يا «عفريت» يا ابا تامر ؟

قال ابو تامر بكل جلال ووقار : لن تعرفيها ، ولن اطلعك على اسمها . .

واذا بسعدى تطل عليهما

وما ان شاهدت سلمى تقف قرب ابي تامر حتى وثبت اليها هاتفة مازحة : لقد دهمتك بالجرم المشهود يا سلمى مع هذا العاشق الولهان الذي «دوّخ» جميع بنات هذه القرية

فضحك ابو تامر وقد ازداد تيهاً ودلالاً واعتزازاً

واقترب من سعدى هامساً : ارجوك ان تكتمي سرنا ولا تفضيحنا يا سعدى

قالت سعدى متظاهرة بالغضب الشديد : سأفضحكما وسأخبر جميع ابناء القرية بما شاهدت وسمعت . الا تعلم بأنني شديدة الغيرة . ولا أريدك ان تتحدث الى أي فتاة غيري . . .

فتقدم ابو تامر من سعدى هامساً : وحياتك لن اتكلم بعد الآن الى فتاة غيرك

قالت : ارجو ان تكون صادقاً هذه المرة

قال سأكون صادقاً وحياة عينيك الحلوتين ،

واذا بالفتيات يتوافدن

فجاءت سعاد ونسيمة ، ووردة ، ودعد ، ومها . . .

وراح فريد الظاهر يرقب حضور زهرة ابنة ابي خليل

إلا ان زهرة لم تطل ولم يبن لها أثر

وبدأ القلق يعصف بأبي تامر

وقد خشي ألاَّ تحضر زهرة وهناك الطامة الكبرى

اذا لم تحضر زهرة الآن فان مصير خطة نصير العشاق المرسومة سيكون نصيبها الفشل الذريع

ووقف يتطلع الى الطريق الممتد الى بعيد آملاً ان يشاهد زهرة مقبلة

واستبد القلق بأبي تامر ، وقد تأخرت زهرة في الوصول ،

وكاد يقطع حبل الأمل من حضورها

إلا انه ابتسم فجأة وقد لاحت له زهرة مقبلة وهي تحمل جرتها على كتفها .

ورأى ان يشخص اليها فيلتقيها قبل ان تصل الى حيث تقف الصبايا متأهبات للانطلاق نحو عين الشير

وأسرع نصير العشاق الى زهرة ،

وشاهدته ابنة ابي خليل مقبلاً نحوها ، فخيل اليها ان ابا تامر يريد ان يقدم لها تفاحة أو اجاصة ، أو قطعة حلوى ، كعادته

فابتسمت له . .

وهتفت به ، وقد وصل قربها : اهلا بنصير العشاق . ماذا تحمل اليَّ اليوم ؟

فهمس : احمل اليك خبراً سيئاً يا زهرة

ولمست زهرة الجد والحزم في كلام ابي تامر فتمتمت متسائلة : ما هو هذا الخبر السيء يا ابا تامر . لقد اقلقتني وأثرت هواجسي

فعاد ابو تامر الى الاقتراب منها متسائلاً : اين هي نجلاء يا زهرة ؟ . .

فاجابت : قد تكون هناك مع الصبايا

قال : لا . . ليست هناك

قالت : لعلها في الطريق الى هنا

فتمتم : لا . . وليست في الطريق الى هنا

ـ ولكنها ستحضر حتماً . ان لم تحضر الآن فهي ستحضر بعد قليل ، لانها مرغمة على ملء الجرة من عين الشير

فهز ابو تامر رأسه

وتمتم : لا ، لا ، نجلاء لن تحضر اليوم يا زهرة

فوجمت زهرة ، وقد أدركت ان ابا تامر جاد وان صديقتها نجلاء واقعة في مأزق خطر

وتساءَلت بألحاح : لماذا ؟ لماذا تتخلف نجلاء اليوم عن التوجه الى عين الشير ؟ ما بها نجلاء يا ابا تامر ؟ هل حلَّ بها مكروه ؟

فأومأ ابو تامر برأسه مشيراً بالايجاب

وتمتم : أجل يا زهرة ، اجل ، لقد حلَّ مكروه بصديقتك نجلاء وعلينا ان نسرع لمساعدتها

فازدادت زهرة وجوماً ، وكلام ابي تامر يقع منها في الأذنين

وتمتمت بسؤال ملحاح : أخبرني يا أبا تامر ما بها نجلاء . ماذا أصابها ؟ ماذا دهاها ؟ هل هي في خطر ؟ . .

قال ابو تامر : ستكون في خطر كبير شديد اذا لم نسرع الى مدّ يد المساعدة لها يا زهرة . علينا ان نسرع لنجدتها ولانقاذها من الكارثة الرهيبة المتأهبة للانقضاض عليها

فهتفت زهرة بخوف وقلق شديدين : ما هي هذه الكارثة المتأهبة للانقضاض على نجلاء يا ابا تامر ؟ . ارجوك ان تخبرني

قال ابو تامر : اسمعي يا زهرة . ان صديقتك سجينة الآن في منزلها . . . والدها ضربها وشتمها وأوصد دونها الابواب . ومنعها من تخطي عتبة الدار .

فهلعت زهرة ، وابو تامر يطلعها على الخبر الأليم

وتساءَلت : لماذا يا ابا تامر ؟ لماذا اقدم ابو نجلاء على هذه القسوة حيال ابنته وهو كما اعلم ويعلم الجميع ، يحبها ويحنو عليها ويرعاها بقلب شفيق حنون ؟ .

قال ابو تامر سأخبرك كل شيء يا زهرة ، واطلعك على السر الدفين، وانا اعرفك صديقة نجلاء الوفية تصونين سرها وتحفظين لها في قلبك العطف والحب والاخلاص والوفاء

قالت : انت على حق يا ابا تامر . نجلاء صديقة وفية وهي لدي في مقام اختي . قل لي كل شيء ، ولا تخفِ عني شيئاً من اسرارها واخبارها

قال ابو تامر : انت تعرفين كل خفايا واسرار نجلاء يا زهرة . أليس كذلك ؟

قالت : اجل . . كل اسرارها واخبارها عندي

فتساءَل : هل تعرفين من هو صديق نجلاء الوفي العزيز ؟

قالت : اجل يا ابا تامر

قال : من هو ؟ .

قالت : انه نصري ابن ابي نصري .

قال : ان نصري ابن ابي نصري هو السبب في كل ما نزل بصديقتك نجلاء من مصائب وكوارث وويلات .

فدهشت زهرة مما يقول ابو تامر ،

وقد خيل اليها ان هناك خلافاً شديداً نشب بين نجلاء وحبيبها نصري ،

فتساءَلت : هل الخلاف شديد بينهما يا ابا تامر ؟ . .

فهز أبو تامر رأسه

وتمتم : لم تفهمين يا زهرة . . ليس هناك اي خلاف بين نجلاء ونصري . الخلاف هو بين نجلاء ووالدها

قالت : وما هي علاقة نصري في هذا الخلاف ؟

فاجاب : سبب الاختلاف بين نجلاء ووالدها هو نصري

قالت : أوضح أوضح يا ابا تامر . لقد أقلقت خاطري

فأوضح ابو تامر . . .

وأطلع زهرة على كل ما حدث وعلى كل ما جرى

قال : علم ابو نجلاء ان ابنته التقت نصري ابن ابي نصري في الحقل . وكانا وحدهما يتبادلان احاديث الهوى والحب والهيام فغضب وثار ، وانهال عليها بالصفع وبالضرب . ثم سجنها في المنزل ؛ ومنعها من الخروج . ان صديقتك نجلاء في حال مؤلمة مؤسفة . وحال حبيبها نصري لا تختلف عن حالها يا زهرة . انهما عاشقان ، يتألمان ويتعذبان ، وعلينا ان نعمل على انقاذهما

فصمتت زهرة ، وقد هالها ما ينقل اليها نصير العشاق من اخبار مؤلمة

وعاد ابو تامر الى الكلام ليقول : يجب ان نسرع الآن الى انقاذ نجلاء ، وعندما ننقذ نجلاء ، ننقذ نصري ايضاً

قالت زهرة : اجل يا ابا تامر يجب ان ننقذ نجلاء . ولكن كيف ؟ .

قال : يجب ان نسعى لاخراجها الآن من المنزل . وعندما نوفق في الابتعاد بها عن المنزل يصبح لكل حدث حديث

قالت : ولكن كيف ، كيف نستطيع اقناع والدها بالافراج عنها ؟

قال : اسمعي يا زهرة . . لقد رسمت خطة ، اذا استطعنا تنفيذها ننقذ نجلاء ، من عذابها ، وقد ننقذ نصري ايضاً

فتساءَلت : ما هي هذه الخطة ؟

قال : تشخصين الآن الى دار اسعد شهدان ، وتسألين ابا نجلاء : «اين هي نجلاء ؟ .» سيقول لك : «انها مريضة» أو انها مشغولة عليك ان تدخلي الى الدار ، وتشاهدي نجلاء وتصري على ان ترافقك الى عين الشير كعادتها كل صباح . اذا وفقت في اقناع ابي نجلاء باطلاق سراحها واذا خرجتِ بها من الدار يصبح انقاذها سهلاً ميسوراً

فحدقت زهرة بابي تامر بوجل ودهشة واستغراب

وتمتمت : انقاذها ؟ ماذا تعني يا ابا تامر ؟ وممن تريد ان تنقذها ؟

قال : من والدها . من هذا العذاب الاليم الذي انزله بها والدها

فهتفت زهرة : لم افهم . لم افهم يا ابا تامر. أوضح اوضح . .

وعاد ابو تامر الى الايضاح

قال : زهرة ! . . سأطلعك على الخطة التي رسمتها بكل تفاصيلها : تخرجين بصديقتك نجلاء من دار والدها واكون انا بانتظاركما عند المنعطف تحت السنديانة . ومن هناك اتجه مع نجلاء الى نصري وينتهي كل شيء . . . ينتهي عذاب نصري وعذاب نجلاء

فهتفت زهرة بدهشة واستغراب : ماذا تقول يا ابا تامر ؟ . اتريد ان تختطف نجلاء وتقودها الى نصري ؟ .

قال : لا . . انا لن اختطف نجلاء يا زهرة انت على خطأ عندما تقولين انني سأختطفها . . ولكنك على حق عندما تقولين انني سأقودها الى نصري . انا سأقودها الى نصري بملء رضاها ولن تكون مرغمة على مرافقتي يا زهرة

قالت زهرة بعد تفكير قصير : ان ما تعلنه يا ابا تامر خطر خطير . وخطتك المرسومة قد لا يكتب لها النجاح ،

قال : انها الخطة الوحيدة التي تكفل انقاذ هذين الحبيبين المعذبين . وليس ثمة من يستطيع تنفيذ هذه الخطة غير اثنين

ـ من هما ؟ . .

ـ أنا وانت

قالت زهرة : انني اوافق على القسم الاول من خطتك المرسومة يا ابا تامر ، اوافق على «فك الحصار» عن نجلاء واخراجها من الدار ولكنني لا اوافق على القسم الثاني ، على اختطاف نجلاء . ان اختطاف نجلاء سيوقع القرية في مأزق خطر ، والله وحده سبحانه وتعالى يعلم ماذا ستكون نتيجة هذا العمل الخطر الخطير

فابتسم ابو تامر ليقول : لا تخافي يا زهرة لا تخافي . النتيجة معروفة معلومة . انها نتيجة كل «خطيفة» تحدث في قرية . يغضب والد الفتاة ، واهلها ويثورون ، ويهددون ويتوعدون ويعلنون الحرب على «العريس» الخاطف وعلى اهله واقاربه واصدقائه ثم . . . ثم تهدأ الثورة ، وتخمد النار وتتم المصالحة ، ويصبح الصهر العزيز من اعز وأحب أفراد الاسرة . .

قالت ولكن ابا نجلاء شرس عنيد حقود ، قد يقدم على ما لا تحمد عقباه يا ابا تامر

قال : لا تخافي . . عليك الآن ان تخرجي نجلاء من الدار «واتركي الباقي عليَّ . . .»

فصمتت زهرة

وانصرفت الى التفكير العميق : ماذا عليها ان تفعل ؟

هل توافق على القرار الذي اتخذه ابو تامر ؟ . هل تشترك في تنفيذ خطة اختطاف نجلاء ، ام لا . . .

وادرك ابو تامر ان زهرة قلقة حيرى

وانها مترددة في مساعدته

فعاد الى الكلام محاولاً اقناعها بالموافقة

قال : اسمعي يا زهرة . نحن سنحصر اهتمامنا الآن في الابتعاد بنجلاء عن دار والدها ، وفك الطوق عنها ، وعندما تصبح نجلاء طلقة سنقف على رأيها في «مشروع الاختطاف» اذا وافقت على مرافقتي الى نصري سرت بها اليه ، واذا لم توافق ، اذا رفضت ، سرت انت بها واعدتها الى دار والدها

فأقنعها قالت : أراك على صواب الآن يا ابا تامر تعال . . . سأشخص الآن الى دار اسعد شهدان وأحاول جاهدة العودة بنجلاء اليك

فاطمأن ابو تامر كل الاطمئنان وقد أيقن ان خطته سائرة في طريق التنفيذ

ولمعت الابتسامة الهانئة على شفتيه

وسار قرب زهرة قائلاً : فليوفقنا الله يا زهرة لتنفيذ هذه الخطة . . اليوم دور نجلاء وغداً ان شاء الله سيأتي دورك . ابو تامر ، نصير العشاق لن يرتاح ، ولن يعرف السعادة الا وقد رأى جميع العشاق في هذه القرية سعداء آمنين مطمئنين .

فابتسمت زهرة على الرغم من قلقها واضطرابها ، من يدري قد تصبح يوماً بحاجة الى مساعدة أبي تامر

وحالها مع حبيبها منصور ابن ابي منصور لا تختلف عن حال صديقتها الوفية نجلاء مع نصري ابن ابي نصري . . .

وتمتمت زهرة ، وهي تسير مع فريد الظاهر في الطريق الى دار اسعد شهدان : فليبقك الله يا ابا تامر ، نصيراً للعشاق ومساعداً للمحبين المغرمين المعذبين

ووصلا الى المنعطف الى السنديانة الكبيرة الخضراء الوارفة الظلال

فتوقف ابو تامر عن السير .

قال سأنتظرك هنا يا زهرة ، وارجو ان تعودي ويدك بيد صديقتك نجلاء الحلوة

قالت زهرة : ان شاء الله يا ابا تامر ، ان شاء الله

وسارت زهرة مبتعدة عن ابي تامر في طريقها الى منزل اسعد شهدان

ووصلت قرب المنزل

فوقفت تنادي : نجلاء ! . يا نجلاء ! . . ولم تلق جواباً

فأعادت النداء : يا نجلاء ! . يا نجلاء ! . اين انت يا نجلاء ؟

ففتح الباب

وأطل منه ابو نجلاء

وشاهد اسعد شهدان زهرة ابنة ابي خليل تقف على بعد خطوات قليلة من داره

فقال متسائلاً : ما بك يا زهرة ؟ .

قالت زهرة : صباح الخير يا عمي ابا نجلاء
فرد ابو نجلاء التحية : صباح الخير يا زهرة
فسألته : اين نجلاء ؟
قال انها مريضة يا زهرة ،
ـ مريضة ؟.

وتظاهرت زهرة بالقلق الشديد ، وقفزت نحو الباب ، وهي تتمتم : مريضة ؟ ما بها يا عمي ابا نجلاء ؟ لقد اقلقت خاطري عليها أريد ان أراها

قال ابو نجلاء ، وهو يحاول منعها من الدخول : وعكة صحية بسيطة يا زهرة لا تقلقي يا ابنتي لا تقلقي

واقتحمت زهرة الباب ، والجرة لا تزال في يدها وهي تهتف بهلع مزيف : نجلاء !. نجلاء !. . نجلاء !. . ما بك يا اختي ما بك يا حبيبتي ؟. .

وفي لحظات قليلة اصبحت زهرة داخل الدار ، وهي تهتف : نجلاء !. . نجلاء !. . اين انت ؟

واطلت نجلاء : زهرة ؟. . اهلاً . . اهلاً يا اختي

وفتحت زهرة ذراعيها لنجلاء فارتمت نجلاء بين الذراعين المفتوحتين .

وتعانقتا . . . وهمست زهرة في اذن نجلاء وهي تعانقها : يجب ان تخرجي معي الآن . ابو تامر بانتظارك . . .

وراحت زهرة قبل نجلاء متمتمة على مسمع من والدها : لقد اقلقت خاطري يا نجلاء . ما بك يا حبيبتي ؟

قالت نجلاء وعكة صحية بسيطة يا زهرة

قالت زهرة : الرفيقات كلهن بانتظارك . الا تريدين ان تذهبي معنا اليوم الى عين الشير ؟..

فرمقت نجلاء والدها الواقف على مقربة منهما يسترق حديثهما ، بنظرة حيرى

وكأنها تسأله : هل توافق يا والدي على ان أرافق الصبايا اليوم الى العين ؟.

ولم تنتظر زهرة اجابة اسعد شهدان على نظرة ابنته بل هي خاطبت نجلاء بقولها : تعالي . تعالي .. اسرعي احملي الجرة ، وتعالي معي . الرفيقات كلهن بانتظارك

ولم تنبس نجلاء بحرف

فهي لا تستطيع ان توافق على طلب صديقتها زهرة ، ولا تستطيع ان ترفض . الآمر والنهي ، والرفض والموافقة تعود الى والدها .

وساد الصمت برهة ارجاء القاعة

فعادت زهرة الى الألحاح بالدعوة

قالت : ما بالك صامتة يا نجلاء ؟.. اسرعي يا اختي اسرعي اين الجرة .. اسرعي .. اسرعي

فتدخل ابو نجلاء قائلاً : لا يا زهرة ، لا يا ابنتي . ان نجلاء متعبة . فهي لا تستطيع مرافقتكن اليوم الى العين

قالت زهرة : ولكنني اراها متعافية . وهي ، كما يلوح

لي تستطيع مرافقتنا . ارجوك يا عمي ابا نجلاء ان تسمح لها بمرافقتنا . الصبايا كلهن ينتظرنها ، ارجوك ارجوك ارجوك

وحاول اسعد شهدان المضي في الرفض والممانعة

حاول ان يمنع ابنته من مرافقة زهرة

إلا ان زهرة ارغمته على الموافقة ، وقد أسرعت الى احضار الجرة ودفعت بها الى نجلاء هامسة : تعالي . . . تعالي يا نجلاء .

ثم التفتت الى ابي نجلاء قائلة : لن يطول غيابها يا عمي ابي نجلاء . ستعود نجلاء بالماء العذب من عين الشير بعد قليل وقد أعود انا معها ايضاً

وهمس ابو نجلاء مرغماً : «طيب يا ابنتي يا زهرة مثلما تريدين . .»

ثم التفت الى ابنته هامساً : لا تتأخري في العودة يا نجلاء

وحملت الفتاتان جرتيهما

وخرجتا من الدار مسرعتين

وما ان ابتعدتا قليلاً عن المنزل حتى انفرجت اساريرهما وغمر الفرح قلبيهما

وهمست زهرة : الحمد لله كنت اخشى الاَّ اوفق يا نجلاء في اقناع والدك بالموافقة على مرافقتي . ولكن الله سبحانه وتعالى أخذ بيدي ، وهو سيأخذ ايضاً بيدك لتتخلص من هذا العذاب الأليم

قالت نجلاء : شكراً لك يا اختي على كل ما قمت به . . لن انسى جميلك يا زهرة ما حييت . .

ووصلا الى السنديانة الخضراء .

وكان ابو تامر في انتظارهما على قلق واضطراب

كان نصير العشاق يخشى ان تعود زهرة وحدها إلاّ انه ، وقد شاهدها مقبلة مع نجلاء اسرع اليهما هاتفاً : اهلاً بالحلوة ، اهلاً بنجلاء الحلوة بحلوة الحلوات اهلا . . .

وتقدمت نجلاء من ابي تامر والدمعة في عينها والبسمة الزاهية على شفتيها هامسة : شكراً لك يا ابا تامر . فقد بذلت الكثير من اجلي . .

قال ابو تامر مقاطعاً : من اجلك ومن اجل نصري ايضاً يا نجلاء . فانا نصير العشاق وسأنصركما ان شاء الله وأبعد عنكما غياهب الحزن ولهيب العذاب وغزير الدموع

قالت نجلاء : ارجو ان أرد لك الجميل يوماً يا ابا تامر

وتدخلت زهرة قائلة : سنرد لأبي تامر الجميل يوم عرسه فنرقص ونغني له وللعروس

فضحك ابو تامر

وقال : ان شاء الله . . ان شاء الله

والتفت ابو تامر الى نجلاء قائلاً لها : تعالي يا نجلاء ، تعالي معي

فسألته الى اين ؟ . .

قال : الا تعلمين الى اين ؟ ان نصري في انتظارنا يا نجلاء . . تعالى

ـ نصري ؟ . . واين هو الآن ؟

ـ انه في الحقل ينتظرك

ـ ولكن . . .

فقطع ابو تامر عليها الكلام قائلاً: ولكن ماذا ؟ . . أتريدين ان تعودي الى والدك ، الى الضرب والصفع والعذاب والآلام والدموع ؟ أتريدين ان تمضي في تعذيب قلبك وتعذيب قلب نصري . . تعالي معي سأرافقك الى نصري واسلمه حبيبته نجلاء يداً بيد والله يأخذ بأيديكما ويوفقكما ويحرسكما ويهنئكما يا نجلاء . .

وأمسك بيدها هامساً تعالي . . .

والتفتت نجلاء الى صديقتها زهرة هامسة : زهرة ! . . شكراً لك يا اختي شكراً لك . . . إنني أتضرع الى الله ليسعد قلبك . ويسعدك مع منصور كما اسعدتني مع نصري . الى اللقاء يا زهرة

قالت نجلاء هذا ودفعت بالجرة الى زهرة هامسة : خذي هذه الجرة . . . انا لست بحاجة اليها يا زهرة . . . خذيها يا اختي

وتعانقتا وسارت نجلاء مع ابي تامر

ووقفت زهرة تشيعها بنظرة حالمة فيها كل معاني الأخوة الصادقة والآمال والعذاب

***

توقفت ام عساف من سرد القصة ، قصة الدموع التي لا تجف ، عند هذا الحد

والتفتت الى الصبايا الجالسات حولها يستمعن الى تفاصيل القصة الممتعة المثيرة قائلة : الآن ، وقد تجاوز الليل الانتصاف سأتوقف عن الكلام . وسأكون في انتظاركن مساء غد هنا ان شاء الله

فهتفن .. لا . لا يا أم عساف اكملي لنا السرد الآن

قالت : من الأفضل ان نؤجل ذلك الى الغد

فانبرت احدى الصبايا قائلة : كل مرة تتوقفين عن سرد القصة عند مرحلة حرجة تثير فينا الشوق والفضول يا ام عساف .. الآن وقد وصلت بنا الى هرب نجلاء الحلوة من دار والدها بمساعدة صديقتها زهرة وبتدبير نصير العشاق ابي تامر تريدين ان تتوقفي وان تجعلينا عرضة للفضول والاشتياق .. اخبرينا ماذا حل بنجلاء ؟ وهل وصلت «بالسلامة» الى حبيبها نصري ؟..

فتثاءبت أم عساف ، وأطل النعاس الشديد من عينيها وهمست : لا بأس يا حبيباتي . غداً ستعلمن كل شيء .. غداً مساءً سأكون هنا في انتظاركن

قالت احدى الصبايا : اذا كان لا بد من التأجيل يا ام عساف ، فليكن موعدنا معك في الصباح ، لا في المساء من الغد في ساحة العين ، عين الحلوة كالعادة

قالت أم عساف : لا . . من الافضل لي ولكن ان يكون موعدنا هنا على هذه السطيحة مساء غد

فتبادلت الصبايا النظرات ، وهي نظرات تحمل في طياتها معاني المكر والخبث والدهاء

وهتفن : لا بأس يا ام عساف . لا بأس ، سنكون عندك هنا في الموعد المضروب . مساء غد إن شاء الله

ونهضن يودعن «ستهن» ام عساف متمنيات لها نوماً هانئاً واحلاماً سعيدة

وخرجن من المنزل مبتسمات ، وقد عزمن على ان ينتظرن أم عساف مع مطلع الصباح ، في ساحة عين الحلوة ويرغمنها على إكمال سرد قصة الدموع التي لا تجف

فهن لن ينتظرن الى المساء

وليس لديهن القدرة على الصبر حتى مساء غد ليقفن على نهاية قصة عين الحلوة ويعرفن مصير حب نجلاء الحلوة ونصري ابن ابي نصري

الفَصل السّابع

أبكرت صبايا القرية الخضراء في الحضور الى ساحة عين الحلوة ،

وهن يمنين النفس بالاستماع الى ما تبقى من قصة الدموع التي لا تجف

وجلسن ، وجرارهن قربهن ينتظرن حضور «ستهن» أم عساف

وطال انتظارهن ، وأم عساف لا تطل ولا يبين لها اثر

فتساءلن : ماذا ؟ . . ألا تحضر اليوم «ستنا» أم عساف ؟

واجابت احداهن على السؤال : بل هي ستحضر . . من المؤكد انها ستحضر . قد تتأخر كما تأخرت امس إلاّ انها لن تتخلف عن الحضور الى العين لملء ابريقها . فهي لم تتخلف يوماً عن الحضور ، ومن المؤكد انها الآن في طريقها إلينا . فلننتظر

وانتظرن . . .

وطال انتظارهن من دون جدوى .

فأم عساف لم تحضر ، ولا هي أطلت عليهن

فعدن الى التساؤل : ما بالها ؟ . .

ولم يلقين جواباً .

إلا انهن لم يقطعن الأمل من مجيئها

قالت احداهن : لقد ارهقناها ليل امس وارغمناها على السهر حتى ما بعد منتصف الليل . فعجزت عن الافاقة من النوم والنهوض من السرير كما جرى لها امس

- ولكنها وصلت إلينا امس في مثل هذه الساعة

- فلننتظر . . انها قادمة لا محالة

- يبدو انها لن تحضر . .

- قد تكون أصيبت بمكروه . .

- فلنشخص اليها ونقف على ما جرى لها . . .

وبزغت الشمس ، وخلعت وشاحها الذهبي على القرية الآمنة فتأكدن من ان أم عساف لن تحضر

في مثل هذه الساعة تكون أم عساف قد حضرت وملأت ابريقها ماء عذباً من عين الحلوة وعادت الى منزلها .

وتداولن في ما يجب عليهن الاقدام عليه . .

وتم الاتفاق على ان يشخصن اليها ،

فيذهبن الى منزلها يستطلعن أمرها ويقفن على سبب تخلفها عن الحضور الى عين الحلوة وملء ابريقها .

واتفقن على ان يعدن بجرارهن الى منازلهن

فتضع كل منهن جرتها في المنزل ثم تشخص الى ساحة القرية حيث يجتمعن

ومن هناك ، من الساحة ، يتجهن كلهـن الى منـزل أم عساف . . .

ورأين ان يحملن الى «ستهن» بعض الاثمار والحلوى
فلن يذهبن الى أم عساف فارغات الأيدي هذه المرة . . .
ونهضن . . .
وعدن بجرارهن الى المنازل
ومن المنازل الى ساحة القرية ،
ومن ساحة القرية الى منزل أم عساف

ووصلن الى المنزل القروي الصغـير ، وهـن يخشـين ان تكون أم عساف طريحة الفراش ،

إلا انهن ارتحن كل الارتياح وقد فتحت أم عسـاف لهـن الباب ، والابتسامة تطفو على شفتيها

وتمتمت العجوز الشمطاء وهي ترى «كنّاتها» امامها : يا لها من مفاجأة سارة يا حبيباتـي . ما أتـى بكن إليَّ في هذا الصباح ؟ .

قلن ، وهن يقدمن لها ما حملن من الحلوى والاثمار : لقد أقلقت خاطرنا يا أم عساف : فليس من عادتك ان تتخلفي عن الحضور الى عين الحلوة صباح كل يوم

فابتسمت أم عساف

وتمتمت : لم أقصد اليوم عين الحلوة لسببين : الأول لأن لدي الكثير من الأعمال في المنزل وعليَّ القيام بهـا وانجازهـا ،

والثاني : لان لدي ما يكفيني من المياه اليوم ولست بحاجة لملء الابريق

قالت أم عساف هذا ورمقت الهدايا التي حملنها اليها قائلة : لم يكن لكن ان تزعجن انفسكن بحمل الهدايا اليَّ يا حبيباتي . . . شكراً لكن . . شكراً

ودعتهن الى الجلوس

فجلسن . . .

واسرعت الى تهيئة القهوة ،

فهي تعرف ان «حبيباتها» من شاربات القهوة المدمنات

وجاءَتهن بالقهوة ، فقدمتها لهن وجلست قربهن . .

والتفتت احدى «الكنات» اليها قائلة : والآن . . اخبرينا ماذا جرى لنجلاء الحلوة بعد ان هربت من دار والدها ؟ . . وماذا جرى لنصري ابن ابي نصري

فابتسمت أم عساف وهمست : يا «عفريتات» أنتن لم تحضرن إليَّ إلا للاستماع الى ما تبقى من قصة عين الحلوة ، وقد خيل اليَّ ان القلق علي هو الذي دفعكن الى زيارتي . . لا بأس . سأنزل عند طلبكن يا حبيباتي وسأكمل لكن القصة

واستوت أم عساف في جلستها بين «حبيباتها»

وبدأت بالسرد

قالت: «سار ابو تامر ونجلاء الحلوة في الطريق الى الحقل حيث يعمل نصري في تقليم الاشجار وحراثة الارض

ووصلا الى مقربة من الحقل ، فاذا بجبور ابن ام جبور

يلوح لهما من بعيد واقفاً يتحدث الى نصري .

وهمس ابو تامر : لعنة الله عليك يا جبور ، اينما اتجهت أجدك امامي

والتفت نصير العشاق الى نجلاء قائلاً : قفي هنا يا نجلاء وراء هذا الصخر ريثما اعمل على ابعاد جبور لئلا يراك فيحمل الخبر الى والدك كما فعل امس

ونزلت نجلاء الحلوة عند طلب ابي تامر ،

ووقفت وراء الصخر

فتمتم ابو تامر قبل ان يبتعد عنها : لا تغادري هذا المكان حتى اناديك يا نجلاء

وأشارت نجلاء برأسها موافقة على ما ابدى فريد الظاهر

وسار ابو تامر مقترباً من نصري وجبور .

وكان جبور يتحدث الى نصري قائلاً : انني لأراك حزيناً يا نصري ابن ابي نصري. . ما بالك كسير الخاطر ، حزين القلب مكفهر الجبين ؟ . .

وسمع ابو تامر نصري يرد على جبور قائلاً : انك لعلى خطأ يا جبور فأنا لست حزيناً

فتمتم جبور : بل انت حزين يا نصري ، والحزن العميق يطل من عينيك . هل استطيع ان اخفف عنك وطأة الحزن يا نصري ؟

فابتسم نصري

واجابه : اطمئـن يا جبـور فصديقـك نصري بعيد عن الحزن بعد الارض عن السماء

قال جبور : الحمد لله . . لقد خيل الي انك حزين وانني انا سبب حزنك . .

قال نصري : لا . . لا إطمئن يا جبور إطمئن

وأطل ابو تامر عليهن قائلاً : صباح الخير يا نصري . .

فدهش نصري وهو يشاهد ابو تامر . .

فقد عاد ابو تامر قبل انتصاف النهار

وتمتم : اسعد الله صباحك يا ابا تامر ،

والتفت ابو تامر الى جبور متسائلاً : انت هنا ؟ . . ماذا تفعل هنا يا جبور ؟ .

فأجاب جبور : جئت لاساعد نصري

قال ابو تـامر بحزم : أذهب . . اذهـب من هنـا . . أسرع بالذهاب

فغضب جبور

وهتف ماذا تريد مني ؟ ولماذا تطاردني ؟ . . تلحق بي من مكان الى آخر لتشتمني وتأمرني بالذهاب ؟ اتراني «آكل من امامك شيئاً» ؟

فهدر ابو تامر في وجه جبور : اذهب من هنا . قلت لك اذهب

فاشتد الغضب بجبور

وهتف : لن اذهب . انت اذهب من هنا .

فوثب ابو تامر الى جبور رافعاً يده ، محاولاً صفعه ،
إلا ان نصري وقف بينهما ،
وحال دون صفع جبور ، فأبعد ابا تامر عنه وقال له :
اذهب يا جبور الآن . . . اذهب ، اكراماً لي
فتمتم جبور : سأذهب اكراماً لك يا نصري من جهة ،
ولأتخلص من رؤية وجه هذا «الشايب النحس»
وغضب ابو تامر وكلام جبور يقع منه في الأذنين
وهتف به : سأقصف عمرك ايها الابله المجنون . اغرب
من وجهي . . اذهب قبل ان اخمد انفاسك
فتمتم جبور ، وهو يبتعد : انا ذاهب . . ولن اعود هذه
المرة
وأقترب نصري من ابي تامر ، وقد توارى جبور عنهما
وتمتم : ماذا جرى يا ابا تامر ؟ . . وهل وفقت في مسعاك
الحميد ؟
فابتسم ابو تامر
واجاب : اطمئن يا نصري . اطمئن ما دام اخوك ابو
تامر الى جانبك فسيكون نصيبك دائماً النجاح ، والفوز بما تريد
من الاماني العذاب والآمال المخضلة الجناح
ـ هل شاهدت نجلاء ؟ .
ـ شاهدتها . . وكلمتها و . . .
ـ وماذا يا ابا تامر ؟
فاتسعت الابتسامة على شفتي ابي تامر

وهمس : و . . . واحضرتها معي

ـ احضرتها معك ؟ . . أتـكون جاداً في ما تقـول يا ابـا تامر ؟ .

ـ وهل ثمة مجال للهـزل والمزاح في مثـل هذه المواقـف يا نصري ؟

ـ واين هي ؟ . .

ـ أتريد ان تراها ؟ . .

ـ ابا تامر ! . . ارجوك لا تهزأ بي ولا تتلاعب بعاطفتي . قل لي اين هي نجلاء ؟ . .

ـ قلت لك انها هنا . أتريد ان تراها ؟ . .

ـ اتسألني مثل هذا السؤال ، وانت تعلم اي شوق اليها يعصف بي ، وأي حنين عميق سحيق بعيد يشدني اليها يا ابا تامر

فالتفت ابو تامر ، الى الصخرة ، الى حيث تقف نجلاء الحلوة منادياً : نجلاء ! . . تعالي يا نجلاء

واطلت نجلاء . . .

ووجم نصري ، وهو يشاهد نجلاء تقترب منه

وهمس : أتكون في حلم رائع جميل يا نصري ابن ابـي نصري ؟ . .

وربت ابو تامر على كتف نصري ، وهو يشاهده في وجومه وذهوله

وهمس : ان ابا تامر يفي اذا وعد يا نصري . وعدتك

بان أحمل اليك نبأ حدث سعيد اليوم وبررت بوعـدي . . ماذا تنتظر ؟ . . اسرع تقدم منها ايها الابله . .

وأفاق نصري من ذهوله ودهشته

ووثب الى نجلاء هاتفاً : نجلاء ! . . يا حبيبتي ،

وهمست نجلاء : يا حبيبي يا نصري

وترقرقت في العيون الاربع الدموع .

انها دموع الفـرح باللقـاء السـعيد بعـد طويل العـذاب وسحيق الآلام ، وعميق الشجون

وتقدم ابو تامر منهما هامسـاً : اذهـبا الآن . لا تطيلا وقفتكما هنا . وليوفقكما الله ويحرسـكما ، ويبعـد عن قلبـكما العذاب وعن عيونكما الدموع

وسار ابو تامر مبتعداً عنهما هامساً : لقد انتهت مهمتـي الآن . . . فلأبحث عن عمل جديد . . . فهناك كثـيرون من العشـاق المعذبين في هذه القـرية ، وعلى نصـير العشـاق ان يساعدهم ويبعد عنهم الآلام والاحزان والهموم

والتفت الى الوراء ليشاهد نجلاء ونصري ، وهما ما زالا في وقفتهما الحائرة

فهتفق بهما : ماذا تنتظران ؟ . . اذهبـا . . امسـك بيد عروسك يا نصري واذهب بها الى دارك . . .

وتمتمت نجلاء : انا خائفة يا ابا تامر

فهدر ابو تامر : وممن ؟ ومم تخافين يا نجلاء ؟

قالت اخشى ان يكون والذي في اثري . أخاف ان يلحق بي

فابتسم ابو تامر قائلاً : «ولا يهمك . . .»

قالت : يخيل الي انه رآني وانا أسير معك قادمة الى هنا

فهدر ابو تامر : قلت لك «ولا يهمك . . .» اذهبي انت مع عريسك نصري ، واتركي أمر والدك إليَّ

وسار ابو تامر مبتعداً عنهما وهو يتمتم : يا لقلوب المحبين العاشقين . انها كالورود والزهور والرياحين تعطر الاجواء بعبيرها الفواح وتبهج العيون بجمالها ثم . . ثم تذبل ليظل عطرها عابقاً في النفوس والارواح . . قلوب المحبين كالشموع تذوب لتضيء الارجاء ، وتعطي كل شيء بدون ان تأخذ شيئاً . . . «مش حرام يتعذبوا العشاق ، وابو تامر موجود ؟ . . .»

في هذه الاثناء . .

وفيما ابو تامر يصف قلوب العشاق المحبين المفرحين ويرثي لحالهم كان نصري يمسك بيد حبيبته نجلاء هامساً : تعالي . . تعالي معي يا نجلاء

قالت : انا خائفة يا نصري . .

قال : لا تخافي يا حبيبتي . ليس للخوف ان يعرف طريقه الى قلبك الطاهر الحنون النبيل ، ما دام حبيبك نصري قربك

قالت : أخشى ان يلحق والدي بي ويعيدني الى المنزل . .

فشدت يد نصري يد نجلاء بشوق وحنين
وهمس : لا تخافي يا نجلاء . . لن يستطيع احد ان «يأخذك» مني بعد الآن . . اطمئني . . اطمئني يا حبيبتي
وسار الحبيبان في الطريق الى بيت ابي نصري وقد عزم نصري على ان يفاجيء والده باختطاف نجلاء ،
وهو يعلم يقيناً ان والده لن يغضب
ولن يقف دون تحقيق آماله وآمال نجلاء الحلوة
وانه سيبارك حبهما
ويرحب بنجلاء شديد الترحيب
ويسعى لعقد زفافهما في العاجل الوشيك
وكان نصري شديد الارتياح ، وقد أصبحت نجلاء قربه
الا ان نجلاء لم تكن مرتاحة البال
كانت نجلاء الحلوة قلقة الخاطر ، مضطربة النفس تعصف بها الهواجس وتقلقها الأفكار السوداء
فهي تخشى ان تتبعثر آمالها ، وتتوارى احلامها ، وتفقد تلك السعادة الوارفة الظلال التي وهبها اياها الله وقد جمعها بحبيبها نصري .
ولمس نصري القلق والاضطراب في حبيبته ، وهو يمسك بيدها ويسير واياها الى منزله
وشعر بيدها الدافئة ترتجف في يده فدهش
وسألها : ما بك يا نجلاء ؟ ما بك يا حبيبتي ؟ . .
قالت : لا أعلم ما بي يا نصري . انني لاشعر بالخوف

والقلق ، ويخيل الي ان والدي سيلحق بي وينتزعني منك . انا خائفة يا نصري

فشدت يد نصري يد حبيبته نجلاء

وهمس : اطمئني لا تخافي . هناك والدي ، وهناك ابو تامر ، وهناك المختار ورئيس البلدية والأهل والاصدقاء كلهم سيقفون بجانبنا وسيعمدون الى تهدئة خاطر والدك ، وسيرضى عنا ، ويتم زفافنا وتغمرنا السعادة باجنحتها الوارفة البيضاء

فارتاحت نجلاء بعض الارتياح ، وكلمات نصري المشجعة تقع منها في الاذنين

وشدت أصابعها اصابع نصري

وهمست : انت حياتي وأملي وسعادتي يا حبيبي يا نصري

فتمتم نصري : حياة نصري انت يا نجلاء

وسارا في الطريق الى دار ابي نصري ، والآمال العذاب تغمر قلبيهما الطاهرين والسعادة تبسط عليهما وارف الظلال»

- ٢ -

ارتاحت صبايا القرية الجالسات قرب أم عساف ، وقد وصلت «ستهن» العجوز الى هذا الحد من قصة عين الحلوة

فاللقاء قد تم بين نصري ونجلاء

وتوفرت السعادة الهانئة للحبيبن المتيمين

الحمد لله ثم الحمد لله . . .

قالت احدى الصبايا : وبعدئذ يا أم عساف ، ماذا جرى ؟ . . هل تم زفاف نجلاء ونصري ؟

فتنفست أم عساف الصعداء لتقول : مهلاً يا حبيباتي ستعرفن كل شيء وستقفن على كل ما جرى لنصري ولنجلاء

- وماذا جرى ؟ . .

فاستوت أم عساف في جلستها لتقول : «فيما كان نصري ونجلاء يسيران الى منزل ابي نصري ، والسعادة الوارفة تغمر قلبيهما كان ابو تامر يسير الى منزل ابي نجلاء بعد ان انهى مهمته النبيلة وجمع بين نصري ونجلاء

كان فريد الظاهر يريد ان يكمل معروفه وان يمهد لمصالحة اسعد شهدان مع ابنته نجلاء وصهره نصري . .

وكان ابو تامر قد طمأن نجلاء عندما قالت له ، وهي تقف قرب نصري : «. . . أخاف ان يلحق بي والدي . .» فقال

لها : «لا تخافي يا نجلاء . . . اذهبي انت مع عريسك نصري واتركي أمر والدك إليَّ»

وعندما قال ابو تامر هذا الكلام لنجلاء كان يعي ما يقول .

وكان قد اتخذ قراراً بان يعمل على تهدئة خاطر اسعد شهدان واخماد ثورة غضبه . .

وابو تامر يعرف جيداً من هو ابو نجلاء

واي رجل شرس ثائر حاقد غاضب هو اسعد شهدان

لذلك رأى ان يشخص تواً الى منزل ابي نجلاء ، وقد خيل اليه انه سيجد ابا نجلاء غاضباً ثائراً يلعن ويشتم ويهدد ويتوعد

وكان ابو تامر يتوقع ان يكون له النصيب الأوفر من ثورة ابي نجلاء

وان يسمع لاذع الكلام ولاسع الشتائم والمسبات . .

وهمس ابو تامر في سره ، وهو يسير الى منزل اسعد شهدان : لا بأس ، سأحتمل الشتائم ، وأجابه شتائم ابي نجلاء بصدر رحب وسيع . .

في سبيل إسعاد العاشقين تهون لديك يا ابا تامر جميع المصائب والكوارث والويلات

ووصل ابو تامر الى منزل اسعد شهدان

وطرق الباب .

وسمع صوت ابي نجلاء يتصاعد من الداخل : من ؟..

فأجاب : انا ابو تامر يا ابا نجلاء

وفتح ابو نجلاء الباب مرحباً بأبي تامر : اهلاً .. اهلاً بأخي ابي تامر . الله ارسلك اليّ الآن «لنلعب دق ورق ..»

فأدرك ابو تامر فوراً ان نبأ اختطاف ابنته نجلاء لم يبلغ الى مسامعه بعد

قال : من اجل هذا جئت اليك يا اخي اسعد . فانا مثلك بحاجة الى الراحة والى التسلية . «سنلعب دق ورق»

قال ابو تامر هذا ودخل ...

وأردف وهو يجلس على المقعد الوثير : ... وسأغلبك ...

فضحك ابو نجلاء

وهتف : انت ستغلبني ؟. انت ؟ يا مسكين يا ابا تامر ، وقعتك معي اليوم ستكون وقعة سوداء لن تقوم لك قيامة مع ابي نجلاء يا ابا تامر

وجاء اسعد شهدان بالورق ودفع به الى ابي تامر قائلاً : تفضل .. «اخلط» الورق

وفيما ابو تامر «يخلط» الورق سأله اسعد شهدان : هل شاهدت نجلاء يا ابا تامر ، وأنت في طريقك الي ؟..

فأجاب ابو تامر : اجل شاهدتها منذ ساعة وكانت في طريقها الى عين الشير مع الصبايا

فتمتم اسعد شهدان : لقد تأخرت في العودة واخشى ان تكون قد اصيبت بمكروه

قال ابو تامر : لا سمح الله . ستعود . . قد تكون الآن في طريق العودة

فهمس ابو نجلاء بتأفف وتذمر واضطراب : لم يكن لها ان تخرج من البيت اليوم . .

قال ابو تامر : لقد ذهبت لتملأ الجرة . اتريد ان تمنعها من الذهاب الى العين ايضاً ؟ . .

قال ابو نجلاء : انني قلق عليها يا ابا تامر . قلبي يحدثني بان ثمة حدثاً سيئاً سينزل بي . . . نجلاء تثير قلقي وتبعث المخاوف الى نفسي

فهمس ابو تامر : ليست نجلاء هي التي تثير قلقك يا اخي اسعد ، ولا هي التي تبعث المخاوف الى نفسك . انت نفسك تشغل نفسك ، وتقلق خاطرك . هواجسك تقلقك . وأفكارك السيئة تعذبك . دع هذه الفتاة المسكينة تعيش حياتها هانئة مطمئنة وتتمتع بشبابها العاطر الريان . ان القيود التي تكبل بها نجلاء لا تكبل نجلاء وحدها . بل تكبلك انت ايضاً . . انت عندما تقيد ابنتك بالسلاسل ، تقيد نفسك معها . انك بتصرفاتك تتعب ابنتك وتتعب نفسك . . . اسمع من اخيك فريد يا اسعد ، واطلق سراح هذه الفتاة البائسة المسكينة المعذبة ، وحطم هذه القيود الثقيلة التي تكبلها بها . .

فهز ابو نجلاء ، رأسه باسف وأسى

وهمس : اولادنا هم همومنا ، وآلامنا وعذابنا . ويلنا إن أهملنا أمرهم . وألف ويل لنا اذا لم نهمل ذلك الأمر . . . هل تعلم يا ابا تامر انك بابتعادك عن الزواج وبأختيارك حياة العزوبية وفرت على نفسك حمل اعباء ثقيلة جداً من المصائب والكوارث والويلات والهموم والاحزان والدمع والشجون

قال ابو تامر : دعك من هذه الفلسفة المخطئة يا ابا نجلاء . فالزواج نعمة ، والاولاد نعم كثيرة لا نعمة واحدة . لقد رزقك الله ابنة جميلة ، مهذبة تقية ورعة ، ذات سمعة عطرة واسم ناصع البياض ، وهي «عكازتك» في كهولتك. وغداً يوم تتزوج نجلاء ستجد اولادها حولك فتسعد باحفادك وتقر عيناك بهم . اما انا فماذا سيكون مصيري يوم ابلغ مرحلة الشيخوخة الباردة الشديدة الصقيع ؟ . سأجد نفسي وحدي في منزل مهجور لا يزوره احد ، ولا يمرح فيه ولد ، ولا يشرّع فيه باب ولا تفتح منه نافذة ، ولا يضيء ارجاءه نور

قال اسعد شهدان : ولكنك بالرغم من كل هذه المتاعب تظل بعيداً عن هموم الاولاد ومتاعبهم

فدفع ابو تامر بالورق الى ابي نجلاء متمتماً : إلعب . . إلعب لنرى ماذا سيحل بك الآن يا مسكين يا ابا نجلاء . .

وبدأ اللعب بينهما وهما يتحدثان ويتحديان . ..

وبلغ الحماس بينهما مدى بعيداً

فهتف ابو تامر : استعد للغلب يا ابا نجلاء . امامك لاعب قوي قدير لا يقهر

فضحك ابو نجلاء ليقول : هذا اللاعب القوي القدير سيغدو ضعيفاً هزيلاً مغلوباً امام ابي نجلاء

فتمتم ابو تامر: اذا كنت تجهل أي لاعب قوي قدير هو ابو تامر ، فسل جميع اللاعبين في هذه القرية الذي غلبتهم يقولوا لك أي لاعب بطاش قدير هو ابو تامر . .

فاسترسل اسعد شهدان في الضحك

وقال : لست بحاجة الى طرح الاسئلة على اللاعبين في القرية . فانا اعرفك حق المعرفة ، ولا اخالك نسيت المعارك العديدة التي سجل فيها ابو نجلاء النصر المبين عليك ، في لعب الورق يا ابا تامر . .

واذا بأبي تامر يسجل «باصرة»

ويهتف : «هه . . هذه باصرة»

فوجم ابو نجلاء

وصمت :

ومضى في اللعب بدون ان ينبس بحرف . .

وبعد قليل سجل ابو تامر انتصاراً جديداً هاتفاً : «وهيدي باصرة تانية . .»

فهتف ابو نجلاء بغضب : «ما بيصير . . انت تغش و . . «تزعبر . .» مش معقول تاخد باصرتين من يد ابي نجلاء خلال دقيقتين

فاستغرق ابو تامر في الضحك

وقال: إلعب. . إلعب. أمامك خصم عنيد. . إلعب

ولعب ابو نجلاء

فاذا بأبي تامر يسجل انتصاراً ثالثاً ويهدر : «هذه باصرة ثالثة . . راحت عليك يا ابا نجلاء . .»

فالقى اسعد شهدان بالورق من يده غاضباً

وهدر بلغته القروية القحة : «مش معقول . . هيدا ما بيصير . . انا ما حدا بياخد من ايدي باصرة . .»

فمضى ابو تامر في الضحك وهو يرى ابا نجلاء في ثورته الجامحة الحمراء

وتمتم : ليس هناك لاعب يستطيع ان «يأخذ من يدك باصرة» ؟ . . هذا صحيح يا ابا نجلاء فانت «غلبت» جميع اللاعبين في القرية . وانا غلبتك . . فماذا يعني هذا ؟ . . الا يعني انني سيد اللعب وانني غلبت جميع اللاعبين وتفوقت عليهم عندما غلبتك انت ؟ . . هل صدقت الآن وايقنت يا ابا نجلاء ان صديقك ابا تامر لاعب لا يقهر ؟

فاستوى ابو نجلاء في مقعده آسفا

وتمتم : حظ . . حظك اليوم أفضل من حظي . قال ابو تامر : أي حظ وأي سعد ؟ . . الأمر يعود الى القدرة . . العب . . العب يا ابا نجلاء

قال اسعد شهدان : غياب نجلاء يشغل بالي ويثير قلقي . . فانا لا استطيع مواصلة اللعب

إلا أن ابا تامر ألح عليه بضرورة اكمال اللعب . .

كان ابو تامر يأمل ان يحضر احد ابناء القرية الى منزل

اسعد شهدان ويطلعه على اختطاف نجلاء ،

وابو تامر يريد ان يكون قرب ابي نجلاء عند انقضاض الخبر المؤلم على رأسه انقضاض الصاعقة . ليهّون الامر عليه ويحول بينه وبين اقدامه على ما يسيء الى نفسه او الى ابنته أو الى ابناء القرية . .

وكان ابو تامر يعرف ان اسعد شهدان سريع الغضب ، وعندما يغضب اسعد شهدان لا يتورع عن الاقدام على أي عمل رهيب مخيف . .

وابى اسعد شهدان ان يستأنف اللعب

وتمتم : لن استطيع ان العب يا ابا تامر ما دامت نجلاء بعيدة عن الدار

فابتسم ابو تامر مطمئناً

وقال: اطمئن يا اخي اسعد . نجلاء بألف خير . وستعود . . أيتحتم عليك ان تحزن وتقلق و . . . تتوقف عن لعب الورق لأن ابنتك تأخرت في العودة الى الدار ؟ . .

قال ابو نجلاء : ليس من عادة نجلاء ان تتأخر في العودة الى المنزل ، فما بالها اليوم تمعن في التأخير ؟ . .

ونهض ابو نجلاء

وخرج الى «السطيحة» يستطلع الطريق البعيد اطلالة ابنته .

ولحق به ابو تامر هامساً : لماذا هذا القلق يا ابا نجلاء ؟ اتكون نجلاء طفلة تخاف عليها من عثرة أو من كبوة وهي في

طريقها الى المنزل

فتأفف اسعد شهدان

قال: ليتها ظلت طفلة يا ابا تامر . اذن لكان همها في صدري اخف وأقل وأهون . كلما كبر اولادنا كبرت معهم همومنا وكثرت متاعبنا

ورأى ابو تامر ان يودع صديقه اسعد شهدان ويعود ادراجه

يبدو ان خبر اختطاف نجلاء الحلوة . وانتقالها من دار والدها الى دار عريسها لم يعم القرية ،

وقد لا ينتشر الخبر قبل صباح الغد .

اذن فليس ثمة من يحمل هذا النبأ الآن الى ابي نجلاء

غداً سيعود ابو تامر الى صديقه ابي نجلاء ليوآسيه ، ويعزيه ، ويهون الأمر عليه

والتفت ابو تامر الى اسعد شهدان ليقول : انني مضطر لمغادرتك الآن يا ابا نجلاء . وسأعود غداً اليك ان شاء الله ونستأنف اللعب

فأجاب ابو نجلاء من دون ان يلتفت اليه . فهو منصرف الى استطلاع الطريق لعل ذلك الطريق يقود اليه ابنته نجلاء : مع السلامة يا ابا تامر ، مع السلامة

وخرج ابو تامر من منزل اسعد شهدان ، وهو يفكر :

الى اين سيشخص الآن ؟ . .

وماذا عليه ان يفعل ؟

وكيف سيواجه ابا نجلا بالخبر المؤلم الصاعق المخيف ، خبر اختطاف ابنته نجلاء . .

ولم يستطع ابو تامر ان يجيب على سؤال واحد من هذه الاسئلة . . .

وابتعد عن منزل ابي نجلاء . . .

واذا بصوت يلعلع من الفضاء :

نجلاء !. . يا نجلاء !. . يا نجلاء !. . نجلاء . . . نجلاء !. . نجلاء .

إنه صوت اسعد شهدان ينادي ابنته

والمناداة في القرية اللبنانية عادة قديمة مألوفة

وهي في مكانة الهاتف

والقرويون المحرومون من نعمة الهاتف يستعيضون عنه بأصواتهم العالية يخاطبون بها بعضهم من وادٍ الى واد . ومن ربوة الى ربوة . ومن جبل الى جبل . .

وتواصل نداء ابي نجلاء : نجلاء !. . يا نجلاء !. . من دون ان يلقى جواباً . .

وتردد صدى الصوت القروي البعيد «يا نجلاء ،»

وكانت الجبال والوديان تعيد الصدى الى ابي نجلاء لتزيد في قلقه واضطرابه ومخاوفه على ابنته الضائعة ، المجهولة المصير

وهمس ابو تامر ، وهو يسير في الطريق الغارق بين الاشجار : «مسكين ابو نجلاء . . .»

فقد اشفق ابو تامر على ابي نجلاء وهو يراه قلقاً خائفاً على ابنته التي ذهبت لتملأ جرتها من عين الشير ولم تعد

وعاد ابو تامر الى التفكير ، وهو يسير بدون قصد وبدون ان يحدد وجهة سيره : ماذا ستفعل الآن يا ابا تامر ؟ والى اين تسير ؟ . .

وفجأة فخطر خاطر سريع في رأس فريد الظاهر :

سيشخص الآن الى المختار ، ويطلعه على نبأ اختطاف نجلاء الحلوة ، ويطلب اليه ان يخبر والدها بالأمر

فالمختار يستطيع ان يحمل الخبر المؤلم الى ابي نجلاء

ويستطيع ايضاً ان يهوّن الأمر عليه ويقوم بدور الوسيط المصلح

فيصالح اسعد شهدان مع ابنته وصهره نصري ابن ابي نصري

وراقت له الفكرة :

من تراه اولى من المختار للقيام بهذه المهمة الصعبة الشاقة الخطرة ؟ . . وارتاح للفكرة . فاتجه في سيره الى دار المختار . .

ووصل بعد مسير قصير .

ودهش ، وقد شاهد في دار المختار رئيس البلدية

وهتف الرئيس والمختار وهما يشاهدان فريداً الظاهر يدخل عليهما : الله هو الذي ارسلك الينا يا ابا تامر

فتساءل ابو تامر : خير ان شاء الله ؟ .

وتولى المختار الكلام : لقد اختطف نصري ابن ابي

نصري نجلاء ابنة اسعد شهدان . ونحن نبحث الآن عن رسول نبعث به الى ابي نجلاء ليطلعه على النبأ المؤلم الحزين . ولن نجد أفضل منك رسولاً اميناً

فهز ابو تامر رأسه

وهمس في سره : جئت اطلب العون ، فوجدت من يطلب مني هذا العون

وجلس ابو تامر

وقال بكل خبث ومكر ودهاء : قد يكون النبأ كاذباً . فانا لا أصدق ان ابن ابي نصري يجرؤ على اختطاف ابنة ابي نجلاء

فضحك المختار

وقال : هل يخيل اليك ان ابن ابي نصري جبان مثلك يا ابا تامر ؟ . انت لم تستطع حتى الآن ان تختطف عروساً وتتزوج ، ويخيل اليك ان جميع الشبان مثلك جبناء

فابتسم ابو تامر وعاد الى التساؤل : ولكن من اخبركما بهذا النبأ ؟

قال رئيس البلدية ؛ لقد حضر إليَّ فارس المير ، والد نصري ، منذ قليل وأخبرني ان ابنه نصري اختطف نجلاء ابنة اسعد شهدان . وطلب إليَّ برجاء ان اطلع والدها على الأمر ، وان اسعى لحمل ابي نجلاء على الرضى ، وادعوه الى الموافقة على عقد الزفاف غداً . ولما كنت اعلم ان المهمة خطرة صعبة ، وان ابا نجلاء لن يتلقى الخبر برحابة صدر ، بل هو سيثور

ويغضب ويهدد ويتوعد وربما يقدم على ما لا تحمد عقباه ، فقد جئت الى المختار لأستشيره في الأمر ونتفق على حل للمعضلة

فصمت ابو تامر . . .

وأنصرف الى التفكير : ماذا عليه الآن ان يفعل ؟ . .

هل يوافق على القيام بالمهمة التي أراد المختار والرئيس إلقاءَها على عاتقه ! . .

لا . .

لن يذهب وحده الى اسعد شهدان

سيذهب اليه ، ولكنه سيصطحب معه المختار ورئيس البلدية

وهو لو أراد اطلاع ابي نجلاء على خبر اختطاف ابنته لفعل ، وقد كان في داره منذ قليل .

ان اطلاع ابي نجلا على نبأ هرب ابنته مع ابن ابي نصري ليس بالأمر السهل الميسور

القيام بهذه المهمة خطر

وابو نجلاء لن يتلقى الخبر بالفرح والابتسام

بل هو سيثور ثورة رهيبة لم يرَ ولم يسمع بمثلها ابناء القرية . . .

ومن يدري قد لا يستطيع اسعد شهدان احتمال هول الكارثة فيقع صريعاً .

أو انه يعمد الى الانتحار

أو يحمل بندقية الصيد ويسرع الى الانتقام فيصرع ابنته وحبيبها ويخلص منهما . . .

هناك احتمالات عدة . . .

الله وحده يعلم ماذا سيفعل ابو نجلاء عندما يقف على ما بدر من ابنته نجلاء . . .

والتفت ابو تامر الى المختار ، والى رئيس البلدية ليقول : موافق . . انا سأشخص الى دار اسعد شهدان واطلعه على الخبر . .

فارتاح الرئيس والمختار كل الارتياح

وظهر الارتياح لامعاً في عيونهما

وهمس الرئيس : شكراً لك يا ابا تامر . لقد أرحت قلبينا . لم نكن لنشك بنبلك وبشهامتك وبكرم خلقك

قال ابو تامر : ولكن . . .

فتساءلا معاً : ولكن ماذا يا ابا تامر ؟

قال : ولكن ابا تامر لن يشخص وحده الى دار اسعد شهدان

فتبادل الاثنان نظرة قلقة سريعة

وعادا الى التساؤل : ومن تراه ذلك الذي سيكون رفيقك الى اسعد شهدان ؟

فأجاب : سيرافقني اثنان . المختار ورئيس البلدية .

فوجما . . .

وتولى المختار الكلام

قال : ولكن . ليس لنا ان نقدم على هذه الخطوة ، ولا ان نتولى هذه المهمة ما دمت انت ستشخص الى ابي نجلاء ، وانت كما نعلم ويعلم الجميع خير من يستطيع القيام بمثل هذه المهمات الكبيرة . . .

إلا ان ابا تامر أصرَّ على ان يكون المختار ورئيس البلدية رفيقيه

قال : اما ان ترافقاني الى دار اسعد شهدان ، وإما ان تبحثا عن رسول غيري يبلغه الخبر العاصف الصارع الرهيب . .

فصمتا . . .

وانصرفا الى التفكير :

ماذا ؟ . .

هل يوافقان ام يرفضان ؟ . .

واخيراً . وبعد تفكير طويل التفت رئيس البلدية الى المختار يسأله : ماذا يا مختار ؟ . . ما هو رأيك في ما يبدي ابو تامر ؟ . .

ورد المختار قائلاً : لا بأس سنرافقه الى دار ابي نجلاء .

فضحك رئيس البلدية

وقال : لا تقل «سنرافقه» قل : هو سيرافقنا»

فابتسم ابو تامر

وقال : المهم انني لن أكون وحدي امام ابي نجلاء عندما يقف على نبأ اختطاف ابنته .

ونهضا . . .

ونهض معهما ابو تامر . .

وساروا «على بركات الله» الى دار اسعد شهدان ، وهم يتداولون ويتشاورون في أمر اطلاع ابي نجلاء على النبأ المخيف

***

كان أسعد شهدان ، في حال مؤسفة مؤلمة قلقة عندما وصل رئيس البلدية والمختار وابو تامر الى داره . .

وكان ما زال واقفاً على سطيحة الدار يستطلع الطريق قدوم نجلاء ، والاضطراب الشديد يعصف به . .

وكان يطلق نداءه من حين الى آخر : نجلاء ! . . يا نجلاء ! . .

وشاهد ابو نجلاء «الفرسان الثلاثة» مقبلين نحو داره ، فأدرك انهم يحملون اليه خبراً . .

فما عساه يكون لون هذا الخبر الذي يحملونه له ؟ . .

ابيض ؟ أم اسود ؟ .

وهرع لاستقبالهم امام المباب

وبادرهم بالسؤال وهو يصافحهم : هل تحملون إليَّ خبراً عن نجلاء ؟ .

فتمتم رئيس البلدية : تعالَ . . تعالَ معنا لنجلس اولاً وسنطلعك على كل ما نحمل لك . .

وهمس ابو نجلاء ، وقد ادرك انه اخطأ في استقبالهم عند الباب بدون ان يرحب بهم ، ويدعوهم الى الدخول :

تفضلوا . . المعـذرة . ان غياب نجـلاء ذهـب بعقلي وأضـاع تفكيري . . تفضلوا تفضلوا بالدخول . .

ودخلوا . .

وجلسوا . . فجلس ابو نجلاء قربهم ، والوجوم والقلق يطلان من عينيه .

وعاد الى السؤال : هل تحملون اليَّ خبراً عن نجلاء ؟

فاجاب المختار : اجل . . .

وبلهفة وخوف وهلع وإلحاح تساءَل اسعـد شهـدان : «ماذا ؟ . . هل ماتت ؟ . .» قال رئيس البلدية ، وهـو يحبس انفاسه خشية وقوع الكارثة واندلاع ثورة اسعد شهدان العاصفة العاتية المخيفة : لا . . لم تمت نجلاء يا اخي اسعد لا سمح الله . . . لم تمت ، بل هي ستتزوج

فتمتم ابو نجلاء متسائلاً : تتزوج ؟ نجلاء تتزوج ؟ . . ومن هو العريس «من غير شر» ؟ . .

قـال ابـو تامـر : انـه نصري ابـن ابـي نصري يا اخـي اسعد . . .

وأغمض ابو نجلاء عينيه

وهمس : ليتها ماتت . . .

وتبادل الثلاثة المختـار ، والـرئيس وابـو تامـر النظـرات القلقة ، وهم يرقبون اندلاع الثورة العاصفة

من المؤكد ان ابا نجلاء سينفجر غضباً

والله وحده يعلم ماذا ستكون نتيجة ثورته اللاهبة الحمراء

إلا انهم كانوا على خطأ فأبو نجلاء لم يثر ،
ولم يغضب
ولم ينبس بحرف
بل هو راح يحدق عبر النافذة بالأفق البعيد على صمت بارد موجع حزين . .
وترقرقت الدموع في عينيه ، إلا انه ابى ان يسمح للدموع بالانهيار

فعلقت تلك الدموع في مقلتيه ،، لا تنحدر على الوجنتين ، ولا هي تغور وتختفي في العينين . . .
وساد الصمت أرجاء الدار بارداً موجعاً حزيناً كئيباً . . .

وطال الصمت بدون ان ينبس احد منهم بحرف
وراح الثلاثة ، يتفرسون في ابي نجلاء وقد ارعبهم صمته اكثر مما كان سيرعبهم غضبه .

واخيراً قطع ابو تامر حبل الصمت الرهيب
قال : ليس لك ان تغضب ولا ان تحزن يا اخي اسعد .
ان مصير كل فتاة الزواج . . يوم زواج الفتاة هو اليوم المنشود الذي ينتظره كل أب وكل أم يا ابا نجلاء . .
ولم ينبس ابو نجلاء بحرف ،
ولا هو حوّل نظره عن الأفق البعيد
وتولى المختار الكلام
قال : نصري ابن ابي نصري ، شاب شهم نبيل ذو

اخلاق عالية ومزايا حميدة . وستحبه يا ابا نجلاء يوماً كما تحب نجلاء

وقال رئيس البلدية محاولاً تخفيف وطأة المصاب الأليم عن اسعد شهدان : كان عندك ابنة واحدة يا ابا نجلاء وسيصبح عندك الآن ابنة وابن . نصري سيكون في مقام ابنك بعد ان يتم زفافه من نجلاء . . .

ولم يتكلم اسعد شهدان

ولا هو ادار وجهه عن النافذة . . .

وعاد المختار الى الكلام ليقول : أرى ان نشخص كلنا الآن يا ابا نجلاء الى دار ابي نصري . فتبارك انت العروسين ، وتعلن رضاك عنهما ، وتتم فرحة القرية بعقد زفافهما غداً

فأدار ابو نجلاء وجهه عن النافذة الى ضيوفه الثلاثة

وهمس متسائلاً : تذهبون الى دار ابي نصري الآن ؟ . .

قال رئيس البلدية اجل . .

فعاد ابو نجلاء الى التساؤل : وانا معكم ؟ . .

قال المختار: اجل . . وانت معنا . . . لن نخطو خطوة واحدة من هنا إلا وانت الى جانبنا يا ابا نجلاء

فتمتم اسعد شهدان كلمة . . كلمة واحدة : لا . . .

فعاد الثلاثة الى تبادل النظرات الحائرة . .

وقال ابو تامر : لن نشخص وحدنا الى دار فارس المير . . يجب ان تكون رفيقنا الى ابي نصري . .

فعاد ابو نجلاء الى الهمس : لا . . لن اكون رفيقكم اليه . .

قال رئيس البلدية : لن نذهب اليه وحدنا . .

فتمتم ابو نجلاء : انا سأذهب وحدي اليه . .

ووجم «الفرسان الثلاثة» . . .

كل حساب حسبوه إلا هذا الحساب .

ابو نجلاء يريد ان يذهب وحده الى دار ابي نصري ليلتقي هناك في تلك الدار ابا نصري وابنه نصري ، وابنته هو نجلاء ؟ . .

لماذا ؟ . .

لماذا يشخص وحده الى دار ابي نصري ؟

ولم يستطيعوا ان يجيبوا على هذا السؤال . . .

إلا ان ابا تامر اقترب من رئيس البلدية ليهمس في اذنه : قد يكون صاحبنا عازماً على تفجير ثورته هناك في دار صهره العتيد لا هنا في داره . .

فالتفت رئيس البلدية الى اسعد شهدان ليقول متسائلاً : الا تريد مرافقتنا يا ابا نجلاء ؟ . .

فرد ابو نجلاء بقسوة وبحزم وبجفاء : لا . . إما ان اذهب وحدي ، أو لا اذهب

وتولى المختار الكلام

قال : لا بأس يا ابا نجلاء . . اذهب وحدك الى دار ابي

نصري ولن نرافقك . المهم ان تشخص الى هناك وان تعلن رضاك عن نجلاء ونصري وتباركهما . .

ولم يجب ابو نجلاء . .

بل هو عاد الى الصمت العميق السحيق ينغمس فيه بوجل ووجوم . .

ونهض الثلاثة يودعونه وقد قاموا بالمهمة الصعبة واقنعوا ابا نجلاء بالذهاب الى دار صهره العتيد ،

إلا ان ابا تامر لم يكن مرتاحاً لما اعلن ابو نجلاء : لماذا يصر اسعد شهدان على ان يكون وحده عندما يقوم بزيارة ابي نصري ؟ . .

ترى هل يريد الانتقام ؟ . .

وعصفت المخاوف والافكار السوداء في رأس ابي تامر

واطلع رفيقيه رئيس البلدية والمختار على تلك المخاوف وقد أصبحوا خارج دار ابي نجلاء .

قال : اخشى ان يحمل ابو نجلاء بندقية الصيد معه الى دار فارس المير ، وغداً عوض ان نحتفل بزفاف عروسين ، نشيّع جثتين الى المثوى الاخير

فهلع الاثنان الرئيس والمختار ،

وتوقفا عن المسير .

وسأل المختار ابا تامر : هل هناك سلاح في منزل ابي نجلاء يا ابا تامر ؟ . .

فرد ابو تامر : اجل هناك «جفت» صيد كما اعلم

قال رئيس البلدية : يجب ان نستولي الآن على هذا السلاح

وأيّد المختار قول رئيس البلدية ،

قال : اجل يجب ان نأخذ هذه البندقية معنا الآن لنطمئن الى سلامة نجلاء ونصري . .

قال المختار: ولكن كيف ؟. كيف سنستولي على هذا السلاح ؟

فتدخل ابو تامر ليقول : اتكلوا علي . انا سأحتال على ابي نجلاء . واستولي على البندقية . وأعود إليكما . انتظراني هنا

قال ابو تامر هذا ، وقفل راجعاً ادراجه . .

وكان اسعد شهدان لا يزال جالساً في مقعده ينظر من النافذة الى الأفق البعيد ، والدموع لا تزال عالقة في اجفانه . .

ولم يدهش ابو نجلاء لعودة ابي تامر ،

ولا هو رحب به

ولا حول نظره عن النافذة

وتقدم ابو تامر منه ليقول : يا ابا نجلاء . . اريد ان اذهب في ساعة مبكرة غداً الى الصيد و«جفتي» معطل هل تسمح بأن «تعيرني» جفتك ، وسأعيده لك ظهراً بعد عودتي من الصيد ؟

فلم يتحرك ابو نجلاء من مكانه

بل هو تمتم بدون ان يلتفت الى ابي تامر : «الجفت» معلق هناك في قاعة الطعام . خذه يا ابا تامر . . .

واسرع ابو تامر الى «الجفت» ينتزعه عن الحائط

ويلقي به على كتفه

ويعود الى ابي نجلاء قائلاً : شكراً لك يا ابا نجلاء . .

وسار نحو الباب

فما كان من ابي نجلاء الا انه ناداه : ابا تامر ! . .

وتوقف ابو تامر عند عتبة الباب

والتفت الى اسعد شهدان متسائلاً : أمر يا ابا نجلاء ؟ . .

قال ابو نجلاء : انت لن تذهب غداً الى الصيد

فدهش ابو تامر

وحاول الاعتراض

إلا ان اسعد شهدان بادره بالقول : يخيل إليك كما يخيل للمختار ولرئيس البلدية إنني سأطلق النار من هذه البندقية على نجلاء ونصري لانتقم منهما ولذلك فانتم تريدون ان تنتزعوا «الجفت» مني . . . لا بأس . . . خذ «الجفت» يا ابا تامر . وثق انني سأشخص بعد قليل الى دار فارس المير وانا اعزل ، بدون اي سلاح

ودهش ابو تامر . . .

وحاول الرد على ابي نجلاء

حاول ان يقول كلمة ،

إلا انه عجز

فهو لم يجد كلمة يرّد بها على اسعد شهدان ،

وسار متابعاً سيره الى حيث ينتظره المختار ورئيس البلدية والدهشة تعصف به . . .

ودفع بالجفت الى المختار هامساً : لم تنطلِ الحيلة على ابي نجلاء . . لقد علم اننا نخاف على نجلاء ونصري من بندقيته ، وبالرغم من ذلك فهو لم يمانع في تسليمي الجفت . وقال لي : «انا سأشخص بعد قليل الى دارس فارس المير ، اعزل بدون سلاح . .»

فوجم الاثنان

وتمتم المختار : ماذا يريد ان يفعل هذا الرجل ؟ انه يحيرني ويثير قلقي وفضولي

وقال رئيس البلدية : أخشى ان يكون لديه سلاح آخر ، مسدس ، أو خنجر ، أو قنبلة أو أي شيء آخر. وارى ان نراقبه فنتقي شره .

قال ابو تامر : اذهبا انتما الآن . وانا سأكمن لأبي نجلاء هنا ، وراء هذه الأشجار فاراقبه ، واحصو عليه خطواته واقتفي اثره الى دار ابي نصري . .

فتمتما : ولكن احذر منه يا ابا تامر . قد يسيء اليك انت ، اذا علم انك ستحبطمكيدته

قال ابو تامر :..اطمئنا . . . مع السلامة

وسار المختار ورئيس البلدية . .

وقفز ابو تامر الى وراء الاشجار ليختفي بين الاغصان الوارفة الظلال منتظراً خروج ابي نجلاء من الدار ،

ولم يطل انتظار نصير العشاق

دقائق قليلة وشاهد ابا نجلاء يخرج من الدار

ثم يقفل الباب بالمفتاح ويسير في الطريق الملتوي البعيد .

ومرّ ابو نجلاء وهو يسير في طريقه الى دار فارس المير ، بابي تامر ، الكامن وراء الاغصان ، فذعر ابو تامر وهو يشاهد وجه اسعد شهدان من خلال اوراق الاغصان الخضراء

وكاد ان لا يتعرف اليه

كان ابو نجلاء مكفهر الوجه ، مقطب الحاجبين ، جاحظ العينين ، يسير بقوة ونشاط كأنه ذئب مفترس يهم بالانقضاض على فريسته

وتأكد ابو تامر من ان ابي نجلاء مقدم على عمل خطر خطير ، قذ يكون بحجم الجريمة . . .

وخشي نصير العشاق ان يكون اسعد شهدان عازماً على الانتقام من ابنته ومن نصري ،

وان يكون انتقامه هائلاً رهيباً . لا سيا وكل ما فيه من غضب وحنق وحقد وثورة ، كل ذلك كان يطل من عينيه الجاحظتين

فهمس في سره : يجب يا ابا تامر ان تسرع الى دار فارس المير لتصل قبل اسعد شهدان ، فتنذر صاحب الدار وابنه

ونجلاء الحلوة ، وتتخذ معهم الحيطة للحؤول دون ارتكاب الجريمة . . .

وكان ابو نجلاء قد ابتعد في سيره النشيط عن مكمن ابي تامر

فقفز نصير العشاق من مكمنه هامساً : سأسلك طريق الحرج وهو طريق اطلق عليه ابناء القرية اسم «القادومية»

انه طريق وعر ، الا انه يختصر المسافات

واسرع ابو تامر في ذلك الطريق وهو يتمتم : سأصل قبله . . . سأصل قبله»

***

كانت الساعة قد أشرفت على الثانية بعد الظهر عندما وصلت ام عساف من سرد قصة عين الحلوة عند هذا الحد

فتوقفت عن الكلام

وقالت «لكنّاتها» : الآن وقد أشرفت الساعة على الثانية . سأهيء لكن الطعام . . . نتناول الطعام ثم اكمل لكن سرد تفاصيل القصة . .

فدهشن، وام عساف تعلن لهن حلول الساعة الثانية

ونهضن يقلن : لا يا ام عساف . . . سنعود الى منازلنا . . . لن نزعجك في اعداد الطعام . . .

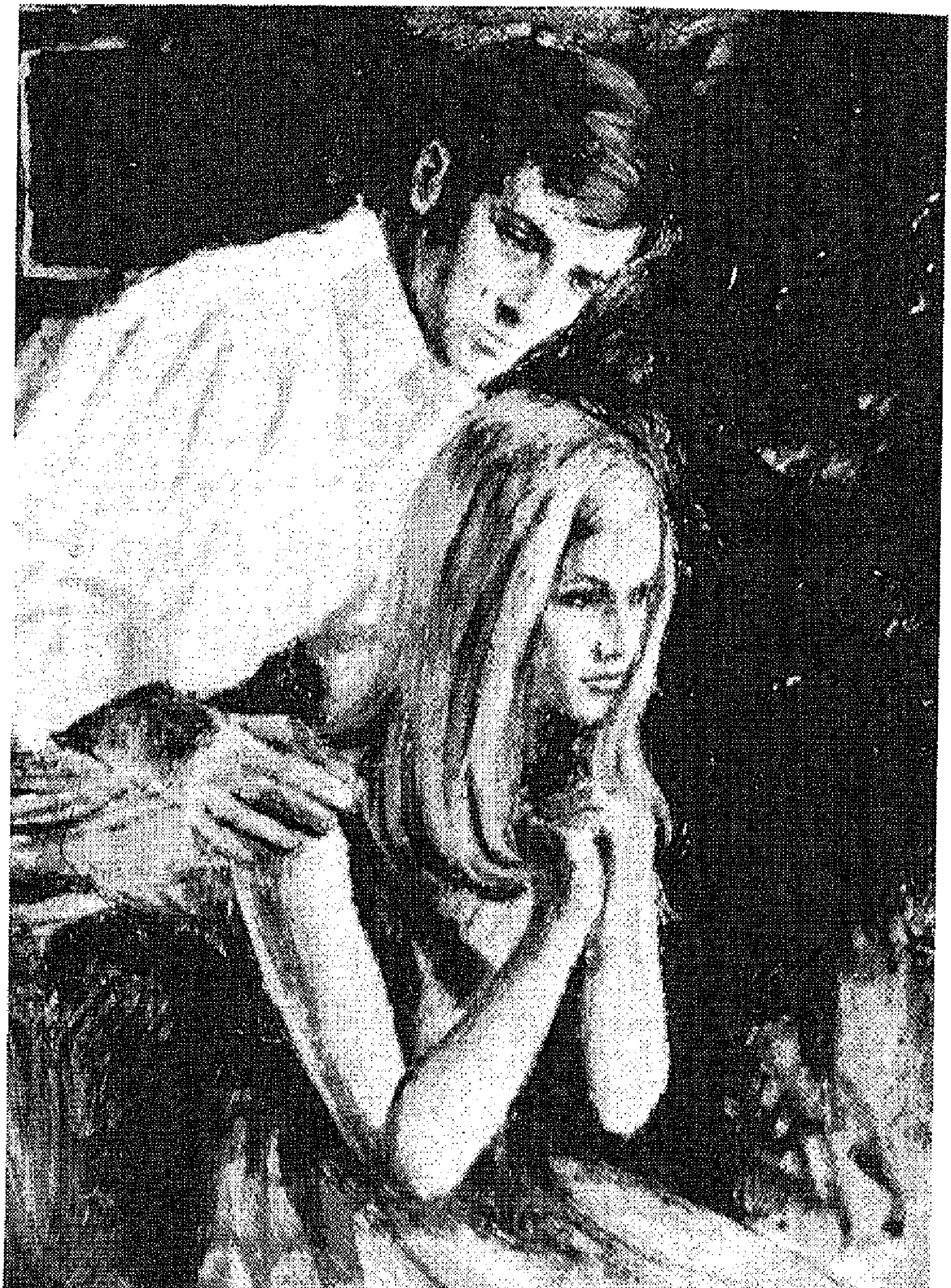

« . . . وارتاح العاشقان المتيمان وقد تم لهما اللقاء بفضل نصير العشاق . . . »

وحاولت أم عساف اقناعهن بالبقاء الا انهن اصررن على الذهاب . .

واتفقن مع أم عساف على اللقاء في صباح اليوم التالي ، في ساحة عين الحلوة لتكمل لهن ما تبقى من قصة الدموع التي لا تجف

الفصل الثامن

بزغ الفجر البعيد ، ساكباً انواره الوردية على تلال لبنان وجباله ووديانه وربا . . .

ونهضت صبايا القرية ، في ساعة مبكرة والشوق للاستماع الى ما تبقى من قصة نجلاء الحلوة ونصري ابن ابي نصري يعصف بهن ،

ومع اطلالة الصباح ، وفيما انوار الفجر الوردية تتوارى امام انوار الصباح البيضاء كانت الصبايا في طريقهن الى عين الحلوة ، وقد عزمن على ان ينتظرن في ساحة العين «ستهن» ام عساف . .

ووصلن الى العين ،

فدهشن وهن يشاهدن ام عساف تجلس على المقعد الحجري في الساحة الفسيحة الارجاء الممتدة امام العين تقيم منهن على انتظار . .

ووثبن اليها يلقين عليها التحية فرحات

فابتسمت أم عساف لهن

وتمتمت : لقد وصلت اليوم قبلكن . . . ليلة امس لم أسهر. لقد آويت الى الفراش ، كعادتي ، في ساعة مبكرة من

الليل فأفقت اليوم في ساعة مبكرة من الصباح . سيكون لدينا اليوم متسع من الوقت لاكمال سرد قصة عين الحلوة

فتحلقن حولها مصغيات لما تروي أم عساف

واستوت العجوز الشمطاء في جلستها

وبدأت تروى «لحبيباتها» تفاصيل القصة المغمورة: بالشوق والهوى والحنين

قالت أم عساف .

***

«فارس المير يقيم على قلق وحيرة واضطراب .

ما أقدم عليه ابنه نصري اقلقه وقضَّ مضجعه . واحرج موقفه امام ابناء القرية ، وسيوقع بينه وبين اسعد شهدان والد نجلاء .

وادرك ابو نصري انه واقع في مأزق حرج

وان عليه ان يبحث عن وسيلة للنهوض من هذا المأزق الكبير الذي اوقعه فيه ابنه نصري .

وانصرف فارس المير الى التفكير العميق ينغمس فيه على حيرة وارتباك .

وهمس في سره : أرجو ان يوفق رئيس البلدية في تهدئة خاطر ابي نجلاء ، واقناعه بالموافقة على عقد زفاف نجلاء على نصري . . اذا وفق الرئيس في المهمة التي طلبت اليه القيام بها تحل المعضلة

في هذه الاثناء . .

وفيما ابو نصري جالس يفكر بوسيلة يستطيع بها الخروج من المأزق الذي اوقعه فيه نصري كان نصري ونجلاء في الحديقة المحيطة بالدار يتمشيان بين الورود والازهار والرياحين ويتطلعان الى المستقبل الزاهر الزاهي الذي ينتظرانه

وكان نصري على فرحة طلقة ، يساير حبيبته نجلاء ويتحدث اليها احاديث الهوى والهيام . في حين كانت نجلاء منصرفة الى التفكير بقلق واضطراب . . .

والتفت نصري الى نجلاء يسألها : ما بك يا حبيبتي ؟ . . انني لأراك واجمة قلقة حائرة . . هل ثمة ما يقلق خاطرك ويثير شجونك ؟ . .

فأمسكت نجلاء بيد نصري تشدها بشوق وحنين

وتهمس : لا يا نصري ، لا يا حبيبي . انا سعيدة . سعيدة جداً ، وسأظل سعيدة ما دمت قربك

قال : ولكنني أراك ساهمة حائرة ويخيل الي ان ثمة افكاراً مقلقة تشغل بالك . . قولي لي يا نجلاء ما بك ؟ . . وبماذا تفكرين ؟ . .

فهمست : انا خائفة يا نصري . . لا أعلم ما بي ، يخيل اليَّ ان هناك من يسعى لتقويض دعائم سعادتنا

قال : اطمئني يا حبيبتي اطمئني . ان الله سبحانه وتعالى أنعم علينا بهذه السعادة الباسمة البيضاء ، ولن يستطيع احد ان يسلبنا اياها

وكانا قد وصلا الى غرسة ورد أحمر مثقلة بالاقمار الحمراء

فانحنى نصري على الغرسة يقطف منها وردة حمراء ويقدمها لنجلاء هامساً : اللون الاحمر يرمز الى سعير الحب المتقد في القلوب وهذه الوردة هي رمز حبي لك يا نجلاء . .

فأمسكت نجلاء بالوردة هامسة : اللون الاحمر يذكرني بالدم . . انا أفضل اللون الابيض يا نصري. اللون الابيض يرمز الى الصفاء والطهر والوفاء والاخلاص . .

فاقتادها الى آخر الحديقة

ووقف بها عند غرسة ورد ابيض قائلاً : كنت أعلم انك تفضلين الورد الابيض ، وطالما شاهدتك تزينين شعرك بوردة بيضاء لذلك فقد غرست لك في هذه الحديقة وردة بيضاء وقلت في نفسي : غداً يوم تصبح نجلاء سيدة هذه الدار ستتولى بنفسها الاعتناء بوردتها البيضاء . .

قال نصري هذا ، وقطف وردة بيضاء ليزين بها شعر حبيبته نجلاء ،

ثم يمسك بيدها قائلاً : فلنعد الى الدار . ان والدي بانتظارنا . . .

وعادا الى الدار فاذا بهما أمام ابي نصري جالس على مقعد وثير وهو منصرف الى التفكير . . .

وابتسم ابو نصري ، وهو يشاهدهما مقبلين نحوه .

وهمس : تعالَ يا نصري اجلس هنا قربي . . . وانت يا نجلاء تعالي . . . اجلس هنا ،

وجلسا . . .

نصري الى يمينه ونجلاء الى يساره

فالتفت فارس المير الى ابنه ليقول عاتباً : لم يكن لك يا نصري ان تخطف نجلاء . . . ما أقدمت عليه يا ابني أوقعنا في مأزق حرج ، لا نعلم كيف سنخرج منه . ولا يعلم إلا الله سبحانه وتعالى ، ماذا ستكون نتيجة هذا العمل . .

فصمت نصري ولم ينبس بحرف

وعاد الوالد الى الكلام ليقول : ان اختطافك نجلاء سيثير غضب والدها ، ولا أخاله سيتغاضى عن هذه الاساءَة . ليتك لم تقدم على ما اقدمت عليه يا نصري

فتمتم نصري : هل تعني في ما تقول يا والدي انك لا توافق على زواجي من نجلاء ؟

فانتفض فارس المير وهمس : «بالعكس» يا ابني . . انا اوافق على زواجك من نجلاء . . وأصر على هذا الزواج . ولا أخالك تقع على عروس أفضل منها . فهي زينة بنات هذه القرية . انا موافق على زواجك منها ولكنني لست موافقاً على مشروع الاختطاف . كان بامكاننا ان نزفها اليك بعد أن نطلب يدها من والدها ويوافق والدها على الطلب

قال نصري : كنت متيقناً يا والدي ان ابا نجلاء سيرفض طلبنا اذا ما أقدمنا على طلب يد نجلاء

فتساءَل ابو نصري : يرفض ؟ . . ولماذا يرفض ؟ انكون دونه مقاماً ؟ . .

ولم يشأ نصري ان يطلع والده على ما كان من ابي نجلاء

عندما علم ان نجلاء كانت تتحدث اليه في الحقل وانه ضربها وشتمها

فاكتفى بالقول : ما حدث قد حدث الآن . ومشروع الاختطاف تنفذ فماذا تريد ان نفعل يا والدي الآن ؟

فضرب فارس المير كفاً بكف

وهمس : لست ادري . . لست ادري

قال نصري : يجب ان يتم زواجنا يا والدي . يجب ان يعقد زفافنا غداً . .

قال ابو نصري مؤيداً : طبعاً طبعاً يا نصري . من المؤكد ان زواجكما يجب ان يتم غداً ولكن . .

فتساءل نصري : ولكن ماذا يا والدي ؟

قال ابو نصري ، ولكن علينا ان نتدبر الأمر ، ونقنع ابا نجلاء بالموافقة على عقد زفافكما . لا أريد ان أثير نقمة ابي نجلاء علينا ، ولا أن أسعى الى عداوته

قال ابو نصري هذا ، والتفت الى نجلاء قائلاً وانت تعرفين والدك يا نجلاء فهو سريع الغضب ، شديد البأس عنيد حقود

فتمتمت نجلاء وقد خشيت ان يتردد ابو نصري في الموافقة على عقد زفافها من نصري لئلا تثير موافقته غضب والدها ونقمته : انا الآن مثل ابنتك يا عمي ابا نصري ،

فهمس ابو نصري : «وأعز من ابنتي انت يا نجلاء . لو

ان لدي ابنة لما احببتها اكثر مما احبك . انت عندي يا نجلاء في مقام نصري . . .»

واذا بوقع خطى سريعة تتكسر في اذانهم .

فتمتم ابو نصري يبدو ان هناك زائر قادم الينا

فوجمت نجلاء ، وارتعشت

وهمست : انه والدي . . . يا ويلي . . . يا ويلي . . .

وأسرع ابو نصري الى الباب مستطلعاً ، وقد خشي ايضاً ان يكون القادم اليه اسعد شهدان . . .

واذا به امام ابي تامر . . .

وكان ابو تامر يلهث من التعب . والاضطراب يبدو واضحاً جلياً في عينيه .

وبدون ان يلقي التحية هدر ابو تامر متسائلاً : اين نصري ؟ . .

فأجاب فارس المير : انه هنا

ـ ونجلاء ؟

ـ أيضاً هنا . .

ـ فليختبئا حالاً . . .

ـ تفضل . . ادخل يا ابا تامر ادخل . . .

ودخل ابو تامر فاذا بنصري ونجلاء واقفان على قلق واضطراب . . .

وكان الذعر يطل من عيني نجلاء

والقلق يستبد بنصري

فأتجه ابـو تامـر اليهما هاتفاً: اسرعـا بالدخـول الى هذه الغرفة ، وأوصدا الباب وراءكما . .

فتسـاءَل ابـو نصري : لماذا يا ابـا تامـر ؟ . . ماذا جرى ؟ . .

فتمتم نصير العشاق : يا اخي ابا نصري الأمر خطير جداً

ـ ما هو هذا الامر الخطير يا ابا تامر ؟

قال ابو تامر : ان ابا نجـلاء قادم الآن اليكم . والشرر يتطاير من عينيه ، ويبدو انـه عازم على القيام بعمـل ما . . لا اعلم ما هو هذا العمل الذي سيقوم به ابـو نجـلاء ، ولكننـي متأكد من انه عمل خطر ، قد يكون بحجم الجريمة

فابتسم ابو نصري على كره منه

وتظاهر باللامبالاة

قال : وماذا سيفعل ابو نجلاء ؟ ولماذا يتخذ من حادث بسيط وسيلة لتفجير غضبه ؟ ألم يقدم شاب في هذه القرية على اختطاف فتاة ؟ . . اكثر من نصف فتيات القرية «ذهبن خطيفة» مع احبابهن

فهمس ابو تامر : لسـت ادري . . . لسـت ادري ماذا سيفعل هذا الرجل . . فلينجنا الله منه ومن شره ، «ولتنقض هذه المشكلة على خير»

وهدر ابو نصري : فليفعل ما يطيب له ويحلو . نجـلاء اصبحت عندنا الآن . فاذا حظينا برضاه كان خيراً لنا وله ، واذا لم يعلن رضاه فهو حر ونحن احرار . .

واذا بوقع قدمي ابي نجلاء تتعالى في الخارج

فهمس ابو تامر بخوف وقلق : انه هو . . لقد وصل

والتفت الى نصري ونجلاء هاتفاً : اسرعا . . اسرعا بالاختباء . . ادخلا الى هذه الغرفة ، وأوصدا وراءكما الباب

وتقدم منهما يدفعهما الى داخل الغرفة ويغلق الباب وراءهما

وكانت نجلاء ترتجف كأنها ورقة في مهب الرياح العاتية العاصفة الهوجاء . . .

واذا بأبي نجلاء يقتحم الباب المشرع ، والغضب الشديد يطل من عينيه ، والثورة تهزه هزاً وهو مقطب الحاجبين مكفهر الجبين

وهدر ابو نجلاء ، وقد اصبح امام ابي نصري وجهاً الى وجه : اين ابنتي ؟ . .

فأطلق ابو نصري ابتسامة بيضاء هادئة حاول بها تهدئة غضب ابي نجلاء واخماد ثورته

إلا ان تلك الابتسامة لم تكن إلا لتزيد ثورة الغضب في صدر ابي نجلاء اتقاداً والنار في نفسه اندلاعاً ، والسعير في قلبه اشتعالاً . .

وأعاد السؤال بثورة جامحة : اين ابنتي ؟ . .

فاتسعت الابتسامة البيضاء على شفتي ابي نصري

وتقدم من اسعد شهدان متمتماً : اولاً : نهارك سعيد . . ثانياً : تفضل بالجلوس لنتفاهم

فصرخ ابو نجلاء بصوت كقصف الرعد : نتفاهم ؟ وعلى مَ تريد ان نتفاهم ايها الوقح نتفاهم على تنفيذ الجريمة التي ارتكبتموها ، نتفاهم على مشروع القرصنة الذي نفذتموه ايها القراصنة المجرمون ؟ . .

وكان كلام اسعد شهدان لاسعاً لاذعاً مهيناً

فأثار غضب ابي نصري

ووثب اليه يقول : اسمع يا ابا نجلاء وقف عند حدود اللياقة والتهذيب . نحن لم نرتكب جريمة ، لم نقترف إثماً . ابنتك عندنا الآن نصونها بعيوننا ونحميها بزنودنا ونحفظها في قلوبنا . . . اذا اردت ان نتفاهم فنحن للتفاهم حاضرون ، واذا أردت اعلان الحرب فنحن للحرب مستعدون

وخشي ابو تامر ان يتطور الكلام بين ابي نجلاء وابي نصري الى اصطدام والى تشابك بالايدي

فوقف بينهما هاتفاً : مهلاً ايها المجنونان . . . الأمر لا يستحق مثل هذا الصراخ والخصام . . مهلاً . . مهلاً

فما كان من ابي نجلاء إلا انه دفع بأبي تامر صارخاً به : أغرب من امام وجهي ايها الخبيث اللعين . . اغرب والا حطمت رأسك

فلم يغضب ابو تامر للأهانة .

فهو يعلم ان الغضب الشديد اعمى بصر وبصيرة اسعد شهدان ، ولا يجوز له ان يحاسب ابا نجلاء على كلام نطق به ، وهو في ثورة غضبه

فهمس : «ولو يا ابا نجلاء . . . اهكذا توزع علينا شتائمك بدون حساب ؟»

ولم يجب ابو نجلاء ابا تامر ،

بل هو ارتد الى ابي نصري هادراً : اسمع يا فارس المير ! . . ان ما قمتم به من عمل وضيع حقير ، يثبت انكم والجريمة على وثيق صلة . وهو ليس عمل «ناس اوادم» لقد اختطفتم ابنتي مني . وانا اريد استعادة ابنتي . هل تفهم وتعي ما اقول ؟ انا اريد ابنتي . . نجلاء يجب ان تعود الآن فوراً وحالاً الى بيتي . . هل تفهم ؟ . . الآن . . . الآن حالاً

فتساءَل ابو نصري وقد بدأ يعود اليه الهدوء : واذا لم تعد ؟ . .

ـ اذا لم تعد نجلاء الآن الى البيت فانا سأتدبر امري معكم

قال ابو نصري

ـ افعل ما يطيب لك . نجلاء اصبحت الآن ابنتنا ، ولن يستطيع احد ان ينتزعها منا

ـ نجلاء ابنتكم ؟ . . تنتزعون ابنتي مني وتدعون انها ابنتكم ايها المجرمون ؟ انني انذركم . نجلاء يجب ان تعود الى داري . ولا يمكن ان تنام الليلة خارج الدار . . هل تفهم ماذا أقول ؟ . . هل تفهم ؟

ولمع الشر مخيفاً في عينيه

فعاد ابو تامر الى التدخل محاولاً تهدئة خاطر ابي نجلاء

قال : إهدأ يا ابا نجلاء ، واستعد ما فقدت من

عقلك . . اهدأ يا اخي . . وتعالَ نتفاهم ، ولن نفعل الا ما يرضيك . وثق اننا لا نضمر لك الشر كما يخيل اليك ،

فلم يكن كلام ابي تامر المهدىء ليهدىء ثورة ابي نجلاء وهدر : اسمعوا جيداً ما اقول لكم . . اذا لم تعد ابنتي الى بيتي الليلة ، فلن تكونوا راضين . . كلكم . . لن تكونوا على رضى ولا على ارتياح

فتساءَل ابو تامر : من تعني بكلمة «كلكم» يا ابا نجلاء ؟ . .

فهتف اسعد شهدان بغضب مخيف : اعني كل اهل الضيعة كل أبناء هذه القرية . . كلكم . كلكم . . كلكم . . كلكم . . وسأنتقم منكم كلكم . . كلكم لن تكونوا راضين . . . فوجم ابو نصري ، وقد بدأ يشعر بان الأمر خطير وتقدم من ابي نجلاء الثائر الغاضب الجموح يسأله : ماذا تقصد يا اسعد شهدان ؟

وظهر الحزم والعزم والشدة والقسوة في عيني ابي نجلاء وزأر : اعني انكم ستحرمون كلكم من نعمة المياه . . اذا عادت نجلاء الآن الى داري تشربون وتروون ارضكم . . اذا لم تعد . . لن تنعموا بقطرة ماء . ويخيل اليَّ ان كلامي واضح صريح لا يحتاج الى شرح ولا الى اسهاب ولا الى توضيح

فظهر الذعر في عيني ابي نصري وفي عيني ابي تامر وكلام ابي نجلاء ينزل في اذانهما كالخناجر والحراب . .

وتساءَل ابو نصري : هل هذا الكلام هو كلام رجل

عاقل ؟ . . اي ذنب ارتكب ابناء القرية لتعاقبهم مثل هذا العقاب الرهيب يا ابا نجلاء ؟ . .

فتمتم اسعد شهدان: هذا هو قراري الاخير . . لن اتراجع عنه . . الوسيلة الوحيدة التي تهيب بي الى السماح لكم بالتنقيب عن المياه في ارضي هي عودة نجلاء الى داري . . انني اعي جيداً ما أقول . . لن اهدد ، ولن اتوعد بعد الآن ، لن اصرخ ، ولن اشتم ولن اسب . . و«لن اهد مراجل . .» انا عائد الآن الى بيتي . وامامكم ساعة واحدة لتتخذوا ما ترونه موافقاً لمصلحتكم . . ساعة واحدة فقط . اما ان تعود نجلاء خلال هذه الساعة الى البيت واما ان تظلوا كلكم في هذه القرية بلا ماء . .

وادار اسعد شهدان ظهره وهمّ بالمسير ، وقد ألقى بالمتفجرة الصارعة

فوثب ابو تامر اليه محاولاً تهدئة خاطره

إلا ان اسعد شهدان ارتد الى نصير العشاق هاتفاً به : اغرب من وجهي . . ابتعد عني ايها المراوغ الخبيث . . يا وجه النحس . . .

وخرج . .

واسرع بالمسير كما عاد ، كالعاصفة الهوجاء

فوقف ابو تامر يشيعه بنظرة اسف وألم وارتياع . .

وهمس ابو تامر وقد غاب اسعد شهدان عن ناظريه : «ليتك احضرت معك الجفت يا ابا نجلاء واطلقت النار علينا

كلنا الآن ، لكان ذلك أفضل لدينا من حرمان القرية كلها نعمة المياه مدى الحياة . . . »

وعاد ابو تامر الى فارس المير الذي كان يقف على دهشة وحيرة وذهول ، ليسأله : ما هو رأيك يا ابا نصري في ما اقدم عليه هذا المجنون ؟ .

فضرب ابو نجلاء كفاً بكف

وهمس : لست ادري . . لست ادري يا ابا تامر . . مصيبة . . مصيبة وقعت على رؤوسنا . .

واتجه ابو تامر الى باب الغرفة التي دخل اليها نصري ونجلاء يفتحه هامساً : اخرجا . . تعالَ يا نصري . . تعالي يا نجلاء . . .

وخرجت نجلاء ، وهي ترتعش من الخوف والقلق

وخرج معها نصري . . .

وهمس نصري متسائلاً : هل ذهب ابو نجلاء ؟ .

وأجاب ابو تامر : ذهب . .

وهمس ابو نصري : اقترب يا نصري . . اقتربي يا نجلاء

واقتربا . .

فتمتم ابو نصري ، سائلاً الحبيبين المضطربين : هل سمعتما ، وانتما داخل الغرفة ما قال ابو نجلاء ؟

فاجابت نجلاء : اجل . . لقد سمعنا كل ما قال يا عمي ابا نصري . . .

فتقدم ابو تامر منهما يسألهما : ما هو رأيكما ؟..

فتبادل نصري ونجلاء نظرة حيرى فيها كل معاني الألـم والقلق والحنين .

ولم يهمسا بحرف .. لم يستطيعا ان ينطقا بحرف فقد هدت المفاجأة قواهما

وعصفت بقلبيهما لتزيدهما ألماً وعذاباً ، وقـد ايقنـا ان هنـاك عقبـة قاسية شديدة بدأت تظهـر امـام تحقيق سعـادتهما المنتظرة ...

وأعاد ابو تامر السؤال: «ما رأيك في ما قال ابو نجلاء يا نصري ؟.. وانـت يا نجـلاء ما هو رأيك؟..» فلمعـت في العيون الاربع ، في عيني نجلاء وعيني نصري ، ومضة واهية من الحيرة والقلق بدون ان يتمكنا من الاجابة على سؤال ابي تامر

وتكلم ابو نصري

قال : اسمـع يا نصري ... اسمعـي يا نجـلاء . إن موقفكـما الآن دقيق جداً . انـكما تقفـان على مفـرق خطـر ، وعليكما ان تختارا الطريق الذي يجب عليكما السير فيه ... انا أقف الى جانبكما يا ولديَّ ... وأؤيد بقوة وبحزم وبعزم اي قرار تتخذانه .. انني صامد معكما الى آخر دقيقة من حياتي وعلى استعداد للتضحية بكل ما املك من اجلكما

وتولى ابو تامر الكلام بعد ابي نصري

قال: انتما يا نصري ويا نجلاء تعلمان أي حب يحفظ لكما ابو تامر ، وتعلمان اي تضحية قام بها من اجلكما ، ولا تجهلان

الجهود والمساعي التي بذلها نصير العشاق لينصركما ، ويجمع شملكما ويسعد قلبيكما . وقد خيل اليَّ انني وفقت في كل ما سعيت اليه . لقد قدمت لكما كل شيء كل ما استطيع ان اقدمه . ولم يعد لديَّ الآن ما اقدمه لكما ايها الحبيبان . . . كل ما استطيع ان أقوله لكما هو ما قاله ابو نصري : إنني معه الى جانبكما حتى الرمق الاخير . . . قررا ما تريدان ، وانا وأبو نصري سنعمد الى تنفيذ ما تقرران مهما كان الثمن غالياً

وعاد ابو نصري الى الكلام مجدداً قال : انا وابو تامر سنخرج الى الحديقة الآن ونترككما وحدكما مدة نصف ساعة لتقررا مصيركما . تداولا ، وتباحثا ، لا تنسيا ان مصير الضيعة كله بين ايديكما الآن . . . ولا تنسيا ان مصير قلبيكما ومستقبلكما ايضاً بين ايديكما . قررا الآن . . . اتخذا القرار النهائي . . . تريدان إكمال المسير في الطريق الذي سرتما فيه ، طريق الزواج ؟ . . نحن معكما . سنعقد زفافكما الآن ونفرح بكما . . . تريدان التراجع ، لتعود نجلاء الى والدها ؟ . . ايضاً نحن معكما . . . فلكما الخيار التام لاتخاذ القرار الذي تريدانه يا ولديَّ

وقال ابو تامر انتما تقرران ونحن ننفذ

وخرج ابو نصري ولحق به ابو تامر الى الحديقة .

وما ان توارى ابو نصري وابو تامر ، حتى ارتمت نجلاء على صدر حبيبها نصري واجهشت بالبكاء .

فالموقف الذي يقفانه الآن رهيب مخيف مروع

ويلهما اذا اكملا الطريق وتزوجا . . .

وألف ويل لهما اذا تراجعا . . .

ورفع نصري رأس نجلاء بيديه الأثنتين فاذا بالدموع تنساب من عينيها الى وجنتيها الى يدي نصري .

واذا بنصري ايضاً يذرف الدموع

وتلاقت العيون الاربع التي تغمرها الدموع في نظرة عميقة رحبة ، كعمق ورحابة البحار . .

ومسحت نجلاء دموعها ودموع نصري بمنديلها

وهمست متسائلة : ما هو رأيك يا نصري يا حبيبي ؟ ما هو القرار الذي يتحتم علينا اتخاذه ؟

فاجاب نصري : وهل يحتاج ذلك الى سؤال يا حبيبتي يا نجلاء ؟ . .

ـ ما هو هذا القرار يا نصري ؟ .

ـ سنتزوج . .

ـ نتزوج ؟ . .

ـ اجل نتزوج وليكن ما يكون

فصمتت نجلاء برهة لتعود الى السؤال : نتزوج ؟ . . وأهل الضيعة ؟

قال نصري : هذه هي ارادة الله . هل نستطيع نحن ان نخالف ارادة الله . . .

فهمست نجلاء : نصري ! . . ماذا سيحدث اذا اكملنا الطريق ؟ . .

قال : لتكن مشيئة الله

- الضيعة ستظل بلا مياه

فهمس نصري : وهل خيل إليك ان والدك سينفذ تهديده ؟

قالت : انا أعرف والدي حق المعرفة . . . والدي عنيد يا نصري لا يتراجع عن قرار يتخذه ولا يعود عن موقف يعلنه . اذا لم أعد الليلة الى داره فالقرية ستظل عطشى مدى الحياة

قال نصري بخوف وهلع : ماذا تعني في ما تقولين يا نجلاء ؟

قالت ، والدموع تنهمر غزيرة على وجنتيها السمراوين : أعني انه يتحتم عليَّ أن أعود الى والدي

- أهكذا تريدين انت يا نجلاء ؟.

- لست انا التي تريد يا نصري ، بل الاقدار . لو خيرت يا حبيبي لكنت اختار الحياة قربك ، وأنت عندي كل ما في الحياة من حياة يا حياتي

- نجلاء !. . أليس ثمة أمل في ابعاد كأس الفراق المر المذاق عن شفاهنا ؟. .

فهمست ، وهي تمسح دموعها بمنديلها الذي اضحى مبللاً بالدموع : نصري !. . فلنفترق ، لتروي الضيعة عطشها . اذا لم نفترق ستظل الضيعة عطشى .

فأمسك بيدها ليرفعها الى شفتيه ويشمها ، ويقبلها ، ويمرغ وجهه بها وقد خنقته الدموع ، وألهبت عينيه بنارها . . .

وحاول الكلام . . .

حاول ان يعترض على القرار الذي اتخذته نجلاء ، فعجز ،

ولم يستطع ان ينطق بسوى كلمة واحدة ، كلمة واحدة فقط : نجلاء !..

فهمست نجلاء والالم يحزّ في نفسها : ستظل تذكر نجلاء يا نصري . . أليس كذلك ؟

قال : أتسألينني يا نجلاء ، مثل هذا السؤال ، وانت تعلمين انني لن احيا بسوى ذكراك . انت حياتي وستظلين حياتي يا نجلاء

قالت : لقد كان عمر حبنا قصيراً يا نصري

قال : لا تقولي ان عمر حبنا قصير يا نجلاء . حبنا لم يكن ولن يكون قصيراً انه حب روحي . والحب الروحي خالد الى الابد . عمر لقائنا على هذه الارض فقط كان قصيراً يا نجلاء لا عمر حبنا

قالت : عمر الزهور قصير .

قال : الزهور في حديقة دارنا ستفتقدك يا حبيبتي . والوردة البيضاء التي غرستها لك في الحديقة ستشتاقك . وعندما أمر بها ستسألني : «اين هي نجلاء ؟» فبماذا عساني أجيبها ؟ ومن تراه سيعتني بها يا نجلاء بعدك ؟

فعادت نجلاء لترتمي بين ذراعي نصري وهي تجهش بالبكاء . .

وضمها نصري الى صدره بقوة وجنون ، وكأنه يريد ان يحتفظ بها

إلا ان نجلاء رفعت رأسها عن صدره ، لتمد يدها الى بنصرها وتنتزع الخاتم الذي اهداها اياه نصري .

وقدمت الخاتم الأثري الثمين الى نصري قائلة : هذا هو الخاتم يا نصري . . . انني اعيده إليك . . .

فأبى نصري ان يستعيد الخاتم

قال : الخاتم هذا لك يا نجلاء

قالت : لا يا نصري . . . والدتك ، رحمها الله ، قالت لك : «هذا الخاتم لعروسك يا نصري» . .

قال : انت عروسي وستظلين عروسي يا نجلاء . احتفظي بهذا الخاتم ، وكلما شاهدته في بنصرك اذكري نصري . .

إلا ان نجلاء ابت ان تحتفظ بالخاتم الثمين

قالت : لا . لا يا نصري لن احتفظ بخاتم ليس لي ، والدتك رحم الله نفسها الطاهرة ، خصت هذا الخاتم بعروسك . وانا لن أكون بعد اليوم عروسك . خذ الخاتم يا حبيبي . خذه وقدمه لعروسك التي ستختارها يوماً

فهتف : نجلاء !. . هل يخيل اليك ان نصري سيختار فتاة غيرك لتحتل قلبه بعدك ؟. هذا الخاتم لن يحتل بنصراً إلا بنصرك

فأصرت على اعادة الخاتم اليه

قالت : لا . لا . لا لن احتفظ بهذا الخاتم . اني اعيده اليك ، ولك ان تحتفظ به انت اذا شئت . . ؟ هات يدك . .

ومد يده اليها

فقالت : ابسط كفك . .

وبسط كفه . .

فوضعت الخاتم في كفه واطبقت اصابعه عليه . . .

وحاولت ان تمضي في الكلام فخنقتها العبرات . .

وساد الصمت برهة بينهما . .

واذا بنجلاء تبتعد عن نصري وتهم بالمسير . .

فوثب اليها ، وقد ايقن انها عائدة الى والدها ، وفتح لها ذراعيه . . .

فارتمت بين ذراعيه . .

وتعانقا طويلاً وهما يبكيان . .

لقد أيقنا ان لا بدَّ لهما من الفراق ،

وان الاقدار حكمت عليهما بالاعدام . .

بالاعدام ؟ . .

لا . . . بل هي حكمت عليهما بالفراق

والفراق بين الحبيبين الهائمين أشد هولاً وأبعد ألماً من الاعدام . . .

وطال عناقهما . .

وتدحرجت الدموع من عيونهما

فامتزجت دموع نصري بدموع نجلاء . . .
واخيراً وبعد عناق طويل ، مخضب بالدموع ، انسلخت نجلاء عن نصري
وسارت نحو الباب . .
فلحق بها نصري هامساً : نجلاء ! . الى اين يا حبيبتي ؟
فالتفتت اليه هامسة من خلال دموعها : يا حبيبي ! . .
فتساءَل بألـم وأسى ودمـوع : ألا تحبينني يا نجـلاء ؟ فكيف يهون عليك فراقي ؟
فتمتمت : لقد احببتك ، واحبك ، وسأحبـك العمـر كلـه . سأحبـك حتـى الموت . . حتـى الموت ؟ . . لا . لاسأحبك حتى بعد الموت يا حبيبي . .
وسارت . .
وشاهدها نصري تقترب من الباب فهلع
وهتف بها : نجلاء ! . الى اين تسيرين ؟ . لماذا تبتعدين عني يا حبيبتي ؟
فالتفتت اليه
ورمقته بنظرة من خلال دموعها الغزيرة فيها كل معانـي الالم والشوق والعذاب والحنين
بدون ان تستطيع النطق بحرف
فهمس نصري وهو يشاهدها تحاول الخروج من الباب : نجـلاء ! . بمـاذا أسـأت اليك ، لتعذبيني هذا العـذاب الاليم ؟ . .

ووقعت كلماته في اذنيها فسحقتها ، واذابت قلبها

وهمست : يا حبيبي !..

وخرجت من الدار ، وهي في حال مؤلمة مؤسفة رهيبة

كانت نجلاء وهي تخرج من دار ابي نصري كأنها نعجة بيضاء تسير الى الجزار ، وهي تعلم ان لا عودة لها الى تلك الدار ..

ودلفت الى الحديقة .

ومرت بالوردة البيضاء التي غرسها نصري لتكون لها

فهمست من خلال دموعها : ايتها الوردة البيضاء اذكريني ..

وكان ابو نصري وابو تامر ما زالا في الحديقة يتمشيان منتظرين صدور القرار

قرار نصري ونجلاء ..

وشاهدا نجلاء تسير وهي في طريقها الى دار والدها

فهمس ابو نصري : لقد صدر القرار ، قرار العاشقين يا ابا تامر ...

فتمتم نصير العشاق : يا له من قرار رهيب يا ابا نصري .. لقد حكم نصري ونجلاء على قلبيهما بالاعدام ، فليكن الله في عونهما ، وليساعدهما على احتمال هذا العذاب الرهيب المخيف العظيم ..

قال ابو تامر هذا والتفت الى ابي نصري هامساً : ادخل

الى الدار وساعد ابنك على احتمال هذا المصاب الأليم يا ابا نصري . .

وفيما ابو نصري يدخل الدار كان ابو تامر يسرع الى نجلاء فيمسك بيدها هاتفاً : الى اين يا نجلاء ؟

فالتفتت نجلاء اليه . . وهمست ، والدموع تخنقها : ستشرب الضيعة وسترتوي ارضها يا ابا تامر . .

واجهشت بالبكاء . . فبكى نصير العشاق

وهمس : لم تكن ولن تكون هناك تضحية في هذه القرية اعظم من تضحيتكما يا نجلاء . . تعالي . تعالي . .

قالت : انا سأعود الى والدي يا ابا تامر . .

قال : لا . . لن تعودي الى والدك وحدك ، انا سأرافقك اليه يا نجلاء . . انا مهدت لك سبيل الهرب من دار والدك وانا سأعيدك اليها . .

وسارا معاً في الطريق البعيد بين الاشجار الخضراء الوارفة الظلال الى دار اسعد شهدان . .

وفي هذه الاثناء كان فارس المير يدخل الى داره ليجد ابنه جالساً على المقعد الوثير والدموع تنهمر من عينيه ،

كان نصري جالساً وقد ألقى برأسه بين يديه وهو في حال مؤلمة تثير الشفقة

كانت يداه واهيتين

وشفتاه ترتجفان ،

والدموع المترقرقة في عينيه تتدحرج على خديه ، حبة وراء حبة كأنها قطرات الندى فوق اكمام الزهور

فتقدم ابو نصري من ابنه هاتفاً : نصري !..

فرفع نصري رأسه ، الى والده هامساً : ماذا تريد يا والدي ؟.

فوجم ابو نصري ، وهو يشاهد ابنه في تلك الحال المؤلمة

قال : على الرجال ان يكونوا أكبر من همومهم يا ابني ..

فتمتم نصري بألم وأسى : الهموم تسحق الرجال يا والدي

قال ابو نصري : الرجال لا يبكون يا نصري ،

قال : لكن القلوب تبكي . والدموع وحدها تستطيع ان تشعل النار في القلوب وتستطيع ايضاً ان تطفئها

فجلس فارس المير قرب ابنه

وتناول علبة التبغ من جيبه فقدم لفافة لنصري ، وألقى بلفافة بين شفتيه ، واشعل اللفافتين ..

ونفث نصري دخان اللفافة في الفضاء

وراح يراقب خيوط الدخان المتصاعدة لتنعقد أجنحة بيضاء في ارجاء الغرفة

وكان طيف نجلاء يتراقص امام عينيه في اجنحة الدخان دامع العينين حيناً وحيناً مبتسماً هانئاً

وعاد ابو نصري الى الكلام بعد صمت قصير

قال : يا ابني ، يا نصري انا أقدر موقفك ، ولا اجهل اي عمل عظيم أقدمت عليه مع نجلاء ابنة ابي نجلاء . . . ان التضحية التي اقدمتما عليها كبيرة وعظيمة. وابناء القرية كلهم سيقدرون لكما هذه التضحية الكبرى . وستكون تضحيتكما هذه جميلاً ثقيلاً جداً في اعناق ابناء هذه القرية . لن ينسى ابناء قريتنا ما أقدم عليه نصري ابن ابي نصري ، ونجلاء ابنة ابي نجلاء من تضحية جسيمة لاسعادهم ، الا ان هذه التضحية تحتاج يا ابني الى تضحيات عديدة . .

فقطع نصري على والده سبيل الكلام. قال بألم واضطراب : ماذا تريدون منا بعد ؟. . لقد اعطيناكم كل ما عندنا وكل ما نستطيع وما لا نستطيع ان نعطي . ليس لدينا شيء الآن نعطيكم اياه بعد ان اعطيناكم كل ما لدينا

فنفث فارس المير دخان اللفافة في الفضاء

وقال : الحياة صعبة يا ابني . وهي سلسلة طويلة من التضحيات . ما ان نقدم على تضحية حتى نجد أنفسنا امام تضحية جديدة تطلب منا . فكأن الانسان لم يأتِ الى هذا العالم الفاني الا ليقوم بالتضحيات الجسام

فصمت نصري ،

ولم ينبس بحرف .

وعاد الوالد الى الكلام ليقول : نصري !. . فكرة الزواج التي راودتك عندما اختطفت نجلاء ابنة ابي نجلاء يجب ان تظل في ذهنك . ان يكن الزواج من نجلاء بات مستحيلاً

امامك . فهناك فتاة اخرى تستطيع ان تحتل من قلبك مقام نجلاء

فوجم نصري . وتحول وجومه الى دهشة واستغراب وهو يسمع والده يقول : الفتاة التي ستحتل مكان نجلاء في قلبك ليست ببعيدة عنك . . ستتزوج منها يا نصري يا ابني ، فيصبح لهذه الدار سيدة بعد ان خسرت سيدتها منذ سنوات بوفاة والدتك رحمها الله

فهز نصري رأسه بأسف وألم ليقول : الفتاة التي تستطيع ان تحل من قلبي مكان نجلاء الحلوة لم تولد بعد وهي لن تولد ابداً يا والدي . .

فعاد ابو نصري الى نفث دخان اللفافة في الفضاء ليقول ، بعد تفكير قصير : ابنة خالتك سميرة ما زالت تأمل في ان تكون عروسك يا نصري

فهتف نصري : لا . لا . لا ، يا والدي لا ، لن أتزوج لا من سميرة ولا من غير سميرة

فتمتم فارس المير : ألم أقل لك يا نصري ان الحياة ملأى بالتضحيات . ما ان نقدم على تضحية حتى تلوح لنا تضحية جديدة

فعاد نصري الى التمتمة بأصرار وبحزم : لا . . لا . . لن استطيع ان أقوم بتقديم تضحية جديدة يا والدي . لا . لا . لا . انا لن اتزوج من سميرة لا . .

قال ابو نصري : يجب ان تتزوج يا ابني من ابنة

خالتك . سميرة ستساعدك على النسيان وتعالـج جراح قلبـك وروحك لا تقضِ على أملي في هذه الحياة يا نصري ، وما أملي الوحيد إلا ان أرى احفادي يمرحون في هذه الدار ، وأراك أنت زوجاً سعيداً بين زوجتك واولادك . .

فهتف نصري بهلع وخوف وألم واضطراب : كفى . . كفى يا والدي . .

قال نصري هذا ، ونظر ، عبر النافذة الى الفضاء الواسع الرحيب هامساً : فليحرم عليَّ الزواج بعدك يا نجلاء»

الفصل التاسع

عندما وصلت أم عساف من سرد قصة الدموع التـي لا تجف كانت «كنّاتها» قد بلغن من التأثر حداً بعيداً

فقد عصف بهن الاسف الشديد والاسى البعيد للكارثـة الرهيبة التي نزلت بالعاشقين المتيمـن نصري ابـن ابـي نصري ونجلاء الحلوة .

وتوقفت ام عساف عن الكلام ،

ونظـرت الى «كنّاتهـا» فاذا بالدمـوع تغمـر عيونهـن ، وبالحزن العميق يطل عبر قطرات الدموع من العيون

فهالها ان تثير حزن حبيباتها في سرد تلك القصة

قالت مخاطبـة «الكنّـات» : يكفـي اليوم ما سمعتـن من مأساة نصري ونجلاء يا حبيباتي . . وغداً سأكمل لكن سرد ما حل بنجلاء الحلوة وبنصري ابن ابي نصري

فارتفعت الايدي بالمناديل البيضاء تمسح الدموع المترقرقة في العيون

وتعالى همس الصبايا : لا يا أم عساف لا . . اكملي لنا القصة الآن . . لن نعود الى منازلنـا ،ولن ندعك تعـودين الى

منزلك إلا وقد وقفن على كل ما جرى لنصري ولحبيبته نجلاء الحلوة

وأرغمنها على المضي في الكلام

فقالت أم عساف : «ستكن» أم عساف لن «تكسر خاطركن» ولن ترد لكن طلباً . تردن ان اكمل لكن سرد تفاصيل هذه المأساة المؤلمة ؟ . . لا بأس سأنزل عند طلبكن .

***

استوت أم عساف ، في جلستها على المقعد الحجري في ساحة «عين الحلوة» لتكمل «لكنّاتها» سرد قصة عين الحلوة

قالت: «عندما خرجت نجلاء ابنة ابي نجلاء من دار ابي نصري ، وسارت في الطريق عائدة الى دار والدها مع نصير العشاق ابي تامر كانت واهبة القوى ، مضطربة البال قلقة الخاطر

والدموع الغزيرة تنهمر من عينيها النجلاوين على خديها وحاول نصير العشاق ان يوآسيها ويخفف عنها ألم الفراق المرير

قال : صبراً يا نجلاء ، صبراً أيتها الغزالة الجريح . . الله سبحانه وتعالى سينظر اليك والى نصري بعين رحمته ، فيكفكف دموعكما ، ويمسح شفاهكما بالبسمة، وقلبيكما بالسعادة والهناء . . صبراً يا نجلاء صبراً . . وما خسر يوماً من صبر . وقد قيل : الصبر مفتاح الفرج . .

« . . . فارتمت نجلاء على صدر نصري وهي تجهش بالبكاء ».

ولم تنبس نجلاء الحلوة بحرف
بل هي مضت في سيرها الحثيث بصمت ، وهي تسكب الدموع ، وتفكر بمصير قلبها الهائم المعذب الولوع ،
وادركت نجلاء ابنة ابي نجلاء ان هذا القلب المعذب الخافق بين ضلوعها على ألم وشوق وحنين ، لن يستطيع المضي في النبض والخفقان
وانه سينوء يوماً ويكبو ويتوقف عن النبض تحت ثقل العذاب والآلام والاوجاع والهموم
وعاد ابو تامر الى الكلام مجدداً ليقول : ان نصير العشاق سيمضي في محاولة انقاذك يا نجلاء وانقاذ نصري ، وسيعيدك مجدداً الى حبيبك ابن ابي نصري . ان لم يكن اليوم فسيكون ذلك غداً وان لم يكن غداً فسيكون بعد غد ، وان لم يكن هذا الاسبوع فسيكون الاسبوع القادم ، وان لم يكن هذا الشهر فسيكون الشهر الذي يليه . انا لن اتراجع ، ولن أعود عن قرار اتخذته ، ولن أعرف الى اليأس سبيلاً . لقد عزم نصير العشاق على نصرتكما وسينصركما يا نجلاء ابنة ابي نجلاء . .
فهمست نجلاء وهي تسير بوهن وعياء : شكراً لك يا ابا تامر على كل ما ابديت من جهد وتعب وعناء لتوفر لي ولنصري السعادة والهناء. لقد قمت بأكثر مما تستطيع يا ابا تامر. وأردت اسعادنا ، إلا ان الاقدار لم تكن تريد ما أردته لنا وما أردناه نحن . . . ومن تراه يستطيع ان يعاند الأقدار ويقف امام رياحها العاصفة الهوجاء ؟ هذه هي إرادة الاقدار التي هي ارادة

الله سبحانه وتعالى ، فلتكن مباركة تلك الارادة «ولتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الارض يا الله . . .»

قال ابو تامر : الله سبحانه وتعالى ، لا يريد لنا الا الخير . وعلينا نحن البشر ان نسعى للحصول على ذلك الخير الذي يريده لنا الله عز وجل . .

وعادت نجلاء الحلوة الى الصمت العميق السحيق الشاسع الرحيب تنغمس فيه ، وهي تسير قرب ابي تامر في الطريق الى ابيها . .

وعاد ابو تامر الى الكلام

قال : سأعيدك يوماً الى نصري يا نجلاء الحلوة

فتمتمت : لا . .

وتساءَل ابو تامر بدهشة واستغراب : لا ؟ . . تقولين لا . . .

ـ اجل : لا ، يا ابا تامر

ـ الا تريدين ان تعودي الى نصري يا نجلاء ؟

فاجابت : أريد ؟ . . . واتمنى وأبذل حياتي ثمناً لعودتي الى نصري . ولكنني لن اعود . . لن اعود يا ابا تامر . لن اعود الى نصري

فتساءَل نصير العشاق بحيرة واستغراب : لماذا يا نجلاء ؟ . .

قالت : يا ابا تامر ! انا اخترت طريقي الآن وانتهى الأمر . . لقد اتخذنا ، انا ونصري القرار بالفراق وبالابتعاد عن

بعضنا لنوفر للضيعة المياه . اذا نقضنا القرار الذي اتخذناه وعدنا ستظل الضيعة بلا مياه مدى الحياة

قال نصير العشاق : ابو تامر سيفكر . وسيصل الى حل لهذه المعضلة المعقدة يا نجلاء . المهم الآن ان تعملي جاهدة على التخفيف من الألم الذي يعصف بك . . . هذه الدموع التي تنهمر بغزارة من عينيك الحلوتين ستذيب قلبك وتقضي على شبابك الغض النضير ،

وكانا قد اقتربا من منزل اسعد شهدان

فتوقفت نجلاء عن المسير

لتقول : ابا تامر ! . . شكراً لك . على كل ما أبديت وضحيت . ارجو الآن ان تعود ادراجك . فانا سأدخل وحدي الى المنزل

فدهش نصير العشاق .

وتمتم : لا يا نجلاء ، لا . . انا ما رافقتك من منزل ابي نصري لأعود واتركك وحدك تجابهين غضب ابيك وثورته العاصفة . انني لأصارحك القول يا نجلاء بأنني خائف عليك من غضب والدك ، قد يسيء اليك ، قد يشتعل غضباً ، مجدداً وهو يراك تعودين وتقفين امامه بعد ان هربت من داره . وانا لم انسَ ما شاهدت منه فيك عندما اخبره جبور ابن أم جبور انك كنت تقفين مع نصري ابن ابي نصري في الحقل تتحدثان «بكلام حلو وببكي . . .» كما قال جبور ، ولا استطيع ان انسى كيف انهال عليك والدك بالضرب والصفع . .

فهمست نجلاء وهي تمسح دموعها بمنديلها الابيض : لا يا ابا تامر . . والدي لن يثور ولن يغضب وهو يراني امامه ، وقد عدت اليه «بالسلامة» انا اعرف والدي تمام المعرفة . . . صحيح انه سريع الغضب ، ولكنه سريع الرضى طيب القلب ، ذو عاطفة عميقة حساسة . اذا شاهدني امامه سيرحب بي ، ويضمني الى صدره ويطبع قبلة ابوية على جبيني وقد يبكي ايضاً

فهز ابو تامر رأسه مبتسماً ابتسامة هازئة

فهو لا يؤمن بما تقول نجلاء الحلوة

وهل يمكن لأسعد شهدان ذلك الذئب الثائر الغاضب الملتهب النظرات اللاسع الكلمات ان يتحول فجأة الى حمل وديع ؟

قال ابو تامر : لا يا نجلاء لن يطمئن قلبي الى سلامتك ، الا وقد دخلت معك الى المنزل وتأكدت من صفو خاطر والدك واعلان رضاه عنك

قالت نجلاء : لك ان تريح قلبك الآن يا ابا تامر ، وان تطمئن . . . إنني لأوكد لك ان والدي سيستقبلني بالترحيب الشديد ، ولن يسيء إليَّ . .

وأبت عليه ان يستمر في مرافقتها الى داخل المنزل

وودعته هامسة : انا عاجزة عن ايفاء جميلك يا ابا نصري . لقد غمرتني بعطفك وبحنانك وبكل ما قدمت لي ولنصري من الخدمات . ألف شكر لك .

فتمتم ابو تامر : ليس لك ان تشكريني يا نجلاء على واجب قمت به . إذ كيف أكون نصير العشاق اذا لم أكن دائماً الى جانبهم ، أتفانى في خدمتهم وأعمل جاهداً على مساعدتهم ونصرتهم

ـ الى اللقاء يا ابا تامر . . الى اللقاء

ـ الى اللقاء يا نجلاء الحلوة ايتها الزهرة العطرة الفواحة العبير التي ملأ وسيملأ شذاها ابداً ارجاء هذه القرية الباسمة الهانئة السمحاء .

وسارت نجلاء الحلوة الى المنزل . .
وتظاهر نصير العشاق بأنه عائد ادراجه .

فسار خطوات قليلة ليكمن وراء الاشجار المنتصبة الى جانبي الطريق كأنها جنود تحرس كل من يسلك ذلك الطريق في الذهاب والاياب . .

وراح يراقب نجلاء وهي تدخل الى المنزل بخطوات واهية وكأنها تسير الى ساحة الاعدام . .

وقد خشي ان ينقض والدها عليها وهي تدخل الى منزله ، ويخمد انفاسها . . .

وكان ابو تامر يراقب المنزل مرهفاً اذنيه لالتقاط اي كلمة أو أي صرخة ، أو أي استنجاد ليثب الى منزل ابي نجلاء وينقذ

نجلاء الحلوة من براثن والدها الثائر الناقم الغضوب

***

كان الليل قد ارخى سدله على القرية الحالمة ، عندما دخلت نجلاء الى المنزل ،

وكان نور المصباح الكبير يلقي انواره الساطعة على ارجاء منزل اسعد شهدان

ويتدفق الى خارج المنزل عبر النوافذ

وأقام ابو تامر يرقب استنجاد نجلاء ليسرع الى نجدتها .

إلاّ ان انتظاره طال من دون جدوى .

فليس ثمة داخل منزل ابي نجلاء ما يبعث الى القلق . .

وبالرغم من ذلك فان نصير العشاق ابى ان يخرج من مكمنه ويعود ادراجه . . .

وبدأت الافكار السوداء تقلق ابا تامر وهو جالس على صخرة صغيرة متواضعة في مكمنه تحت اغصان الاشجار الخضراء :

ماذا يجري الآن داخل منزل اسعد شهدان ؟

وماذا حل بنجلاء الحلوة ؟ . .

أتراها لا تزال على قيد الحياة ؟ أم ترى أقدم والدها على قتلها ؟ . .

قتلها ؟ . .

هل يمكن هذا ؟

هل يمكن ان يقتل والد ابنته ؟.

يمكن . اذا كان بلا قلب مثل اسعد شهدان . . .

ولكن . .

ولكن ليس لدى ابي نجلا سلاح حربي ، ولا حتى سلاح صيد ، فالبندقية الوحيدة التي يملكها اسعد شهدان ليست في داره ، وقد استولى عليها نصير العشاق وسلمها الى المختار

فبماذا يستطيع ابو نجلاء ان يصرع ابنته ؟. .

وكيف ؟.

واطمأن ابو تامر بعض الاطمئنان وقد وصل بتفكيره الى هذا الحد .

وايقن ان نجلاء لا تزال حية وان والدها لم يفتك بها . . .

وبدأ يتأهب للتسلل من بين الاشجار والعودة الى داره ، إلا ان الافكار السوداء عادت الى مخر عباب رأسه :

الا يستطيع ابو نجلاء ان يفتك بابنته اذا لم يكن لديه سلاح حرب أو سلاح صيد ؟.

واجاب نفسه على هذا السؤال :

اجل يستطيع . . .

فاذا لم يكن لديه «جفت» او مسدس ، أليس لديه خناجر او سكاكين ؟. .

أفلا يستطيع ان يذبحها من الوريد الى الوريد ، ويشفي غليل انتقامه منها بدمها ؟. .

ثم ألا يستطيع ان يطبق على عنقها بيديه القويتين فيخنقها ويخمد انفاسها بدون ان تستطيع هذه البائسة المسكينة الاستنجاد ، ومن دون ان تطلق صرخة واحدة ؟ . .

يستطيع اسعد شهدان ذلك بدون اي عناء . .

وذعر ابو تامر ، وقد وصل بتفكيره الى هذا الحد

ووقف مرعباً هامساً في سره : يا لك من ساذج يا ابا تامر . .

تقيم هنا مترقباً الاستماع الى صراخ نجلاء وعويلها واستنجادها والفتاة اصبحت جثة هامدة ؟ .

ووثب ابو تامر من مكمنه على ذعر وخوف وهلع

وأسرع كالعاصفة العاتية الهوجاء الى منزل اسعد شهدان

ووصل الى امام المنزل فانكب على الباب يطرقه بكلتي يديه كالمجنون

ثوان قليلة وفتح الباب

وأطل منه اسعد شهدان . . .

واقتحم نصير العشاق الباب هاتفاً : اين نجلاء ؟ . .

ودهش ابو نجلاء وهو يشاهد ابا تامر يقتحم منزله ، وهو تائه النظرات مضطرب ، قلق ، شارد الذهن . .

وتمتم ابو نجلاء : اهلاً وسهلاً بابي تامر . . تفضل . . تفضل بالدخول

وابو تامر لم يكن بحاجة الى الدعوة ليدخل

كان قد دخل واصبح في صحن الدار وهو يتساءَل : اين نجلاء ؟ . . اين نجلاء ؟

واجابه اسعد شهدان : نجلاء في غرفتها ؟

ـ هل هي بخير ؟ . .

ـ اجل يا ابا تامر . هي بألف خير ، وقد وصلت الآن ، ودخلت الى غرفتها لتستريح

قال اسعد شهدان هذا واقترب من ابي تامر ليهمس في اذنه : لقد عادت نجلاء متعبة منهكة القوى ، ودخلت الى غرفتها . . تفضَل يا ابا تامر بالجلوس . . . سنلعب دق ورق

وعقدت الدهشة لسان ابي تامر :

هل هذا هو ابو نجلاء ؟

هل يمكن هذا ؟ . . مستحيل . .

اسعد شهدان هنا في داره بعد عودة ابنته نجلاء هو غيره اسعد شهدان في دار فارس المير منذ قليل .

ابو نجلاء هناك في دار ابي نصري ذئب مفترس ، جاحظ العينين . مقطب الحاجبين ، يرتجف غضباً وينفض حقداً . .

وهو هنا في داره هادىء ساكن منبسط الاسارير

هل يمكن هذا ؟

مستحيل ، مستحيل . . مستحيل . .

وجلس ابو تامر وهو مستغرق في تفكيره يكاد لا يصدق ما ترى عيناه ؟ . .

كيف تحول هذا الرجل في وقت قصير جداً من ذئب الى حمل !..

لقد قيل : «ان ، سريع الغضب هو سريع الرضي ..»

وابو نجلاء سريع الغضب ، وهو كما يبدو سريع الرضى ،

هذا فضلاً عن ان الغضب الشديد يحوّل الانسان من عاقل الى مجنون

وما الغضب سوى فترة جنون مؤقتة ، يمر فيها الانسان الغاضب ،

حتى اذا انقشعت غمامة الغضب عاد الى عقله واصبح انساناً عاقلاً هادئاً رضياً .

وهمس ابو تامر وقد وصل بتفكيره الى هذا الحد : لقد انقشعت الغمامة السوداء

وعاد ابو نجلاء الى عقله

أو بالاحرى لقد عاد عقله الى رأسه

وقد صدقت نجلاء عندما قالت منذ قليل : «ان والدي سريع الغضب . ولكنه سريع الرضى طيب القلب ، ذو عاطفة عميقة حساسة ... اذا شاهدني امامه سيرحب بي . ويضمني الى صدره ويطبع قبلة ابوية على جبيني ... وقد يبكي ..»

وحمل ابو نجلاء «الورق»

واقبل ليجلس قرب ابي تامر قائلاً : تفضل .. هذا هو الورق ... «اخلطه ...»

وحاول ابو تامر الاعتذار عن اللعب .

فهو لم يدخل الى بيت اسعد شهدان ليلعب ويلهو بالورق ،

بل دخل ليطمئن الى سلامة نجلاء

وقد اطمأن . .

فليعد الى منزله ليستريح بعد عناء نهار طويل حافل بالمتاعب والمشكلات . . .

ولكن . . .

وعادت كلمة «ولكن» تتردد في خاطر ابي تامر :

ولكن . . هل اطمأن فعلاً الى سلامة نجلاء ؟ . .

وهل هي في غرفتها كما قال والدها ام لا ؟ . .

واذا كانت في غرفتها هل هي بخير ؟ . .

من يدري ؟ . .

وعزم نصير العشاق على ان لا يخرج من منزل اسعد شهدان ، الا وقد شاهد نجلاء واطمأن الى سلامتها .

وعاد ابو نجلاء ليتمتم : ما بك يا ابا تامر ؟ . . تفضل «اخلط» الورق .

قال ابو تامر : «حاضر . . . أمرك مطاع يا ابا نجلاء . .»

و«خلط» ابو تامر الورق . .

وبدأ اللعب . .

وانصرف نصير العشاق الى التفكير البعيد :

كيف يستطيع ان يشاهد نجلاء ؟.
هل يدخل الى غرفتها ؟..
وبماذا تراه يتذرع للدخول الى غرفة نجلاء ؟..
هل يدعوها للخروج من غرفتها ؟..
وكيف سيبرر دعوته لها بالخروج من الغرفة ..
واذا بأبي نجلاء يسجل انتصاراً في اللعب على ابي تامر ويهتف : «باصرة .. هذه باصرة .. بدنا رجال تلعب امامنا وليس اولاداً مثلك يا ابا تامر ..»
ولمع الفرح الشديد في عيني اسعد شهدان
وشعت الابتسامة الزاهرة الزاهية على شفتيه ..
وفتل شاربيه متباهياً بالانتصار المبين ...
ومخرت عباب تفكير ابي تامر فكرة اطمأن لها
سيستطيع ان يرى نجلاء وان يخرج بها من غرفتها ..
ووالدها نفسه ، هو الذي سيدعوها الى الخروج ..
والتفت نصير العشاق الى اسعد شهدان ليقول : لقد سجلت علي انتصاراً عظيماً يا ابا نجلاء ... عظيم .. ولكن الا تتكرم علينا بنفجان قهوة ؟
فضحك اسعد شهدان
وقال : طبعاً .. أنت الآن بحاجة الى فنجاة قهوة مرة تتذوقها فتخفف عنك هول المصاب ..
قال اسعد شهدان هذا ونادى بأعلى صوته : نجلاء !.. يا نجلاء !..

وسمع ابو تامر صوت نجلاء ، يتعالى من غرفتها : نعم يا والدي . .

وخرجت نجلاء من الغرفة . .

وشاهدت ابا تامر يلاعب والدها بالورق فابتسمت . .

وبدت ابتسامتها واهية شاحبة هزيلة .

لقد بدت تلك الابتسامة كوميض اصفر هزيل بارد . .

انه كوميض شمس كانون ، وقد ظهرت في الفضاء من خلال انفراج الغمام المتلبدة السوداء

كانت نجلاء وهي تبتسم كأنها تبكي . .

كانت شاحبة الوجه ، صفراء اللون ، تائهة النظرات ، دامعة العين ، واهية القوى . .

ووقفت امام والدها وقفة العبد امام السيد

وهمست بشفتين باردتين مرتجفتين : بماذا يأمر والدي ؟ . .

قال ابو نجلاء بلطف ووداعة : هل تستطيعين يا ابنتي ان تهيئي لنا القهوة ؟ . .

وبدون ان تجيب نجلاء دخلت الى المطبخ ، لتعود بعد قليل وهي تحمل فنجاني قهوة . .

ووضعت الفنجانين امام والدها وامام ابي تامر وارتدت عائدة الى غرفتها وهي تتمتم : تصبحان على خير . . .

وعندئذ . . .

عندئذٍ فقط اطمأن خاطر ابي تامر ،

« . . . كانت زهرة قرب نجلاء تواثيها وتهوّن المصاب عليها ».

وارتاح الى سلامة نجلاء الحلوة . . .
وتناول ابو تامر ، وابو نجلاء القهوة ، وهما يلعبان .
وسجل اسعد شهدان انتصارات عدة في اللعب
فارتاح كل الارتياح
واطمأن ، وشرح خاطره . .

واذا بأبي تامر وقد انتهى من احتساء القهوة يلقي بالورق من يده متظاهراً بالغضب

ووقف متمتماً : «حظي سيء الليلة يا ابا نجلاء . فانا لم استطع ان اتفوق عليك . . الى اللقاء . .

وهم بالمسير ، إلاّ ان ابا نجلاء امسك به قائلاً : لا . . لن تذهب الآن سنكمل اللعب
فأبى ابو تامر ان ينزل عند طلب اسعد شهدان
قال : لقد بدأ النعاس يداعب اجفاني . . يجب ان اعود الى منزلي
فهتف ابو نجلاء : اتنام في هذه الساعة المبكرة ؟ الليل ما زال في اوله . اجلس اجلس لنكمل اللعب
وابى ابو تامر ان يجلس
قال : لا . . سأذهب الآن يا ابا نجلاء . وغداً ان شاء الله سأعود اليك وآخذ بثأري منك . .
وودعه : الى اللقاء يا ابا نجلاء ، الى اللقاء مساء غد ان شاء الله

ووقف ابو نجلاء قائلاً : الى اللقا يا ابا تامر . .
ورافقه الى الباب
وتمتم اسعد شهدان مازحاً وهو يسير قرب ابي تامر نحو الباب : اطمئن يا ابا تامر فانا رجل كتوم . لن اخبر احداً بانني غلبتك الليلة . تستطيع ان تنام وانت مرتاح البال . . .
وضحك ابو تامر
وقال : لا بأس ان غلبتني مرة ، وقد غلبتك الف مرة وتصافحا .
الى اللقاء يا ابا نجلاء . . .
- الى اللقاء يا ابا تامر . . .
وسار ابو تامر . . .
وقبل ان يبتعد قليلاً عن المنزل سمع صوت اسعد شهدان يناديه : ابا تامر ! . . . يا ابا تامر !

فرَدّ عليه : ما بك يا ابا نجلاء
- تعالَ . . . عد . .
- ما بك ماذا جرى يا ابا نجلاء ؟
- عد . . . عد .
وعاد ابو تامر متسائلاً : ما بك ؟ ماذا تريد ؟ .
قال اسعد شهدان : أبلغ المختار ورئيس البلدية والوجهاء موافقتي النهائية على التنقيب عن المياه في أرضي . يستطيعون ان يبدأوا النبش والحفر ساعة يريدون

فهمس ابو تامر : حاضر .. سأبلغهم الأمر يا ابا نجلاء . . .

وعاد اسعد شهدان ادراجه الى منزله

وسار ابو تامر متابعاً طريقه

وهزّ نصير العشاق رأسه بأسى

وهمس في سره ، وهو يسير الى منزله : ليتك لم توافق يا اسعد شهدان على الحفر في أرضك للوصول الى المياه ، ولم تهدم سعادة حبيبين ولا دمرت حياتهما ولا أحرقت قلبيهما

ومضى ابو تامر في سبيله وهو يفكر بهذين العاشقين المعذبين المتألمين ، بنجلاء الحلوة ، وبنصري ابن ابي نصري :

إن نجلاء في سريرها الآن تبكي بدموع غزيرة حمراء .

ونصري ؟ . .

نصري ابن ابي نصري اين هو الآن ؟ وماذا تراه فاعلاً وقد نأت عنه حبيبة القلب والروح ؟ .

من المؤكد ان هذا العاشق الولهان يتعذب الآن ويبكي ويتألم

وصح ما توقعه ابو تامر نصير العشاق

فقد كان نصري يتعذب ويبكي ويتألم

كان قد دخل الى غرفته والألم الروحي العميق يعصف بحنايا فؤاده

واندس في سريره محاولاً الاستسلام لسلطان الكرى

إلاّ ان سلطان الكرس نأى عن عينيه
فلم يعرف لذة النوم ،
وراح يتقلب في فراشه الوثير ، وكأنه يتقلب على شوك وإبر . .
ولاحت له حبيبته نجلاء في الخيال تبكي وتتألم .
وشاهدها بعين الخيال امامه تنظر اليه من خلال دموعه الغزيرة
وتهمس : «نصري ! يا حبيبي ؟ . . . لقد احببتك ، واحبك ، وسأحبك حتى بعد الموت . . بعد الموت»
وكانت نجلاء تلوح لعينيه كأنه في حلم رهيب .
كأنه في حلم ؟
يحلم وعيناه مفتوحتان ؟ .

إنه حلم اليقظة . وهذه الاحلام لا يعرفها الا العشاق والفنانون والشعراء الموهوبون . ذوو الحس المرهف والشعور العميق . . .

وهمس نصري ، وهو يشاهد نجلاء امامه بعين الخيال : نجلاء يا حبيبتي . اذا كان الله قد حرمنا من اللقاء على هذه الارض ، فهو بدون شك لن يحرمنا من اللقاء الهانىء السعيد في العالم الآخر ، حيث لا أرض ولا ماء ، ولا ذهب ، ولا مال ، ولا حقد ، ولا طمع ولا جشع ولا بغض . . . سيجمعنا الله سبحانه وتعالى ، الذي فرق بيننا على الارض ، في السماء . . .

واذا بنجلاء تلوح له بعين الخيال دامعة العينين وهي تبتسم

كانت الدمعة في عينيها والبسمة على شفتيها . .

وسألها نصري في حلم اليقظة : نجلاء ! ما بك يا حبيبتي ؟

الا ان نجلاء لم تجب

بل هي اختفت فجأة بدون ان يعلم نصري ، لا كيف اختفت ولا الى اين ذهبت

فأخذ يناديها : نجلاء !.. نجلاء !.. نجلاء !..

الا انه لم يلقَ جواباً . .

ووثب من السرير هامساً بخوف وهلع : الى اين ذهبت نجلاء ؟

ولماذا لم ترد على ندائي . .

وارتدى ثيابه

وخرج من المنزل

وسار ، وهو لا يعلم الى اين يسير ، ولا الى اين يقصد

واذا به ، بعد مسير طويل يجد نفسه تحت اغصان الشجرة الوارفة الظلال

عند الصخرة المتواضعة ،

حيث كان يلتقي حبيبته نجلاء

وكان القمر يسبح في الفضاء الواسع الفسيح الارجاء

ساكباً ذوبه الفضي الجميل على تلك الربى والوهاد
والنجوم تلمع حوله
وكأنها قطعان من النعاج الناصعة البياض
والسكون يغمر الطبيعة الهاجعة في حضن الليل ، بوشاح فضفاض من الرهبة والروعة والخشوع

وراح نصري يطوف بتلك الانحاء التي كان يؤمها مع حبيبته نجلاء يوم كانت السعادة تغمر قلبيهما والطمأنينة ترفرف حولهما والهنا يبسط جناحيه عليهما ..

وجلس على تلك الصخرة المتواضعة التي كان يجلس مع نجلاء عليها ،

ونظر الى اغصان الشجرة العجوز الخضراء يسألها :
ايتها الاغصان الوارفة الظلال اين هي نجلاء الآن ؟..
اين هي نجلاء ؟..

نجلاء كانت مستلقية في سريرها تحاول النوم ولا تستطيع الى النوم سبيلاً ..

كانت تفكر بحبيبها نصري :
ترى اين هو نصري الآن ؟..
وهل يفكر بي كما أفكر به ؟
وهل يتألم لفراقي كما اتألم لفراقه ؟

ولم تستطع نجلاء ان تجذب الكرى الى عينيها طيلة ذلك الليل الطويل .

كان ليل نصري ونجلاء طويلاً بعيداً سحيقاً
ليس له آخر . . .
ما اطول الليل على قلوب العاشقين المعذبين . . .
وبدأ الفجر البعيد يسكب انواره الوردية الرائعة الجمال على القرية الهاجعة على اطمئنان وسلام
ونجلاء الحلوة لا تزال مستقلية في سريرها تحاول النوم . ولا تستطيع لى النوم سبيلاً . .
وتوارى الفجر مفسحاً للصباح سبيلاً للبزوغ .
وبدأت انوار الصباح تنسج خيوطها الحريرية البيضاء لتخلعها على تلك الجبال والوديان وشاحاً فضفاضاً شفافاً واهياً .
وانسابت خيوط الصباح الفضية اللامعة الى غرفة نجلاء عبر النافذة
فنهضت نجلاء الحلوة من السرير ، وقد بزغ الصباح :
لماذا تظل مستلقية في السرير ، ما دامت لن تستطيع الاستسلام لسلطان الكرى .
وألقت بالمعطف على كتفيها .
وخرجت من الغرفة لتهيء قهوة الصباح لوالدها كعادتها . . .
الا انها دهشت وقد رأت والدها جالساً في صحن الدار يرشف القهوة .

لـم يكن من عادة ابي نجلاء ان يفيق من نومه في مثل هذه الساعة

كانت نجلاء تفيق قبله دائماً فتهيء القهوة .

وعندما يفيق والدها بعد قليل من افاقتها . يجلس قربها ويتناولان القهوة معاً .

فما باله اليوم يبكر في النهوض ؟ .

واقتربت منه هامسة : صباح الخير يا والدي العزيز

فابتسم ابو نجلاء وكلام ابنته يقع منه في الاذنين .

وافسح لها مكاناً قربه

هامساً : تعالي يا نجلاء ، تعالي اجلسي قربي

وجلست قربه . . . فقدم لها فنجان قهوة

وقال مازحاً : كنت كل يوم تهيئين لي القهوة . اما اليوم ، فانا الذي اقدمها لك

فتمتمت : شكراً يا والدي

ورشف اسعد شهدان قهوته

والتفت الى ابنته ، ليقول : كيف كان من الممكن ان تكون حالي لو انك لست قربي اليوم . . لا استطيع ان افكر بانني كنت سأرشف القهوة ، وللمرة الاولى بعد وفاة والدتك وحدي . .

فصمتت نجلاء بدون ان تنبس بحرف . .

وعاد ابو نجلاء الى رشف القهوة

وقال: يا ابنتي يا نجلاء. لقد كنت عاقلة عندما اتخذت

قرارك بالعودة الى المنزل : تصوري ، ماذا كان قد حل بابيك وماذا كان قد نزل بالقرية لو انك اصررت على الزواج من نصري ابن ابي نصري . .

وعصف الشوق والحنين بفؤاد نجلاء الحلوة ، ووالدها يعود بها في حديثه الى ذكرى الامس

ووقفت تهم بالمسير ، وقد خشيت ان تفضحها دموعها امام والدها

الا ان ابا نجلاء امسك بيدها ليقول : اجلسي واكملي حسو القهوة

قالت : الاعمال الكثيرة تنتظرني في المطبخ يا والدي . . فأصر

قال : اجلسي يا نجلاء اجلسي . لي معك حديث . .

فعادت الى الجلوس قربه .

وأشعل لفافة راح ينفث دخانها في الفضاء

ليقول : انا وافقت على التنقيب عن المياه في ارضي يا نجلاء

قالت نجلاء : ابناء القرية كلهم سيعترفون بجميلك يا والدي ويشكرونك كل الشكر

فتابع كلامه

قال : وسيبدأون الحفر غداً أو بعد غد على أبعد تعديل . ستتدفق المياه غزيرة في هذه القرية ، وسيشرب اهل الضيعة ويروون ارضهم ، وتصبح القرية جنة خضراء وتفيض الخيرات في بيوتها

قالت : فليكافئك الله عز وجل يا والدي
قالت نجلاء هذا ، ووقفت تهم بالمسير ثانية
الا ان والدهـا عاد يمسـك بيدهـا مجـدداً ليقـول :
جلسي . . قلت لك : لي معك حديث
فعادت الى الجلوس وهي صامتة حيرى :
ما هو هذا الحديث الذي يريد والدها ان يتحدث به اليها .
ورشفت قهوتها . . .
ونفث والدها دخان اللفافة في الفضاء
ورشف القهوة
وتمتم : يا ابنتي يا نجلاء انت تعرفين ان سليمان ابن ابي سليمان طلب يدك
فادركت نجلاء ما هو ذلك الحديث الذي يريد والدها ان ينفحها به
وهمست : كان ذلك منذ أمد بعيد وقد قلت يومئذٍ : لا . .
قال : يا ابنتي كنت على خطأ يوم قلت : «لا . . .» انت تعلمين . والكل في القرية يعلم ان سليمان ابن ابي سليمان شاب كريم الخلق ، كامل التهذيب ، شهـم ، مستقيم في أعمالـه واقواله . . .
ومضت نجلاء في صمتها البارد الكئيب ،

وراحت تحدق في الافق البعيد عبر النافذة ، وهي تفكر بحبيب القلب والروح نصري .

نصري وحده يشغل تفكير نجلاء الحلوة

واستأنف والدها الكلام

قال : وفضلاً عن كل ذلك فهو غني ، وقد اورثه والده ميراثاً كبيراً يزيده قيمة ووزناً في عيون ابناء القرية ، لا سيما في عيون الفتيات الراغبات في الزواج

ولم تنبس نجلاء بحرف

فهي مشغولة عن كل ما يقول والدها بالتفكير . .

أفكارها هناك عند نصري . .

وعاد ابو نجلاء يقول : اورثه والده الكرم ، والحقل ، وزهاء مئة شجرة توت . هذه وحدها تكفي لتصنيفة بين الاثرياء في هذه القرية

ولم تجب نجلاء .

فهمس والدها : ما هو رأيك يا نجلاء ؟ . .

وتمتمت نجلاء متسائلة : بماذا يا والدي ؟ .

قال : بالزواج من سليمان ابن ابي سليمان

قالت بذل ووهن وانكسار : أنا قلت «لا . .» يا والدي العزيز وانت . . . كما تريد . .

كانت نجلا كحمامة مهيضة الجناح ، اصابها طلق الصياد فحطم جناحها وتركها صرعى في الغابة . .

لا هي تستطيع ان تفرد جناحها وتطير ،
ولا هي تموت
كانت في حال مؤلمة دامية رهيبة ،
وقد اسلمت امرها للاقدار تتصرف بها كما تشاء وتذريها في مهب الرياح
وربت والدها على كتفها وهمس : فكري ملياً بالأمر يا ابنتي . وانت لن تكوني الخاسرة اذا تزوجت من سليمان
فهمست : سأفكر . . سأفكر . . سأفكر . .
قالت نجلاء هذا ونهضت لتدخل الى غرفتها وتفرغ كل ما بقي في عينيها الحلوتين من دموع»

الفَصل العَاشر

نهضت أم عساف لتحمل أبريقها وتهم بالعودة الى منزلها ، وقد وصلت بقصة عين الحلوة عند هذا الحد

إلا ان «كنّاتها» الصبايا أمسكن بها

هاتفات : لا . لا يا أم عساف لا . . لن تعودي الى المنزل قبل ان نقف منك على نهاية قصة الدموع التي لا تجف . . اجلسي اجلسي وتابعي سرد هذه القصة . ماذا حدث بعدئذٍ وماذا حل بنجلاء الحلوة وبحبيبها نصري ابن ابي نصري ؟ .

قالت أم عساف : سأنهي لكم سرد ما تبقى من هذه القصة مساءً . . . في المساء سأكون في انتظاركن على سطيحة منزلي وستقفن على كل ما حدث لنجلاء الحلوة ولحبيبها نصري ابن ابي نصري . .

فأصررن على ما أبدين

وهتفن : لا يا أم عساف . لا . . اخبرينا الآن . . الآن

وأرغمنها على الجلوس ، فجلست لتقول : لا استطيع ان أرفض لكن طلباً «يا عفريتات . .» لا بأس سأستأنف سرد قصة عين الحلوة . .

وعدن الى التحلق حولها ، والشوق الى الوقوف على مصير نصري ونجلاء يعصف بهن ويشدهن الى الاستماع

واستوت أم عساف في جلستها بين كنّاتها

وراحت تحدق في الفضاء الواسع الرحيب مستعيدة تفاصيل تلك المأساة .

***

قالت أم عساف: «ابناء القرية السمحاء على فرحة طلقة وابتهاج بعيد. انهم يستعدون للبدء بالتنقيب عن المياه في أرض اسعد شهدان بعد ان أعلن ابو نجلاء موافقته اخيراً على الحفر في أرضه . .

وضرب ابناء القرية موعداً للبدء بالحفر . .

كان الموعد في صباح يوم من ايام الربيع الممرع الريان العاطر الانفاس . .

وقرر ابناء القرية ان يحيوا حفلة رائعة في أرض ابي نجلاء قبل البدء بالحفر ،

فهم يتفاءلون خيراً باقامة الحفلات كلما ارادوا البدء بمشروع كبير .

وفي ذلك اليوم . .

يوم البدء بالحفر ،

وفي ساعة مبكرة من الصباح كان ابو نجلاء في حقله يقوم بالحراثة ، وهو مرتاح كل الارتياح للقرار الذي اتخذه ، لا سيما

وابناء القرية اجمعوا على تقـديم الشكر له معترفـين بجميلـه ، مقدرين تضحيته الكبيرة . .

واذا بنجلاء تطل عليه ، مع اطلالة الشمس، حاملة له «الـزوادة» كعادتهـا عندمـا يكون منصرفـاً الى العمـل المتعـب الشاق . . .

وهتف اسعد شهدان ، وهو يشاهد ابنته الحبيبـة مقبلـة نحوه : اهـلاً بالحلـوة . . اهـلاً بنجـلاء ، بزينـة بنـات هذه القرية . .

وتقدمت نجلاء من والدها تقدم له الزاد وتهـم بالعـودة ادراجها

وما ان سارت خطـوات قليلـة حتـى التقـت بصديقتهـا زهرة ، مقبلة الى الحقل ،

فوثبت زهرة الى صديقتها المخلصة الوفية تعانقها هاتفة : نجلاء . الى اين تذهبين يا اختي ؟.

قالت نجلاء : انني عائدة الى البيت يا زهرة

ـ الى البيت ؟ . .

ـ اجل سأعود تواً الى البيت

ـ والحفلة ؟ . .

ـ أي حفلة ؟

ـ الحفلة التي عزم الشبان والصبايا على احيائهـا بمناسبـة البدء بالتنقيب عن المياه ، هنا . هنا في أرض والدك

قالت نجلاء : لا يا زهرة . لا . . لن أكون معكم في الحفلة

فأمسكت زهرة بيد نجلاء لتقول : يا مجنونة . . انت دائماً تتخذين القرارات التي تسيء اليك . . بالامس عدت الى دار والدك بعد ان كدت تحققين حلمك المنشود في الزواج من نصري . . والآن تقررين العودة الى البيت في حين ان جميع الصبايا والشبان سيكونون هنا . بعد قليل لأفتتاح حفلة الرقص والغناء

قالت نجلاء : الرقص والغناء والطرب والحفلات ليست لي يا زهرة . انها للسعيدات ، الهانئات الفرحات . . انا ليس لي سوى الدموع والاحزان

فأمسكت زهرة بيد نجلاء تشدها وتقول : لا . . ستظلين هنا وتكونين معنا وتغنين لنا وتدبكين وترقصين معنا

وأبت نجلاء ان تنزل عند طلب زهرة

وتمتمت : والدي لن يسمح لي بحضور الحفلة يا زهرة . .

لقد تذرعت برفض والدها لتتخلص من إلحاح صديقتها زهرة ،

فهي تريد ان تعود الى المنزل لتنصرف الى الوحدة والتفكير وسكب الدموع . .

وشاهد ابو نجلاء ابنته وصديقتها زهر تتهامسان فقلق . .

وخشي ان يكون الحديث بينهما دائراً حول نصري ابن ابي نصري . وهتف بهما : بماذا تتهامسان «يا بنـات» ؟ . . ماذا يا زهرة ؟ ماذا تحملين لنجلاء من الاخبار ؟.

فأمسكت زهرة بيد نجلاء لتقترب بها من والدها

وتمتمت ، وقد وصلت بنجلاء الى حيث يعمل ابو نجلاء

وقالت زهرة : اولاً : صباح الخير يا عمي ابا نجلاء

- صباح الخير يا زهرة

- ثانياً : لي عندك طلب

- هاتي طلبك يا زهرة

- ارجوك وألح في الرجاء ان تسمح لنجلاء بالبقاء هنا الآن لتشترك معنا في احياء الحفلة

- أي حفلة ؟ . .

- الشبان والصبايا سيحييون حفلة طرب ورقص هنا بعد قليل قبل البدء بالحفر

فارتسمت على شفتي اسعد شهدان ابتسامة طلقة

قال : وهل نجلاء بحاجة الى إذن للمشـاركة في حفلـة الشبان والصبايا يا زهرة ؟. . هي ستشتـرك معـكم في الحفلـة وسترقص معكم ، وتدبك وتغني . . . وانـا . . . وانـا ايضـاً سأشارككم الفرحة الهانئة العصماء

فهتفت زهرة : شكراً لك يا عمي ابا نجـلاء . . شكراً شكراً .

قالت زهرة هذا وأمسكت بيد زهرة هامسة : تعالي . . تعالي . .

وابتعدت بها عن والدها ، في حين كان اسعد شهدان يعود الى العمل والفرحة تغمر قلبه

والتفتت زهرة الى نجلاء وقد ابتعدتا عن اسعد شهدان فهالها الشحوب الظاهر في وجهها ، والدموع المترقرقة في مقلتيها متأهبة للانحدار على خديها السمراوين

وهمست : «يخرب ذوقك» يا نجلاء . . ماذا فعلت بحالك ؟ . . أهكذا تهملين جمالك واناقتك وحسنك ؟ . . اين نجلاء التي عرفناها انيقة وسيمة طلقة المحيا ، رائعة الحسن والجمال . . تعالي . . تعالي لنستقبل الصبايا والشبان

فتمتمت نجلاء بألم وأسى : دعيني اذهب يا زهرة ، اتركيني أعد الى المنزل

قالت زهرة : لا . . لن تعودي الى المنزل . هنا ستظلين معنا . لن ادعك تخطين خطوة واحدة في طريق العودة الى المنزل

قالت زهرة هذا وانحنت على اذن نجلاء هامسة : سيحضر نصري مع الشبان الى هنا يا نجلاء

فتدحرجت الدموع العالقة في أهداب نجلاء على خديها

وهمست : «ما خلاص يا زهرة . . نصري لم يعد لي ولا انا له . .»

فأمسكت زهرة بمنديلها تمسح به الدموع المنسابة على خدي صديقتها المعذبة المتألمة التعسة

هامسة : لا يا نجلاء ، لا يا اختي . انت لنصري ونصري لك ، ولن يستطيع احد ان يفرق بينكما . .

ومضت نجلاء في سكب الدموع

فتابعت زهرة كلامها

قالت : سأعيدك الى نصري يا نجلاء

ـ لا يا زهرة لا . . مستحيل . . مستحيل

ـ لقد اتفقت مع نصير العشاق ابي تامر على ان نعيد ما انقطع بينك وبين نصري . سنعود الى اختطافك والعودة بك الى حبيبك يا نجلاء . .

وضحكت زهرة متابعة هامسة : «سأقصف عمرك هذه المرة اذا عدت الى الهرب من نصري . .»

وهزت نجلا رأسها وهي تردد : مستحيل . . مستحيل . .

قالت زهرة : وستتزوجان ونفرح بكما . .

فعادت نجلاء الى القول : دعيني اعد الى البيت يا زهرة دعيني اعد

قالت زهرة بأصرار شديد : لا . . لن أدعك تعودين . هنا ستظلين معنا الآن

وهمست نجلاء : لماذا ؟ . . لماذا يا زهرة تريدين مني ان أظل هنا ؟ . . لماذا ؟ لأحضر جنازة قلبي ؟ . .

ـ ما هذا الكلام الذي تتلفظين به يا نجلاء ؟ . . أفي هذا المقام ، في غمرة الفرح التي تعم القرية تتحدثين عن «الجنازة ؟

اسمعي من اختك زهرة يا نجلاء وعودي الى ما كنت عليه من الفرح والبهجة ، والسعادة والهناء ، واتكلي على الله وعلى نصير العشاق وعلى اختك زهرة

واذا بالاهازيج والغناء والعزف يتعالى

فتمتمت زهرة : ها هم الشبان والصبايا مقبلون . .

تعالي نرحب بهم ونشاركهم الغناء والرقص

واذا بطلائع الصبايا والشبان تصل . .

فوصل منصور حبيب زهرة ، ثم وصل عبود ، وسليان ، وفهد ، وحبيب .

ثم وصلت سلمى وسعدى ، وكريمة ، ونجيبة

ثم . .

ثم وصل فارس المير ، ابو نصري ، وابنه نصري وابو تامر . . وجبور ،

واتجه الجميع الى اسعد شهدان يحيونه ويتحلقون حوله راقصين عازفين مغنين . .

وابتعدوا عنه ليكملوا الرقص والغناء . .

ووقفت نجلاء بعيدة عنهم . .

في حين وقف نصري ايضاً بعيداً عنهم وعن نجلاء ، والدمعة في عينه

والألم الشديد يعصف به ويسحق قلبه

واقترب ابو نصري من ابي نجلاء قائلاً : تعال يا ابا نجلاء لنحدد المكان الذي يجب ان نبدأ الحفر فيه .

فتوقف اسعد شهدان عن العمل

واقترب من ابي نصري

قال ابو نصري : هنا .. هنا يجب ان نبدأ الحفر

فاعترض ابو نجلاء قال : «لا .. هناك ..» - «لا -.. هنا» - «المهندسون اشاروا علينا بالحفر هناك» .. «- هنا أفضل يا ابا نجلاء ..» -- «لا .. هنا ...» - «اسمع يا ابا نجلاء . بعد قليل سيصل المختار ورئيس البلدية ، ومعهما الخرائط والتقارير ، وسيحددان المكان الذي يجب البدء بالحفر فيه ..» ووافق اسعد شهدان على اقتراح ابي نصري .. في هذه الاثناء ، فيما ابو نصري وابو نجلاء يتشاوران في أمر المكان الذي يجب الحفر فيه ، وفيما الدابكون يدبكون والعازفون يعزفون ، والمغنون يغنون كان جبور ابن أم جبور يقترب من نجلاء الواقفة بعيداً قرب الصخرة المتواضعة تحت ظلال الشجرة الخضراء .. وتمتم جبور وقد وصل الى قرب نجلاء : صباح الخير ..

وأجابت نجلاء : صباح الخير يا جبور

فتساءَل جبور :

- «بعد معك تفاح ؟ ..»

- «لا يا جبور .. لا .. ليس ثمة تفاح بعد الآن ..

- وكرز ؟. هل معك كرز ؟ ..

- لا .. ولا كرز .. الكرز اختفى في هذه القرية

- نجاص ؟..

ـ ولا نجاص . .

ـ وماذا اذن ؟ . .

ـ لا شيء يا جبور . . لا شيء لم يعد ثمة شيء في هذه القرية . . لا اثمار ولا خضار ، لا مواسم ولا اعياد ولا أفراح . . ليس في هذه القرية زهور تعطر الاجواء بالشذا والعبير ، ولا طيور تشدو ولا نسمات عطرة تفرح القلوب وتبعث الفرح في النفوس والارواح لم يعد عندنا شيء . . لم يعد عندنا شيء ابداً ابداً ابداً

فهدر جبور ابن أم جبور بلهجته القروية ، «ما عاد في شي ؟ . .»

ـ لا يا جبور . . لا . . لم يعد لدينا شيء

ـ «يا قرد . . شو حظي انا معتر . .»

فتمتمت نجلاء : هناك حظوظ تعسة اكثر من حظك يا جبور . .

فأقترب جبور من نجلاء متفرساً في وجهها . .

وهاله الشحوب الظاهر في وجه نجلاء الحلوة ، والأسى والألم والحزن ، والكآبة المرتسمة في عينيها

فتساءَل : «ما بك يا نجلاء الحلوة ؟ . . ليه زعلانة . . شو القصة يا عمي ؟. ليه كلكم زعلانين اليوم ؟ . .»

فسألت نجلاء جبوراً : من هم «كلنا الزعلانون» يا جبور ؟ . . انني أرى القرية كلها فرحة اليوم . .

ـ «لا . . ليس كلها . . هناك ايضاً من هو زعلان غيرك يا نجلاء الحلوة ؟ . .

ـ من هو يا جبور ؟

ـ نصري . . نصري ابن ابي نصري . . انظري . . انه يقف هناك بعيداً عن الشبان والصبايا وهو دامع العين كأنه يريد ان يبكي . . .

وأسرعت نجلاء بالابتعاد عن جبور والدموع تتدحرج عن وجنيها

ونظرت الى نصري الواقف بعيداً عنها

وهمست : يا حبيبي !. .

واخفت وجهها براحتيها

واجهشت بالبكاء . . .

ووصل رئيس البلدية والمختار . .

وأسرع ابو نجلاء وابو نصري يرحبان بهما . .

والتف الجميع حولهما . .

الجميع ما عدا نصري ونجلاء . .

كان كل منهما يقف بعيداً والدموع في عينيه

ونشر المختار الخرائط وبسط رئيس البلدية التقارير التي وضعها المهندسون

وقال هنا . . هنا يجب ان يبدأ الحفر

وهتف ابو نجلاء : «يالـلا . . يا شباب ـ يالـلا . قولوا : الله . . وابتدوا بالحفر» . .

وتقدم الشبان . .
وارتفعت المعاول تهم بالحفر ،
إلا ان الشبان توقفوا فجأة وقد سمعوا صوتاً يلعلع هادراً : توقفوا . . توقفوا . .

فالتفتوا الى مصدر الصوت الملعلع الهادر، ليشاهدوا ابا تامر واقفاً بعيداً عنهم

فتساءَلوا : ما بك يا ابا تامر ؟ . . ماذا جرى ؟ . .
قال نصير العشاق : لن يهوي احد منكم بمعوله على الارض . .
ـ لماذا يا ابا تامر ؟
ـ قبلما تبدأوا بالحفر اريد ان أسألكم : ماذا ستسمون العين التي ستنتصب في هذا المكان بعد ظهور المياه ؟ . .
فانبرى احد الشبان يقول : سنسميها «عين الضيعة»
قال ابو تامر : لا . . .
قالت احدى الصبايا : نسميها «عين البنات»
فاعترض الشبان
وهتف سليمان : بل نسميها «عين الشباب . . .»
فردد ابو تامر : لا . .
قالت سلمى : هذه العين سنسميها : «عين الملقى . .»
قال ابو تامر : لا . . لا
قال منصور : نسميها : «عين السنديانة» . . وها هي

السنديانة منتصبة منذ سنين بعيدة ، هنا . .

فتمتم ابو تامر : لا . .

قالت : سعدى : اذن نسميها : «عين العصفور» . .
ان العصافير تغرد دائماً هنا على اغصان السنديانة ، وغداً يوم تنتصب العين ستجثم تلك العصافير على ميزاب العين لتروي عطشها . . . سنسميها : «عين العصفور» . .

قال ابو تامر : لا . . لا . . لا . . لم يستطع احد منكم ان يختار اسم هذه العين

قالوا : وماذا سنسميها يا ابا تامر ؟

فهتف نصير العشاق : سنسميها «عين الحلوة» عين نجلاء الحلوة

فصاح الجميع موافقون . . موافقون . . «عين الحلوة» . . عين نجلاء الحلوة

فرفع ابو تامر بلاطة من رخام حفر عليها اسم «عين الحلوة»

وقال : لقد هيأت كل شيء . . واحضرت البلاطة التي سنرفعها فوق ميزاب عيننا. هذه العين سيكون اسمها «عين الحلوة» . .

وأسرعت نجلاء الى ابي تامر

هاتفة : ارجوك يا ابا تامر . . ارجوك . . لا . . لا . . لا تطلق اسمي على العين . فانا لا استحق هذا التكريم

فالتفت ابو تامر الى نجلاء قائلاً : يا نجلاء الحلوة !. . يا

أعز انسان على قلوب ابناء هذه القرية . . لولاك لولا تضحيتك الكبرى التي اقدمت عليها بكل جرأة وشجاعة لما تمكنا من البدء بالحفر اليوم . ولظلت الضيعة عطشى مدى الحياة . .

فعادت نجلاء الى الكلام

لتقول بتوسل ورجاء : لا يا ابا تامر . . لا . . لا تطلقوا اسمي على عينكم . . اطلقوا اسم المختار . . اسم رئيس البلدية اسم وجيه من وجهاء القرية ، وهم كثيرون

فضحك ابو نصري

وهتف : ما فعلته انت لأبناء هذه القرية ، لم يستطع احد ان يفعله . . اهل الضيعة لن ينسوا جميلك وفضلك عليهم مدى الحياة يا نجلاء الحلوة . . هذه العين لن يكون اسمها الا «عين الحلوة» رضيت أم ابيت

وانبرى ابو نصري يقول : «يالّلا يا شباب . . الآن نستطيع ان نبدأ بالحفر . . قولوا : «يا رب» . .

وقال ابو نجلاء : يا رب فلتكن يدك المباركة القديرة مع الشبان . . .

وارتفعت المعاول في الايدي ،

وهوت الزنود القوية بالمعاول على الارض تثخنها بالجراح

وفي هذه الاثناء

فيما الشبان يحفرون الارض بحثاً عن المياه ، كان العازفون يعزفون الالحان القروية الشجية ،

والمغنون يغنون ،

والدابكون يدبكون ،

وكانت زهرة مع بعض الصبايا يوزعن الاثمار والحلوى والتبغ والمرطبات على الجميع . .

وكان لجبور ابن أم جبور حصة الاسد من كل ما تقدم الصبايا . .

وارتاح جبور كل الارتياح ، وهو يتناول الحلوى والاثمار ، والتبغ والمرطبات . .

وشاهد جبور نجلاء الحلوة تقف بعيداً . .

فشخص اليها وهو يقضم تفاحة ويحمل بيده زجاجة مرطبات . . .

ووقف قرب نجلاء . .

وقدم لها زجاجة المرطبات قائلاً : تفضلي يا حلوة . . اشربي

فاعتذرت نجلاء

وتمتمت : شكراً يا جبور شكراً . .

قال جبور : «الا تريدين ان تشربي ؟ طيب . . تفضلي . . » ومد يده الى جيبه ليخرجها قابضة على قطعة حلوى قدمها لنجلاء وهو يتمتم : تفضلي تفضلي ، خذيها . انها شهية لذيذة

وعادت نجلاء الى الاعتذار : شكراً يا جبور ، شكراً . .

فضحك جبور ضحكته البلهاء الساذجة

وتمتم : الموسم مقبل يا نجلاء الحلوة وجبور سعيد بهذا الموسم . . الاحتفالات تتوالى ، والاعياد تتسارع ، والاعراس تتعدد . . اليوم احتفلنا بالحفر والتنقيب عن المياه ، وبعد ايام قليلة سنحتفل بعرس سيكون من اجمل الاعراس في هذه القرية و . . وافرح يا جبور ، وكل تفاحاً وخوخاً ومشمشاً واجاصاً وحلوى . . واشرب قهوة يا جبور ودخن التبغ . . العرس بعد ايام قليلة وسيكون رائعاً فاتناً عظيماً

فتساءلت نجلاء : عرس من يا جبور ؟

قال : عرس نصري ابن ابي نصري . .

فوجمت نجلاء . .

وارتعشت . .

واضطربت . . .

وهمست متسائلة : من قال لك ذلك يا جبور ؟ واين سمعت هذا النبأ ؟

فقضم جبور التفاحة

واجاب : «ولو ! . . ما كل الضيعة صار عندها خبر . . نصري ابن ابي نصري سيتزوج من ابنة خالته . .»

وشعرت نجلاء بالارض تميد تحت رجليها . . وأخذت ترتجف كأنها ورقة صفراء من اوراق الخريف تتلاعب بها الرياح وتذريها في مهب الهواء . .

وتعالت نبضات قلبها . .

ثم تحولت تلك النبضات المتعالية السرعة الى ألـم شديد مرير

فأحست بالألم الصاعق يعصر ذلك القلب الصغير الذي عصفت به المصائب والكوارث والهموم فحمل اكثر مما يستطيع ان يحمل قلب على هذه الارض

وشعرت نجلاء الحلوة بدوار شديد . . .

وأيقنت انها ستسقط على الارض

فراحت تعمل جاهدة على المقاومة

فهي لا تريد ان تسقط على الارض هناك ، في الحقل على مرأى من ابناء القرية . . .

اذا كان لا بد من السقوط فليكن السقوط في المنزل لا في الحقل . .

وراحت تعمل جاهدة على السير . .

فهي تريد العودة الى المنزل ،

الا انها عجزت

ورفعت يدها الى صدرها تحاول انقاذ ذلك القلب المسرع النبضات المعصور بالألم

إلا انها عجزت . .

وهتفت : قلبي !. قلبي . . قلبي !.

وسقطت على الأرض . .

ووثب الجميع اليها :

الشبان .

والصبايا
والمختار
ورئيس البلدية
وابو نصري
وابو تامر
ووالدها
ونصري ..
نصري الذي كان يقف بعيداً ينظر الى نجلاء بعين ملؤها الحب والشوق والحنين
ووصلت زهرة الى صديقتها الوفية نجلاء قبل الجميع
فانحنت عليها تسند رأسها الى صدرها
هامسة : نجلاء !.. نجلاء !.. نجلاء !.. ما بك يا حبيبتي ..
فرفعت نجلاء نظرها الى زهرة
وحاولت الكلام ، الا انها لم تستطع ان تتلفظ بسوى كلمات قليلة :
«.. زهرة .. نصري .. لا .. لا .. هذا غير صحيح .. نصري نصري ..»
ووصل ابو نجلاء وهو يعدو كالمجنون
هادراً : نجلاء !.. نجلاء !.. ابنتي !.. ابنتي نجلاء !..
ولحق ابو تامر بأبي نجلاء ..

« . . . فشعرت نجلاء بدوار شديد . . وتعالت نبضات قلبها فهتفت :
« قلبي . . . قلبي » وسقطت على الارض » .

وإذا بنصري يثب راكضاً الى نجلاء
هاتفاً : يا حبيبتي يا نجلاء . نجلاء !. نجلاء . .
وكان نصري ينوي الوصول الى نجلاء ليحملها بين يديه القويتين ويسرع بها الى الطبيب ، الى اقرب طبيب
الا ان ابا تامر اعترض سبيله
وقد خشي ان يصطدم نصري بأبي نجلاء
وهتف به : ارجع يا نصري ، عد الى الوراء . ابتعد ابتعد . .
الا ان نصري ابى ان يرجع وان يعود ، وان يبتعد
بل هو مضى في ركضه وهو يهدر : نجلاء . . نجلاء . . نجلاء يا حبيبتي يا نجلاء . .
وامسك ابو تامر به يردعه
هاتفاً به : ماذا تفعل ؟ والى اين تعدو يا مجنون ؟ . . اتريد ان توقعنا في مصيبة جديدة ؟ ابتعد ابتعد . . الا تشاهد والدها قربها ؟ . .
وراح نصري يعمل على التخلص من يدي ابي تامر
إلا ان ابا تامر استبسل في ردعه
فأخذ نصري يتوسل اليه ويرجوه ان يسمح له بالاقتراب من نجلاء .
أرجوك يا ابا تامر ارجوك اتركني . دعني اراها دعني اطمئن الى سلامتها . . دعني . . دعني دعني . .
فتمتم ابو تامر : اطمئن يا نصري . . اطمئن الى

سلامتها فهي بخير . . انها بألف خير . . وعكة بسيطة . . وستراها وتتحدث اليها . ولكن ليس الآن . . مهلاً يا نصري مهلاً

واستطاع ابو تامر ان يبتعد به عن نجلاء ،

وفي هذه الاثناء كانت زهرة تحاول اسعاف نجلاء

وقد خيل اليها انها اصيبت بدوار بسيط

الا انها ادركت بعد قليل ان الأمر خطر

وانه يتعدى الدوار

فأخذت تهتف بذعر وقلق : طبيب ! . . طبيب ! . اسرعوا الى دعوة الطبيب .

واذا بابي نجلاء ينحني على ابنته فيرفعها بين يديه

ويسير بها وهو يتمتم : ابنتي ! . . نجلاء ! . . يا حبيبتي يا ابنتي يا نجلاء . .

وسار اسعد شهدان بأبنته الى داره

وسا وراءه الجميع

ووثبت زهرة الى حبيبها منصور هاتفة به : اسرع يا منصور الى الطبيب . . اسرع واطلب اليه ان يحضر على جناح السرعة الى بيت ابي نجلاء . ان نجلاء في خطر . انا على يقين من انها في خطر . . اسرع يا منصور . . اسرع . . .

واسرع منصور

وأخذ يعدو الى دار الطبيب الجاثمة على ربوة خضراء في اعلى القرية . .

ولحقت زهرة بالموكب الى منزل ابي نجلاء والقلق يعصف بها ويثير مكامن الخوف منها على حياة صديقتها المخلصة الوفية . .

ولم يبقَ في الحقل سوى ثلاثة

الكل اتجه الى منزل اسعد شهدان الا نصري ، ونصير العشاق وجبور ابن أم جبور . .

وكان نصري ينوي اللحاق بالموكب الى دار اسعد شهدان ليطمئن الى سلامة نجلاء ،

الا ان ابا تامر وقف بينه وبين تحقيق أمنيته

قال : مهلاً يا نصري . . انا سأقودك الى نجلاء بعد قليل ريثما تهدأ العاصفة وتستعيد نجلاء عافيتها . مهلاً مهلاً

وكان نصري في حال مؤلمة . . كان يتمتم : «نجلاء ! . . نجلاء يا حبيبتي يا نجلاء نجلاء ، نجلاء» والدموع تترقرق في عينيه . . وتقدم جبور من نصري متسائلاً : «معك سيكارة ؟ . .

وأجاب نصري : لا . . لم أعد أملك شيئاً يا جبور «ما معي شي . .»

فتمتم جبور : هل تحبها ؟ . .

ـ كثيراً . . كثيراً يا جبور

ـ وهي ايضاً تحبك يا نصري . . لقد شاهدتها تبكي ، وهي تنظر اليك من بعيد . . انا السبب . . انا السبب . لقد قلت لها كلاماً لم يكن لي أن أقوله لها . .

وتقدم ابو تامر من جبور يسأله :

بماذا تكلمت اليها ؟ . ماذا قلت لها ؟

ورد جبور ابن ام جبور : أخبرتها ان نصري سيتزوج من ابنة خالته فذعرت وهتفت : «قلبي . . قلبي» وسقطت

فهدر ابو تامر : قصف الله عمرك . . لقد قتلت الفتاة ايها المجنون . .

فهتف نصري : انا ؟ . . انا اتزوج من ابنة خالتي ؟ . . كذب وبهتان انا ما فكرت بالزواج من فتاة غير نجلاء . .

قال نصري هذا وهم بالمسير هادراً : سأشخص الى نجلاء وأعلن لها ان كل ما سمعته من جبور لا صحة له . .

وأمسك ابو تامر بيد نصري ابن ابي نصري

قائلاً : تعالَ معي يا نصري . . تعالَ . . سأقودك الى نجلاء تعال . .

وسار ابو تامر ونصري الى دار اسعد شهدان

وارتمى جبور ابن ام جبور على الارض يلطم وجهه ويبكي مولولاً :

انا السبب : انا السبب . . قصف الله عمري . . لماذا اخبرتها ؟ . . لماذا ؟ لماذ ؟ لماذا ؟

***

كانت دار اسعد شهدان تزدحم بابناء القرية عندما وصل ابو تامر ونصري الى تلك الدار . . .

وكانت نجلاء في حال مؤلمة مؤسفة تنذر بالخطر . .

تفتح عينيها من حين الى آخر وتجول بنظرها في القاعة ،

وهي مستلقية في سريرها لتشاهد والدها وزهرة وبعض رفيقاتها حولها والخوف والحزن والقلق والكآبة ترتسم على الوجوه . . .

وتحاول الكلام

وتنفرج شفتاها عن همسات قليلة . . .

وتحول نظرها الى زهرة هامسة : نصري .. نصري .. اين نصري يا زهرة ؟ . . اريد ان أراه قبل ان أموت . . .

وتهمس زهرة : لا . . لن تموتي يا نجلاء . . . انت بخير يا حبيبتي . . .

واذا بأبي نجلاء يتمتم وقد سمع اسم نصري تهمس به شفتا ابنته : يا نجلاء يا ابنتي انا اوافق . . اوافق على زواجك من نصري لن يكون الا ما تريدين يا نجلاء . . .

وهمست نجلاء بعناء وتعب : زهرة ! ابلغي سلامي الى نصري . . .

وبدأ العرق يتصبب من جبينها ،

واشتدت نبضات قلبها

فرفع والدها يديه الى السماء

هاتفاً : يا رب ابدل روحاً بروح . خذ روحي واشفِ نجلاء يا رب . . «شحدني ياها يا الهي . . .»

وعادت نجلاء الى الهمس : نصري ! . . اين نصري ؟ . . اين نصري يا زهرة ؟ . .

واذا بنصري يقف في باب القاعة مع ابي تامر . .

وأمسك ابو تامر بيد نصري ودخل معه الى القاعة ..
ووقفا قرب سرير نجلاء ..
وذعر نصري وقد شاهد حبيبته نجلاء تلهث
وتهمس بكلمات غير مفهومة
والعرق البارد يتصبب من جبينها .
وأدرك انها في حال الخطر
فتقدم منها هامساً : نجلاء !.. يا حبيبتي !.
ففتحت نجلاء الحلوة عينيها ...

وشاهدت نصري قربها فهمست بعياء : نصري .. جئت ؟.. الحمد لله ..

وتمتم نصري : نجلاء !.. اطمئني .. ستشفين .. انا لن اتزوج من ابنة خالتي كما انبأك جبور .. لا . لا لن اتزوج من سوى حبيبتي نجلاء .. ستشفين وستتزوج يا نجلاء .. سنعيش العمر معاً .. العمر كله معاً يا حبيبتي .

فارتسمت على شفتي نجلاء ابتسامة واهية صفراء ، وهي تسمع كلمات حبيبها نصري .

وهمست : نصري !.. يا حبيبي ..

واذا بالطبيب يدخل الى الغرفة هاتفاً بالجميع : اخرجوا من القاعة . ارجوكم اخرجوا .. انا سأتولى معالجتها .. اخرجوا كلكم ..

وخرج الجميع وأوصد الطبيب الباب وانصرف الى معالجة نجلاء والى مدها بالادوية وبالحصول ..

وأقـام الجميع امـام باب الغرفـة ينتظـرون خروج الطبيب . .

ولم يطل انتظارهم . .

فقد خرج الطبيب بعد قليل والوجوم يطل من عينه ، والحزن بادٍ على وجهه . .

وتعالت اصوات الجميع تسأله : ماذا يا دكتور ؟ . . هل هي بخير ؟ . .

فهمس الطبيب : يا ضياع صباها . لقد وصلت بعد فوات الأوان . .

ـ ماتت ؟ . نجلاء ماتت ؟ . .

ودوى صوت رهيب قوي هادر : نجلاء ! . .

وكان الصوت صوت نصري ابن ابي نصري ،

واندفع نصري الى الباب

باب القاعة

حيث ترقد نجلاء . .

نجلاء ؟ .

لا بل جثمان نجلاء الحبيبة .

واندفع مع نصري الجميع وهم يبكون ويذرفون الدموع الغزيرة .

وسقط والدها قرب السرير وهو يولول : نجلاء يا ابنتي لماذا تركتني ولمن تركتني يا نجلاء يا ابنتي ؟ ليتني مت قبل ان أراك على هذا السرير . .

وركع نصري قرب السرير .
وأمسك بيد نجلاء الباردة يقبلها ويغسلها بدموعه . .
وامتدت يده الى جيبه يخرج منها الخاتم
ذلك الخاتم الذي كان قد اهداه الى نجلاء ، والذي اعادته نجلاء اليه ، بعد ان أيقنت ان الاقدار وقفت بينهما .
وأمسك نصري بيد نجلاء الباردة ليضع الخاتم في بنصرها والدموع تتدحرج غزيرة على وجنتيه
وهمس من خلال دموعه : نجلاء ! . . يا حبيبتي ! . . هذا هو الخاتم . انه لك يا نجلاء . . المرحومة والدتي قالت لي قبل ان تلفظ انفاسها الاخيرة : «هذا الخاتم لعروسك يا نصري . . .» انت عروسي يا نجلاء . . لقد احببتك حباً عظيماً وانت على قيد الحياة وسأحبك حباً اعظم وانت في العالم الآخر
واجهش بالبكاء كالاطفال . .
واقبلت زهرة ، والدموع تنسكب على خديها ، لتمسك بيد نصري هامسة : تعال يا نصري . . تعالَ . . دع نجلاء في غفوتها الهانئة تعالَ . .

وأرغمته على الابتعاد عن نجلاء .
واذا بأبي تامر يثب الى ابي نجلاء ليمسك بيده ايضاً ويخرج به من الغرفة

وراح ابو نجلاء يتمتم : نجلاء ! . . نجلاء ! نجلاء
وهمس ابو تامر : لقد قتلت اثنين يا ابا نجلاء . . قتلت

ابنتك .. ماتت وارتاحت من عذابها . وقتلت نصري ابن ابي نصري وهو ما زال حياً يتعذب

وفي حين كان ابو تامر يرغم اسعد شهدان على الجلوس في قاعة الاستقبال من داره بين ابناء القرية كان نصري يفلت من بين يدي زهرة ليعود الى القاعة حيث جثمان حبيبته نجلاء هامساً : نجلاء !.. انهضي يا نجلاء .. انهضي يا حبيبتي ... الوردة البيضاء ما زالت تنتظرك في الحديقة ، والشجرة الخضراء ما زالت تبسط اغصانها الوارفة وهي تنتظر عودتنا اليها .. نجلاء ايتها الزهرة الحبيبة !.. عمرك عمر الزهور .. قصير عمر الزهور يا نجلاء ..

وعادت زهرة

وعاد معها ابو تامر ليمسكا بيدي نصري ويرغمانه على الخروج من القاعة ..

وكان نصري في حال مؤلمة تفتت الاكباد

وودعت القرية نجلاء الحلوة ...

ودعتها في مأتم مهيب لم تشهد القرية ولا القرى المجاورة مأتماً مثله .. وقد ألبس أبناء القرية نجلاء الحلوة ثوب العرس الناصع البياض ، وأبقوا الخاتم الأثري الثمين في بنصرها تحمله معها الى ما وراء القبر .. نجلاء الحلوة عروس تزف الى ملاك الموت ..

وبعد رحيل نجلاء عن هذه الفانية باسبوع ... باسبوع واحد فقط تدفقت المياه في أرض ابي نجلاء ..

واصبح للقرية عين اسمها «عين الحلوة . .»

وأقام نصري ابن ابي نصري على حزن رحيب المدى سحيق القرار . .

وغرس نصري وردة بيضاء على قبر حبيبته نجلاء . .

وكان يزور قبر الحبيبة الممعنة في النوى والبعاد صباح كل يوم ، يروي الوردة البيضاء بالمياه وبالدموع

نجلاء كانت تحب الورد الابيض . .

الا ان الوردة البيضاء ذبلت بعد انقضاء ثلاث سنوات على رحيل نجلاء . .

ذلك لأنها لم تجد من يروي ترابها بالماء . .

فقد مات نصري ابن ابي نصري بعد ثلاث سنوات . .

لم يستطع نصري ان يعيش اكثر من ثلاث سنوات بعيداً عن حبيبته نجلاء . .

فلحق بها الى العالم الآخر . .»

***

ومسحت أم عساف دموعها بيدها ، وهي تنهي سرد مأساة نصري ونجلاء . .

وخنقت العبرات الصبايا

فاذا بهن في مناحة ، دامعة دامية مؤلمة

وتمتمت أم عساف ، وهي تشير الى المياه المتدفقة من ميزاب عين الحلوة : هذه المياه الرقراقة الصافية ، ما هي الا دموع نجلاء الحلوة ، نحن في هذه القرية يا حبيباتي ، نشرب

ونروي بساتيننا وحدائقنا وأرضنا من دموع نجلاء الحلوة . مياه عين الحلوة الغزيرة لا تنضب .. انها دموع لا تجف .. لا تجف .. لا تجف

وختمت أم عساف قصة الدموع التي لا تجف قائلة :

وهكذا أصبح عندنا ، في هذه القرية ، مياه غزيرة ، وجنائن ، خضراء ، وبساتين مثمرة . وحدائق غناء ، يعطر شذا أزهارها وورودها الاجواء ... ولكننا دفعنا ثمنها غالياً جداً ... دفعنا ثمنها سعادة قلبين ، وحياة نجلاء الحلوة .

تمت

مؤلفات الاستاذ بيار روفايل
القصص العاطفية

الأرض العذراء
الأمل الصريع
انا خاطئة
بين نارين
حسناء بغداد
خبز ودمع
خذ قلبي ودعني
دموع الأرز ٢/١
دموع العذارى
دموع لا تجف
زنبقة في الوحول

سرّ الراهبة
صرخة الاستقلال
صقر الصحراء
ضاع عمري
طريق الدموع
ظلمتني يا قلب
غادة دمشق
في مهبّ الرياح
القلب الأخضر
لا تلمني
لن يعود

ماذا فعلت بقلبي

معقل النسور ١/٢

ملائكة في الجحيم

من اجل عينيك

نار في الجنوب

هل تذكرين

وحدي مع الليل.

تطلب من دار الجيل

قريبًا في الأسواق

قصة

الأمل الضريع

تصدر

عن

دار الجيل